المنهج الإكلينيكى عند لاكان

تأليف

جويـل در

ترجمة

دكتور محمد أحمد خطاب

أ. مروة فتحى سلامة



مكتبة الأنجلو المصرية

المنهج الإكلينيكي عند لاكان

تأليف

جويل در

ترجمة

د/ محمد أحمد محمود خطاب

جامعة عين شمس- كلية الآداب- قسم علم النفس

أ/ مروة فتحي محمد سلامة



مكتبـة الأنجلـو المصريـة

بطاقة فهرسة

در ، جويل.

المنهج الاكلينكى عند لاكان

تأليف جويل در ، ترجمة محمد احمد محمود خطاب ،

مروة فتحى محمد سلامة

173 ص ، 17× 24 ســم

© مكتبة الأنجلو المصرية 2015

1- علم النفس

2- لاكان ، جاك مارى اميل ، 1901-1981

أ- خطاب ، محمد احمد محمود (مترجم)

ب- سلامة ، مروة فتحى محمد (مترجم مشارك)

رقــم الإيداع :2014/17266 تصنيف ديوى :150

978-977-05-2926-3 : ISBN

طبع فى جمهورية مصر العربية بمطبعة محمد عبد الكريم حسان

مكتبـة الانجلـو المصريـة 165 شارع محمد فريد القاهرة – مصر

تليفون : 23914337 (202) ؛ فاكس : 23957643 (202)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com
www.anglo-egyptian.comWebsite

مقدمة المترجمان

يتناول هذا الكتاب المنهج الإكلينيكي لدى المفكر الفرنسي، والمحلل النفسي الشهير "جاك ماري إميل لاكان Jacques Marie Emile Lacan" (1901-1981)، والذي سطع نجمه في سماء فرنسا في خمسينيات القرن العشرين، وأصبح جزء لا يتجزأ من حركة الحداثة Modernism، بل كان مؤثراً رئيسياً أيضاً في مرحلة ما بعد الحداثة في مجال: الأدب، والفن، والفلسفة، والحركة النسائية Feminism، وفلاسفة ما بعد البنيوية وهو ما ظهر واضحاً وجلياً في السيمنارات [الحلقات النقاشية] التي أجراها في فرنسا، حيث انضم لهذه الحلقات النقاشية نجوم ساطعة في سماء العلم من بينهم: "داريان ليدر" والذي يعمل محللاً نفسياً في لندن، و"ديلوز" Deleuze (1925- 1995)، و"فوكو" (1926-1984)، و"بارتيز"، و"بول ريكور" و"جوليا كريستيفا"، و"لوبنتي"، و"التوسير"، و"سولزر".

هذا وقد أطلق "لاكان" صيحته الشهيرة: "العودة إلى فرويد" وهي إشارة إلى إعادة قراءة أو "استنطاق" نصوص "فرويد" وإعادة تشكيلها على أسس من البنوية اللغوية- التي ابتدعها المفكر الفرنسي "فرديناند دو سوسير" F. De Saussure (1857- 1913) والذي كان له تأثير كبير في الفلسفة البنيوية الفرنسية- والألسنية والأنثروبولوجيا والفلسفة، ومن هنا هدفت حركة "لاكان" إلى تطوير التحليل النفسي من رواسب البيولوجيا والفسيولوجيا التي علقت به، أو بمعنى آخر: تلخصت إستراتيجية "لاكان" دائماً في إنقاذ روى "فرويد" وإعادة وضعها في سياق خال من الحتمية البيولوجية حيث أن وضوح وبساطة أفكار "فرويد" أدت إلى تشوهات وتبسيط مبالغ فيه من قبل بعض المحللين النفسين.

ولهذا فلم يعد اللاشعور عند "لاكان" مجموعة من الدوافع والغرائز البيولوجية، بل بالأحرى نسقاً من الدلالات اللغوية، وفي هذا يشير "جان لاكروا" (1966) إلى أن "فرويد" يبين أن "اللاشعور يتكلم في كل مكان، ويعلمنا كيف نفك رموز اللسان في الحلم الذي هو أحجيه، وفي أشكال العصاب، حيث يمثل العرض دالاً من الوجدان لمدلول المكبوت، وفي الجنون تلك الكلمة التي أبت أن تعرفنا بذاتها، ذلك القول الخلو من كل ذات"، فاللسان يتكلم من خلالي، لكنه يعبر عن الشهوة، وموضوع الشهوة هو الآخر، ولذا فيجب الرجوع إلى الكلام الأولي "بنية اللاشعور الأولي" وأتكلم بالرموز. تلتقي إذن شهوتي باللسان- هذا هو الرمز- فعلى أن أفك

رموز لاشعوري لاسترجع عبر رموزي تاريخي اللاشعوري الذي ما يزال صفحة بيضاء.

وهو ما يؤكده "لاكان" دائماً في أن ما تكتشفه تجربة التحليل النفسي هو بنية اللغة بكاملها، ولهذا يعتبر "لاكان" نفسه بنيوياً، أي أنه يبحث عن تنظيم الوقائع وعلاقاتها والمنطق الداخلي لنظامها، ولقد تأثر في ذلك بأبحاث علماء اللغة، فذهب إلى أن [اللاشعور مبني كلغة]، مما يسمح باستعمال اللسانيات من أجل تحليل اللاشعور. والواقع أن قضية "لاكان" الأساسية هي قضية اللاشعور مبنى كلغة، وهي قضية وضعها ضمن اكتشافات "فرويد" القائلة: بأن التكثيف والإزاحة ونماذجها من الاستعارة والمجاز هي الميكانيزمات الأولية للاشعور.

وينجم عن ذلك أن كفاءة المحلل النفسي في التأثير توضع بطريقة خالصة في مستوى الكلام وفضلاً عن ذلك فإن تكوينات اللاشعور مثل زلات اللسان والهفوات والنسيان وأحلام اليقظة يفهمها "لاكان" على أنها فشل في التواصل بين الناس، كما أن فهم الأعراض العصابية بهذا المعنى على أنها رسالة محولة استبعدت من دائرة الخطاب، ولا يمكن أن تصل إلا في صورة مقنعة.

ولذا كانت حركة "لاكان" تصحيحية تفكيكية لكل نصوص "فرويد"، تقوم بتفكيك النصوص وإعادة صياغتها في إطار جديد يسعى لسيادة الثقافة على الطبيعة، كما يسعى لإزالة التمييز بين التحليل النفسي والفلسفة، فلقد كشف عن التداخل الوظيفي الدائم لكل منهما، واستطاع بمفرده أن يدفع بفكرة ليحتل موقعاً طليعياً بين شتى أشكال الفكر، والوصول بنظريات مكثفة لغوياً تفتح آفاق الفكر والجدل والحوار والنقد في أوساط المفكرين والمحللين النفسيين.

ولهذا كان "لاكان" من أكثر المحللين النفسيين إثارة للجدل، ولكن من المؤكد أيضاً أنه كان أكثرهم تجديداً وأصالة في مختلف ميادين علوم الإنسان، إن أصالة نتاج "لاكان" تتأتى من الواقع من كونه لا يدع نفسه سجين زاوية معينة، ومع ذلك فتعد كتابات "لاكان" بالغة الصعوبة، وهي تعرض علينا شبكة من الإشارات والمفارقات، واللعب بالكلمات التي يجدها البعض غنية ومثيرة، في حين يراها البعض الآخر في أعلى درجات الغموض، وهو ما يوضحه [فيليب شملا، 19788: 5] (*) بقوله: أصبح يُتناول اسم المحلل النفسي "جاك لاكان" كما يتداول طلسم، البعض قرأ كتبه. أما البعض الآخر، وهم الأكثر عدداً فاكتفوا بتصفحها،

* فيليب شملا (1988): لاكان واللغة، مجلة بيت الحكمة، العدد الثامن، السنة الثانية، نوفمبر 1988، مجلة مغربية للترجمة في العلوم الإنسانية، ملف العدد: جاك لاكان،ص ص5-17.

وبعضهم حضروا حلقته الدراسية المشهورة. كل هؤلاء علموا وأحياناً بصورة قاسية عندما حاولوا التوغل داخل فكرة، أن لغة "لاكان" ليست لغة جميع الناس. فهي توتر أعصاب البعض، وتسحر البعض الآخر، والأمر لا يتعلق بالنسبة للمحلل النفسي الشهير باستفزاز أو تصنع ما. بل إن مشكلة اللغة تقع في صميم عمله، لأنه حسب رأيه في صميم الإشكالية الإنسانية.

ذلك أنه لا يمكن التصدي لقراءة "لاكان" كما يُتصدى لقراءة أي كاتب آخر. فبعض الباحثين فعلوا كل شيء لتيسير فهمنا لاكتشافاتهم إلى الحد الأقصى، إلى درجة أننا نتساءل فيم لو أنهم يخفون شيئاً ما، من خلال بحثهم عن السهولة. أما "لاكان" فيبدو أنه يفعل ما بوسعه لمنع فكره من الاستسلام لانتباه شارح استسلاماً في منتهى اليسر. إنه لا يتبنى لغة السهولة، بل إن لغته اشتهرت باعتبارها لغة مغلقة. واتهم أنه باطني وغامض والحق أننا لا نعلم جيداً من أين نتناول جمله ولا حتى كيف يبنيها، والحق أيضاً أن خطابه في أغلب الأحيان يتسم بالإيجاز الشديد، لدرجة أننا لا نفهم جيداً ماذا يقصد. والحق أخيراً أنه حتى القراءات المتعددة والمتأنية لنص من نصوصه غير كافية لتوضيحه بما يكفي.

ولعل هذا هو السبب في تأخر الاعتراف بمكانة "لاكان"، فضلاً عن غموض أفكاره وتعقدها، غير أن "لاكان" ومع ذلك يحتل الآن مكانة مرموقة وبارزة كمنظر للتحليل النفسي بل وفيلسوفاً له إلى جانب "فرويد".

وفي هذا الكتاب تتناول "جويل در" المنهج الإكلينيكي عند "لاكان" من خلال أربعة محاول كما يلي:

1- التشخيص والبناء وتبين فيه:

مفهوم التشخيص في التحليل النفسي، الأعراض والتشخيص والصفات البنائية، الوظيفة الأبوية، والهياكل النفسية.

2- البناء الانحرافي وتبين فيه:

رؤية "فرويد" للانحرافات، التشخيص الفارقي للانحرافات، الهستيريا، والعصاب الوسواسي، المنحرف وقانون الأب، الأم القضيبية، التشخيص الفارقي الجديد بين البناء العصابي والانحرافات.

3- البناء الهستيري وتبين فيه:

البناء الهستيري والمنطق القضيبي، ملامح البناء الهستيري، المرأة الهستيرية والجنس، الهستيريا الذكورية، الرجل الهستيري والجنس.

4- البناء الوسواسي وتبين فيه:

إشكاليات عصاب الوسواسي، ملامح بناء الوسواس، الوسواس والضياع وقانون الأب، مريض الوسواس وموضوعات حبه.

ويُعد هذا الكتاب بمثابة قراءة إكلينيكية لأعمال "لاكان"، بل ويتيح الوصول الفوري إلى المعالم التي تدل على ممارسة "لاكان" للتحليل النفسي، وبالإضافة لما سبق فإن هذا الكتاب ليس كتاباً موجهاً حصراً إلى الإكلينيكيين، ولكن لأي شخص مهتم بالتحليل النفسي، هذا من جانب. ومن جانب آخر قام المترجمان بإضافة جزء ثان لهذا الكتاب يتضمن شرح مبسط ووافٍ لأهم المصطلحات اللاكانية المرتبطة بهذا الكتاب.

المترجمان

د/ محمد أحمد محمود خطاب

جامعة عين شمس - كلية الآداب - قسم علم النفس

أ/ مروة فتحي محمد سلامة

مقدمة عن مؤلفي الكتاب

جويل در :

جويل دور أستاذ التحليل النفسي في جامعة باريس السابعة وعضـوا في جمعيـة تشـكيل التحليـل الـنفسي والأبحاث الفرويدية: تحليل الفضاء. وهو أيضا مؤلف مقدمة لقـراءة "لاكـان" والبنـاء الانحـرافي (وكلاهـما طبعة أزر برس).

سوزان فيرفيلد :

سوزان فيرفيلد هي محررة ومترجمة وشاعرة. وهي أيضا مؤلفـة ورقـات مـن النقـد الأدبي، والمحلـل النفسي، ومحررة مشاركة في جلب الطاعون: نحو ما بعد الحداثـة في التحليـل الـنفسي. تعـيش في منطقـة خليج سان فرانسيسكو في ولاية كاليفورنيا.

المجال الإكلينيكي عند لاكان

نظرة عامة :

التحليل النفسي اللاكاني موجود، وهذه السلسلة الجديدة، المجال الإكلينيكي عند لاكان، هنا لإثبات ذلك. وتأثرت الخبرة الإكلينيكية للممارسين الفرنسيين بعمق بفكر جاك "لاكان" حينما وجد أخيرا دار نشر في الولايات المتحدة. والكتب المشهود لها في فرنسا وإيطاليا وأسبانيا واليونان وأمريكا الجنوبية واليابان بسبب وضوحها وسلطتها التعليمية وأهميتها الإكلينيكية ستكون الآن تحت تصرف جماعات العلاج النفسي والأكاديمية الأمريكية. تغطي هذه الكتب مجموعة من الموضوعات بما في ذلك المقدمات النظرية والمنهج الإكلينيكي للعصاب والانحراف والذهان؛ والتحليل النفسي للأطفال؛ وتصورات الأنوثة؛ وقراءات التحليل النفسي للأدب الأمريكي وأكثر من ذلك. وحتى الآن هناك تسعة كتب في طور الإعداد. وعلى الرغم من أن كل هذه الأعمال ذات صلة إكلينيكيا، وستكون أيضا ذات أهمية كبيرة لهؤلاء العلماء الذين درسوا في أمريكا واستخدموا نظريات "لاكان" لأكثر من عقد من الزمان. وليس هناك فرصة أفضل للعالم الأكاديمي من النقد الأدبي والفلسفة والعلوم الإنسانية والدراسات النسائية والدراسات السينمائية والدراسات متعددة الثقافات في نهاية المطاف في الحصول على الرؤية الإكلينيكية من المنظّر المعروف في المقام الأول برؤيته الثورية لتشكيل موضوع الإنسان. وهكذا يمضي المجال الإكلينيكي اللاكاني لأبعد من تقديم الطبيب الأمريكي إلى نظرة مختلفة للتحليل النفسي. وهي تجمع بين اثنين من المجتمعات اللذان أصبحا تدريجيا بعيدان عن بعضهم البعض. ومع انتهاء الوقت الذي كان فيه فرانكفورت سكول وليونيل تريلينغ وإريك فروم وهربرت ماركوز وفيليب ريف وغيرهم يقومون بتعزيز التبادلات بين المجتمعات الأكاديمية والتحليل النفسي، كان التحليل النفسي قد فقد بعضا من حيويته.

وقد ترك النجاح المحدود جدا لسيكولوجية الأنا في جلب التحليل النفسي في مجال العلوم فترك التحليل النفسي في حاجة إلى الميتاسيكولوجي (علم ما بعد النفس) والذي سيكون قادر ليس فقط على الصمود في وجه التحديات الخبيثة لعلم الأدوية النفسية والطب النفسي، ولكن أيضا لاستيعاب نتائج علم النفس المعرفي

والنمائي. وقد وضع البحث في مجال الأطفال الرضع العديد من رؤى "فرويد" تحت الاختبار ومحاولات لاستبدال علم النفس للجسم الواحد بمنهج يهتم أكثر بالعلاقات الشخصية أو العلاقة المتبادلة بين الذوات التي أدت إلى الشقاق داخل مجتمع التحليل النفسي. ويرى العديد من المنظرين أن الطريق نحو الشرعية العلمية يتطلب الولاء بنسبة معينة مع انتقاصات فرويد، والذين مقتنعون بأن اللاوعي والأسس الجنسية له هي مجرد انحراف. وتستمر ممارسة التحليل النفسي، على الرغم، ووفقا لكلا من المرضى والمحللين فان الكشف عن دوافع اللاوعي لا تزال توفر شعورا بالارتياح. ولكن في حين كان هناك ازدهار مدارس التحليل النفسي الفكرية المختلفة منذ ظهور فرويد، لم يتم التوصل إلى اتفاق نظري لماذا يحدث مثل هذا الارتياح.

في الوقت الحاضر يمكن أن يبدو في بعض الأحيان أن "فرويد" تتم قرأته كثيرا وبدقة من قبل نقاد الأدب وعلماء الاجتماع أكثر من أولئك المهتمين بالتحليل النفسي. وهذا ليس كله من قبيل الصدفة. في حين أن مجتمع التحليل النفسي يبحث عن علم الميتاسيكولوجي، فقد اكتسبت العلوم الإنسانية مستوى التطور والتعقيد النظري الذي مكنهم من قراءة "فرويد" تحت عدسة جديدة وبرؤية مختلفة. حولت اللسانيات والأنثروبولوجيا البنيوية التقييم التقليدي للذات الإنسانية وأعطت اللاوعي عند "فرويد" حالة جديدة. كانت تعاليم لاكان، جنبا إلى جنب مع أعمال فيجولت وديجا مسئولة إلى حد كبير عن انفجار الأفكار الجديدة التي عززت حركة التخصصات الأكثر انتشارا في الأوساط الأكاديمية اليوم.

الجانب السلبي الملحوظ لهذه الثورة الفكرية، بقدر ما يخص التحليل النفسي، هو حقيقة أن مساهمة "لاكان" تم إخراجها عن مسارها الأصلي. لم يعد ينظر إليها على أنها نظرية تهدف إلى تنوير ممارسة التحليل النفسي، وكانت تركيبات "لاكان" رائعة على حد سواء على قابلة للتكيف والنقد بحيث تتوافق مع احتياجات المساعي الفكرية البحتة البعيدة كل البعد عن الواقع الإكلينيكي. هذا الوضع بالتأكيد مسئول جزئيا عن إقالة "لاكان" من قبل مجتمع التحليل النفسي، فقد رأينا علاوة على ذلك أسلوب "لاكان" "المستحيل" حتى الآن هو دليل آخر على ثقافة الظلامية التي يتبناها المثقفين الفرنسيين المولعين بها.

في هذا السياق أعمال "لاكان" في المجال الإكلينيكي ينبغي أن تكون بمثابة خطوات يستدل بها على طرفي الطيف. المساهمون في هذه السلسلة هم في المقام الأول الأطباء الحريصون على تقديم للمهنيين في التحليل النفسي والطب النفسي

وعلم النفس والتخصصات الصحية والعقلية الأخرى وجهة نظر تعليمية واضحة ومقتضبة لأعمال "لاكان". وهدفهم ليس التأكيد على الرؤى الجديدة الجذرية لنظرية "لاكان" عن الذاتية ومكانتها في تاريخ العلوم الإنسانية ولكن أيضا لإظهار كيف أن هذه المجموعة الصعبة والمعقدة من الأفكار يمكن أن تعزز العمل الإكلينيكي. لذلك، في حين أن الطبيب الأمريكي سوف يكون على علم بأن التحليل النفسي عند "لاكان" ليس في المقام الأول العنصر الرئيسي في النقد الأدبي أو الفلسفة ولكن في التطبيق العملي يعني علاج المرضى من محنتهم النفسية. وسوف تتعرض الأوساط الأكاديمية لأول مرة لقراءة "لاكان" وهذا تناقض حاد مع الأدبيات التي قد أبلغ عنها حتى الآن عن نظريته. وبهذا المعنى فإن تعاليم "لاكان" تعود إلى الواقع الإكلينيكي الذي ينتمون إليه في المقام الأول.

وعلاوة على ذلك، فإن المنهج الإكلينيكي للكتب في هذه السلسلة يسلط ضوء جديد على التعديلات الحرجة التي جلبها العلماء الأدبيين والمنظرين النسويين إلى تصور "لاكان" عن الذاتية. في حين تم استحسان "لاكان" لتقديمه بديل للحتمية البيولوجية عند فرويد، وأيضا اتهم مع ذلك بوجود بقايا إشارات قضيبية في صياغته للفروق الجنسية. وبعد فإن هذا النقد، قد يكون فعال خارج الواقع الإكلينيكي - والتحليل النفسي هو مكون وتأثير للثقافة على حد سواء- ولكنه قد لا يكون له نفس الأهمية في السياق الإكلينيكي. وبالنسبة لعلم النفس كشكل من أشكال التطبيق العملي فإن له وظيفة مختلفة جذريا عن تلك التي تستخدم حاليا في الخطاب الأكاديمي. في الأخير، ينظر إلى التحليل النفسي على انه أيديولوجية لتعزيز المعتقدات الأبوية وكأداة نظرية لبناء رؤية للموضوع لا تعتمد على النظام القضيبي. في السابق، ومع أن موضوع الإشارات القضيبية فقد تأثيره السياسي، فيمكن لممارسة التحليل النفسي الكشف بأثر رجعي فقط عن الطرق التي شكلت حياة المريض النفسية، وبهذا المعنى يمكن أن تكشف فقط عن وظيفة القضيب التي يلعبها في التوضيح النفسي للفروق الجنسي.

وبالتالي يهدف المجال الإكلينيكي عند "لاكان" إلى التراجع عن بعض الأحكام المسبقة التي أثرت على سمعة "لاكان" حتى الآن في كل من المجتمعات الأكاديمية والتحليل النفسي. في حين أن هذه الأحكام المسبقة تنبع من أسباب مختلف نوعا ما- وينظر إلى "لاكان" كأبوي ورجعي جدا من ناحية وبعيدا كل البعد عن الواقع الإكلينيكي من ناحية أخرى - وكلاهما يبدو أنه يغفل عن حقيقة أن الخمسين عاما والتي تغطي فترة تعاليم "لاكان" قد خصصت أساسا للعمل والتواصل حول معنى

ووظيفة التحليل النفسي، وليس بالضرورة كعلم أو حتى كعلم من العلوم الإنسانية، ولكن كممارسة يمكن أن تعتمد على الميتاسيكولوجي يتسم بالصلابة والتماسك. وهذا الفضح المضاعف لزيف المفاهيم الواردة قد لا يضخم فقط الأطر المرجعية المعنية لكلا من الأوساط العلاجية والأكاديمية، بل قد يسمح لهم أيضا بإيجاد القاسم المشترك في علم الميتاسيكولوجي الذي يستمد مكانته من العالم غير المتوقع من العلوم الإنسانية.

وأود أن انهي هذه النظرة العامة للسلسلة ككل مع كلمة تحذير وكلمة تأكيد. احد الصعوبات الكبيرة التي تواجه المحلل الأمريكي في محاولته للتعرف على " النوع " لدى "لاكان" فهو الطريقة التي يشرح بها المنظرين الإكلينيكيين وجهة نظرهم على المستوى النظري كما لو كانت قادمة مباشرة من فرويد. ولكن "فرويد" من وجهة نظر "لاكان" وفرويد من وجهة النظر الأمريكية لا يزال بعيدا عن كونه شفاف لبعضهم البعض. فقد قام "لاكان" بتفكيك المفاهيم الأساسية عند "فرويد" وإعادة بنائها على أسس جديدة تماما، بحيث أصبح الصرح الجديد لا يشبه القديم. وفي الوقت نفسه قلل دائما، موقفه باعتباره منشأ نظرية، لأنه كان عازما على إثبات أنه على الرغم من كل الصعاب قد بقي وفيا للرؤى العميقة لفرويد. وحيث أن "لاكان" كان لديه إصرار شديد على الحفاظ على مفاهيم "فرويد" والمواد الخام لنظريته، فقد اتبع المحللين اللاكانيين من الجيل الثاني في خطاهم خطوات معلميهم واستمروا في قراءة "فرويد" بدقة من أجل التوسع، مع رؤى جديدة، في هذا الهيكل الكبيرة الذي تم وضعه سابقا. وعلاوة على ذلك، عززت ظروف تاريخية معقدة عزلتهم، بحيث كان التعارف مع التطورات الأخيرة في مجال التحليل النفسي خارج فرنسا محدودا. وواصلت وجهات نظر "لاكان" الحرجة عن سيكولوجية الأنا وبعض الجوانب المختارة من علاقات الموضوع بالنظرية في إبلاغ رؤيتهم للتحليل النفسي الأمريكي، وتركوهم غير مدركين لبعض الشكوك إزاء هذه المدارس الفكرية المشتركة مع بعض من زملائهم في الولايات المتحدة. وهذا الولاء الواضح لـ"فرويد"، لا يعني بالضرورة أن المحللين اللاكانيين لم يفكروا ويبحثوا فيما سواه، ولكن بعيدا عن هذا فإن منهجهم يختلف عن ذلك لنظرائهم الأمريكيين. في حين أن الأخير غالبا ما يميل إلى وضع عملهم كرد فعل لفرويد، وتتلخص إستراتيجية "لاكان" دائما في إنقاذ رؤى "فرويد" وإعادة وضعهم في سياق خال من الحتمية البيولوجية.

ثانيا، أريد أن أكرر أن أسلوب تفسيري لكتب هذه السلسلة لا يشبه كتابات "لاكان" الخاصة. ورأى "لاكان" أن وضوح "فرويد" ومواهبه التعليمية قد أدت في النهاية إلى تشوهات وتبسيط مبالغ فيه، بحيث أن أسلوبه " المستحيل" المعروف كان من المفترض أن يكون بمثابة استعارة لصعوبة الاستماع إلى اللاوعي. تكسير كتاباته الصعبة لا يشمل جهد فكري من القراء فقط ولكن أيضا عمليات اللاوعي لديهم، وسوف يتضح الفهم عندما يعترف القارئ - المحللين في عملهم ما تم التعبير عنه بطريقة خفية في النص. بعض من أتباع "لاكان" استمروا في أتباع هذا التقليد، خشية أن العرض الواضح لن يترك مجالا للمشاركة النشطة للقارئ، ورأى آخرون بشدة أنه على الرغم من وجهة نظر "لاكان" تم فهمها جيدا فأنه ليس من الضروري إطالة الأيديولوجية الظلامية لأجل غير مسمى والتي عرضة للوقوع في نفس الفخ الذي كان "لاكان" يندد به في المقام الأول. كان مثل هذا الاقتناع بالضبط ما جعل هذه السلسلة، المجال الإكلينيكي عند "لاكان"، ممكنة.

دكتورة: جوديث فيهير جورويتش

مقدمة المحررة

جوديث فيهير جورويتش

مما لا شك فيه أن مقدمة جويل در لقراءة "لاكان" هو كتاب ذا قيمة ويعرض بقوة وبشكل منهجي اللبنات التي قامت عليها نظرية لاكان. ومع ذلك، لم تتم تناول حاجة الطبيب الأمريكي لفهم ما يقوم به المحلل اللاكاني في الواقع في ممارسته في عمل "لاكان" المعقد. ولملء هذه الفجوة يتم تقديم كتاب المنهج الإكلينيكي عند "لاكان" كنص مصاحب للمقدمة، حيث يتألف من محاضرات جويل در لتدريب المحللين النفسيين، ويتركز هذا الكتاب على تشخيص البنية النفسية وبالتالي يتيح الوصول الفوري إلى المعالم التي تدل على ممارسة "لاكان" للتحليل النفسي.

ويعد مفهوم البنية النفسية (والذي وفقا لفرويد، يميز العصاب والذهان والانحرافات) هو النواة في نظرية لاكان، ومع مساعدة الأمثلة الإكلينيكية المثيرة، يقوم در بتفسير الفارق الحاسم بين الأعراض، والذي يمكن معرفته عن طريق الظواهر الواضحة، والبنية النفسية الفعلية للمفحوص، هي البنية التي يمكن الكشف عنها فقط من خلال الخطاب مع المريض في حالة التحليل النفسي. وتشير مثل هذه البنية إلى وضع معين من الرغبة، وعلى الرغم من أن هذا النمط من الرغبة يأخذ أشكال ونماذج متعددة، فإن المحلل اليقظ سيكون قادر على تميز مريض الهستيريا من مريض الوسواس أو المنحرف من الذهاني في نهاية المطاف.

ومرة أخرى فإن كتاب المنهج الإكلينيكي عند "لاكان" ليس كتابا موجها حصرا إلى الإكلينيكيين، ولكن لأي شخص مهتم بالتحليل النفسي، وليس فقط للأكاديميين الذين سوف يجدون في هذه الأوصاف الإكلينيكية الكثير مما يغذي الفكر. ويوضح جويل در أن الباثولوجي والذاتية يتشابكان بإحكام، بحيث أن القراء أنفسهم قد يشعرون بالتورط في النص لأنهم يتعجبون أي بنية نفسية من بين هؤلاء تمثلهم. وفقا لما يراه در فإن كل واحد منا يتواجد في عالمنا للعلاقات المتبادلة بين الذوات بوسيلة معينة من الرغبة وطلب أن نكون مرغوبين أيضا. وما يكشفه هذا الكتاب هو أننا نقضي معظم حياتنا في محاولة معرفة المعنى الميتافيزيقي للاختلاف الجنسي. والمنهج الإكلينيكي عند "لاكان" هو كتاب يتسم بالوفاء لأخلاقيات التحليل النفسي من حيث أنه يميز مجاله بدقة عن الواقع الاجتماعي، وما يكتشفه التحليل

النفسي هو واقع اللاوعي للعلاقات المتبادلة بين الذوات والديناميات التي تعمل "بـدون علمنـا". وبالتـالي، فإن النص الذي يقدمه لنا جويل در عن الشبق الجـنسي وتبـديل الجـنس وارتـداء ملابـس الجـنس الأخـر والهستيريا والعصاب الوسواسي لم يظهر كانحراف عن القاعدة ولكن وسائط محددة للرغبة والتـي تشـكل الذاتية لدى الفرد.

وبهذا المعنى، فإن المنهج الإكلينيكي عند "لاكان" يشكل تحديا للمحاولة الأخيرة من التحليل النفسي والطب النفسي الأمريكي لإعادة النظر في توصيف التشخيص المرضي للتوجهات والممارسات الجنسية وذلك لاستيعاب مناخ " الصواب السياسي ". لهذا التحدي شـقان. أولا، أن الكتـاب يكشـف عـن طريـق النقـيض مدى انتقال التحليل النفسي الأمريكي من المجال الفرويدي إلى منهج يهتم أكثر بعلم الظاهريات. لأنه عـن طريق تصور الفئات الإكلينيكية الجديدة للاضطرابات الحدودية والنرجسية من حيث وسائط معينـة مـن السلوك وأنواع معينة من الشخصية، فيهمل التحليل الـنفسي الأمـريكي الـدوافع اللاواعيـة التـي تـتجلى في خطاب المريض. ثانيا، بمجرد أن يدرك المحلل الأمـريكي أن هـذه البنيـة النفسـية الفرويديـة، كـما أعيـدت صياغتها في نظرية لاكان، ترسم المسارات المتنوعة التي قد تتبعها رغبة الإنسان، وربما تتساءل هـي أو هـو عما إذا كانت الهستيريا والعصاب الوسواسي والانحرافات هي في الواقع أنواع محتضرة.

إذن فإن المنهج الإكلينيكي عند "لاكان" هو مقدمة مصاحبة لقراءة "لاكان" بمعنى أنـه يعـرف كيـف يمكن أن تتحقق نظرية في واقع الوضع النفسي. أولا من حيث النوع، فهذا الكتـاب يحـدد النغمـة لكتـب أخرى في هذه السلسلة، والتي هدفها المشترك هو على وجه التحديد إعادة الحياة والفائدة العملية لحركة التحليل النفسي التي تم فهمها بشكل خاطئ لوقت طويل في هذا البلد كما تم تخطيهـا بسـبب التقلبـات المستمرة للعمل التحليلي.

مقدمة جويل در :

أود أن أشرح بعض الأسباب التي دفعتني للكتابة حول موضوع البنية النفسية والتحليل النفسي الإكلينيكي، أولا وقبل كل شيء، هذا المنهج التركيبي للتحليل النفسي، تم نظمه حول مفهوم التشخيص. لكن مسألة التشخيص تجلب فورا لنا، كأطباء إكلينيكيين، إلى ما يمكن تسميته معضلة تقنية في مجال اللاوعي، وبمجرد أن نواجه الإلحاح، فنحن نعلم جيدا جدا مع وجود تقلبات الممارسة أن المشكلة هي صعوبة تحديد المعالم والنقاط المرجعية. ونحن نواجه التباسات معينة بانتظام فيما يتعلق بالنقاط المرجعية الإكلينيكية، إن وجدت على الإطلاق.

لا توجد وسيلة لتجنب هذه الصعوبة تماما. وهي إلى حد كبير مسألة تأخذ وقتا لاكتساب الخبرة الإكلينيكية مع وجود الأدوات الشخصية المناسبة لمعالجة المشاكل الإكلينيكية، وعندما يتعلق الأمر بهذين العاملين، لا يمكن للتدريس أن يحل محل العمل النفسي الذي يحتاجون إليه. ولكن لا يزال بوسعنا " تحديد الأرض". هذا التعبير مجازي، لكنه يتناول الحاجة إلى وجود مبادئ توجيهية إكلينيكية صارمة. حتى لو كانت هذه المبادئ التوجيهية لا تستبق أهمية الممارسة الإكلينيكية بأي وسيلة، فهي، مع ذلك، معالم ميتاسيكولوجية والتي تسمح لنا بتحديد بعض الكيانات المرضية، إلى حد أن علم تصنيف الأمراض هذا يوضع باستمرار في سياقه الأساسي: التحقيق في اللاوعي.

تشمل هذه المعالم الميتاسيكولوجية نوعين. أولا، هناك تلك التي من المحتمل أن تظهر في عملية صياغة التشخيص (التشخيص بمعنى التحليل النفسي المحدد للغاية). ثانيا، يجب أن نتمسك بالمبادئ التوجيهية المتعلقة بسير العلاج وديناميائه. بالمعنى الدقيق للكلمة، ولذلك، فهذه النقاط المرجعية ليست متنقلة خارج العمل يفعلها كل واحد منا في دراسته أو دراستها للممارسة الفردية. وبالتالي فمن البديهي أنني لن أحاول في هذا الكتاب أن أنقلهم بطريقة شاملة. ولكن مهمتي هي تقديم مفهوم التشخيص من المنظور البنيوي، من منظور يستند على البيان الديناميكي والاقتصادي للبنى النفسية الرئيسية والتي هي: المنحرفة والهستيرية والوسواسية[1].

1- **لقد حذفت البنية الذهانية ليس فقط بسبب تعقيدها ولكن أيضا بسبب ضيق الوقت المتاح لهذه السلسلة من المحاضرات (في ريو دي جانيرو، 1990) التي شكلت أساس هذه الدراسة.**

1

الجزء الأول

التشخيص والبنية

الجزء الأول

التشخيص والبنية

1

مفهوم التشخيص في التحليل النفسي(1)

دعونا نبدأ النظر في مشكلة التشخيص في مجال علم النفس المرضي من خلال النظر في بعض أفكار "فرويد" بشأن هذه المسألة. في وقت مبكر في عام 1895، وهذا منذ بداية التحليل النفسي، كان يتحدث عن الصعوبات التقنية التي واجهها في تطبيق طريقة بروير العلاجية للكشف والتنفيس في علاج الهستيريا وتوصل لعدة استنتاجات هامة (فرويد وبروير 1895). ويلاحظ، من ناحية أنه يجد صعوبة في الحصول على فكرة واضحة عن حالة العصاب دون تحليلها بشكل متعمق، ولكن من ناحية أخرى، فهو يضيف أنه قبل أن نتمكن من فهم سهولة التفاصيل فنحن بحاجة إلى وضع تشخيص لتحديد اتجاه العلاج. وبعبارة أخرى أوضح "فرويد" في بداية عمله الغموض الذي يحيط بمشكلة التشخيص في التحليل النفسي الإكلينيكي وهي: الحاجة إلى صياغة التشخيص مبكرا من أجل اتخاذ قرار بشأن مسار العلاج، وعلى الرغم من أهمية مثل هذا التشخيص سوف يتم تأكيده فقط بعد أن يتم العلاج لبعض الوقت.

هذا التناقض هو ما يجعل التشخيص النفسي فريدا من نوعه. فنحن بحاجة إلى توضيح هذه الفكرة ووضعها في منظور بمقارنتها بمفهوم التشخيص في المجال الطبي. ويتم تنفيذ التشخيص الطبي بواسطة معيارين. أولا، هناك معيار (المراقبة أو الملاحظة) الذي يهدف إلى تحديد طبيعة وجود شكوى أو مرض على أساس نظام ثابت من المعاني، ومن ثم هناك معيار التصنيف الذي يسمح للكشف عن حالة مرضية معينة في إطار من توصيف الأمراض. وبالتالي فإن التشخيص الطبي دائما يأخذ مكان من منظور مزدوج، في إشارة كما يفعل كل من المسببات والتشخيص الفارقي، وعلاوة على ذلك، فالتشخيص الطبي يحدد إنشاء ليس فقط التشخيص الحيوي أو الوظيفي للمرض، ولكن أيضا العلاج الأنسب. وتحقيقا لهذه

1- للإطلاع على مناقشة أكثر تفصيلا لهذا الموضوع، انظر جويل در 1987 (المقبلة في الترجمة من صحف أخرى، ذ م م.، 1999).

الغاية، فإن الطبيب يكون لديه وتحت تصرفه نظام معقد من التحقيق. فهو يتعهد أولا بإجراء تحقيق استرجاعي من أجل جمع ذكريات المريض التي تتعلق بالمرض، ومن ثم ينتقل إلى الفحص المباشر باستخدام الوسائل التقنية والبيولوجية مفيدة.

في مجال التحليل النفسي الإكلينيكي، فإن بناء المفحوص يجعل هذه الطريقة في التوصل إلى التشخيص مستحيلا. يتم اللجوء إلى تقنية الفحص الوحيدة التي تجدي نفعا لدى المحلل وتكون تحت تصرفه وهي تقنية الاستماع. لأن الفحص المباشر ليس وارد على الإطلاق، والمواد الإكلينيكية الوحيدة التي يقدمها المريض تتكون من عباراته وهكذا منذ البداية يقتصر مجال التحقيقات الإكلينيكية على فعل القول وإلى ما يقوله المريض.

ونحن الآن نعرف جيدا، إن واقع الكلام مشبع بالأكاذيب ومخلوط بالتراكيب الوهمية، بل هو في الواقع المكان الذي تتكشف فيه التخيلات بشكل كبير. بل هو أيضا المكان الذي يكشف فيه المفحوص العمى لديه أو عدم معرفته بنفسه، وهو لا يعرف ما يقول حقا من خلال الكلمات التي ينطق بها عن حقيقة رغبته، وبالتالي حول ما يكمن وراء الأعراض التي هي رغبته ولكن متنكرة. ولهذا السبب، لا يمكن إجراء التشخيص على أساس البيانات التجريبية التي يمكن التحقق منها بموضوعية. والتقييم أساسا يكون ذاتيا، لأنه يعتمد فقط على خطاب المريض ويدعمه استماع المحلل إليه.

وحتى على الرغم من أن ذلك يشكل الفرق جذري فيما يتعلق بالتشخيص الطبي، فهناك مبادئ توجيهية مستقرة في مجال العلاقات بين الذوات. وهذا ليس مجال التفاعلات العاطفية البحتة أو من التأثيرات الإيحائية؛ ولخص التحليل النفسي طبيعتها المحددة كتخصص بمجرد أن أدرك "فرويد" أن عليه الحفاظ على تدخلاته خالية من الاقتراح. ولدينا كل الأسباب للاعتقاد بأن سمات الشكاوى النفسية يمكن في الواقع أن يتم تعيينها كتركيب بنائي، استنادا إلى طريقة إنشاء المعالم، التي تأخذ بعين الاعتبار الخصائص الأساسية لموضوعها، وهي السببية النفسية وعلى وجه الخصوص، عدم القدرة على التنبؤ بطريقة عمل اللاوعي.

وتعد العلاقة المنطقية بين التشخيص واختيار العلاج علاقة فريدة من نوعها. على الرغم من أنها ليست مسألة من التضمين المنطقي كما هو الحال في الطب الإكلينيكي، يجب أن يكون المحلل قادرا على الاعتماد على بعض العناصر المستقرة في صياغة التشخيص واختيار نمط العلاج الذي يستتبعه هذا التشخيص.

وكما سنرى، فإنشاء المعالم بهذه الطريقة يدعو إلى اليقظة الكبيرة إذا لم يكن ليصبح من هؤلاء المحللين الجامحين الذي يدينهم "فرويد".

في دراسته الموجزة للتحليل الجامح، يقدم "فرويد" (1910) توضيح عبقري للرعاية التي يجب أن تؤخذ في التشخيص ويلاحظ ما يصاحب ذلك من مخاطر التدخلات التي تستند على نوع من العلاقة السببية المنطقية في العمل في المجال الطبي. وهو يبين لنا، من بين أمور أخرى، كيف ينبع التفسير " الجامح" دائما من المنطق السببي المتسرع الذي يرتكز على المنهج الفرضي- الاستنتاجي الذي لا يأخذ بعين الاعتبار المسافة التي تفصل بين فعل الكلام وما يقال. ولكن لكي يتم تقديم التفسير للمريض لا يمكن أن يظهر وكأنه نتيجة منطقية واضحة وبسيطة لتشخيص معين. وإذا كان الأمر كذلك، فسنكون قادرين على التشاور بشأن أطروحات العلاج النفسي، كما أن التخصصات الطبية المختلفة تستفيد من مثل هذه الأعمال في مجالات تخصصهم.

كشفت حصافة "فرويد" في تاريخ التحليل النفسي في وقت مبكر حتى يسمح لنا باستخلاص بعض الاستنتاجات الأولية حول هذه المشكلة من التشخيص، أولا، التشخيص مؤقت؛ في الممارسة الإكلينيكية RCI مؤشر التغير الموثوق للتشخيص، منذ البداية، يتم استبقاءه عمدا معلق وإرساله إلى المستقبل. ولكن من المستحيل إجراء تقييم للتشخيص موثوق به قبل أن يكون التحليل قد تقدم إلى نقطة معينة. ولكن على الرغم من ذلك يجب علينا صياغة موقف التشخيص من أجل اتخاذ قرار التوجه للعلاج في المقام الأول.

يؤدي الوضع المؤقت للتشخيص إلى الاستنتاج الثاني: لأننا نتعامل مع التقييم الذي يمكن التأكد منه فقط مع مرور الزمن، وهذا الإمكانية تعلق، على الأقل لوقت معين، الحاجة إلى إجراء التدخل الذي له قيمة علاجية مباشرة. ينطوي الاستنتاج الثالث، الذي يتبع الاثنين الأولين، على اتخاذ الوقت اللازم للمراقبة قبل اتخاذ أي قرار أو خطة بشأن العلاج. وهذا هو الوقت المخصص لما نسميه المقابلات الأولية، أو، كما يسميه "فرويد" (1913 أ) الفترة التجريبية. ولكن على الرغم من أن هذه الفترة الأولية هي وقت الملاحظة، فيؤكد "فرويد" على أنها تبقى ضمن الإطار التحليلي:

> **هذه التجربة الأولية... هي في حد ذاتها بداية التحليل النفسي ويجب أن تتفق مع قواعدها. هناك ربما يكون هذا التمييز الذي يتيح**

للمريض أن يقول تقريبا كل الكلام ولا يفسر أي شيء أكثر مما هو ضروري للغاية لنجعلـه يستمر فيما يقول [ص. 124]

وبالتالي يؤكد "فرويد" أن المريض يجب أن يسمح له بالتحدث بحرية من البداية. هـذه، في الواقـع، هي النقطة الأساسية التي تقوم عليها مسألة التشخيص، حيث أن التشخيص يتم تعريفـه بنـاء عـلى كـلام المريض وليس بناء على مضمون الكلام. وهذا يدعو إلى تعبئة عاجلة لقدرة المحلل على الاستماع، حيث أن الاستماع هو الأداة الوحيدة لتقييم التشـخيص ويجـب أن تأخـذ الأولويـة عـلى معرفـة توصـيف الأمـراض والمنطق السببي.

كرست مود مانوني (1965) دراسة قصيرة ممتازة لهذا الموضوع، وكانـت تشـدد عـلى تعبئـة فوريـة للاستماع: "هذا هو السبب في أن المقابلة الأولى مع المحلل النفسي تكون ذات دلالة على أن الكـلام يكـون مشوه أكثر مما يحتوي في الواقع" (ص، 164). وحساب مانوني العام المترتـب عـلى التطـورات في المقـابلات الأولية ذات أهمية كبيرة للمشكلة الغامضة والتي لا مفر منهـا في التشـخيص الـنفسي والتـي حـذرنا منهـا "فرويد" من البداية.

2

الأعراض والتشخيص والصفات البنائية

في الممارسة الطبية نحن نحاول عادة إقامة علاقة بين أعراض محددة وتشخيص معين. يعتمد النجاح العلاجي في الواقع إلى حد كبير على وجود مثل هذه الارتباطات. ولكن إذا كان هذا النظام السببي يعمل، فذلك لأن عمل الجسم في حد ذاته تنظمه نفس الآلية، ويوجد نوع من الحتمية العضوية. وكلما توسعت معرفتنا بهذه الحتمية، كلما ازداد عدد الارتباطات بين الأسباب والنتائج وكلما انتظمت نتيجة عملية التشخيص أكثر.

في حين أن هذا المبدأ مقبول عامة في مختلف التخصصات الطبية، فإنه لا ينطبق بأي حال على التحليل النفسي الإكلينيكي. يمكن تفسير الفرق من خلال الحتمية الخاصة التي تعمل على مستوى العمليات النفسية، بمعنى، من خلال السببية النفسية، التي تبدأ على طول مسارات أخرى. يعتمد نجاح العلاج الطبي إلى حد كبير على انتظام وثبات الأحداث السببية التي تحدث في الجسم. ولكن عندما يتعلق الأمر بالسببية النفسية، بينما هنا أيضا هناك حتمية، فإنه لا يتبع نفس الأنماط. وبعبارة أخرى، ليست هناك علاقة مستقرة بين طبيعة الأسباب وطبيعة النتائج المترتبة على ذلك. ففي المجال العلمي يكون التنبؤ مقبولا فقط لأنه يقوم على قانون علمي، والقانون ليس سوى حساب موضوعي للاتصال المستقر بين السبب والنتيجة. ولكن لا تخضع السببية نفسية للقوانين، على الأقل ليس بالمعنى التجريبي الصارم كما يتم استخدامه في العلوم البحتة. هذا لا يرقى إلى القول إن التحليل النفسي ليس علما دقيقا أو بحتا (جويل در، 1988)، وذلك لأن غياب الاتصال القانوني بين الأسباب والنتائج يجعل التنبؤ الموثوق به شيئا مستحيلا.

يجب أن نعترف من البداية أننا نتعامل مع وضع لن نتمكن من استنتاج استدلالات مستقرة من الأسباب النفسية إلى الأعراض المترتبة عليها في تحديد التشخيص. هذا الإدراك هو ما له الأهمية القصوى لأنه يتعارض مع عملياتنا المنطقية المعتادة. ونحن نفكر بشكل عفوي بترتيب من العقلانية الديكارتية يقودنا إلى هيكلة تفسيراتنا جنبا لجنب مع خطوط السببية المنهجية بطريقة الخطاب العلمي. وتحدي طريقة التفكير هذه يعتمد على التضمين المنطقي بالتالي يتطلب جهدا خاصا ونحن نبدأ عملنا في التحليل النفسي.

هذا لا يعني أن الاتصالات التي نتخذها ليست ملزمة بقيودها الصارمة الخاصة. ليس هذا هو الحال أن كل شيء ممكن في نزوة أي شخص، تحت ذريعة أنه يجب أن نحرر أنفسنا من العقلانية المنطقية العرفية. لا يزال هناك موضوع توجيهي ينبغي إتباعه: كلام الشخص الذي نستمع إليه. ويمكننا تمييز شيئا من بنية هذا المفحوص من خلال كلامه، وفقط من خلال الاعتماد على هذه البنية يمكننا وضع التشخيص.

وهذه العلاقة التبادلية بين أعراض وتشخيص معين تفترض تعبئة سلسلة من العمليات داخل النفس والعلاقات المتبادلة بين الذوات التي تسيطر عليها ديناميات اللاوعي. هذه الديناميات لا تتكشف في شكل ارتباط منطقي أو مباشر بين طبيعة الأعراض والبنية النفسية الخاصة لهذا المفحوص الذي تظهر عنده هذه الأعراض؛ وما نعرفه الآن عن عملية اللاوعي هذه يجعل مثل هذا الاستدلال السببي الفوري مستحيل. وما علينا إلا أن ننظر في أي جانب على الإطلاق من عملية اللاوعي لندرك أنه ليس هناك ما يمكن كسبه من منهج الحتمية.

وهناك بعض الأمثلة الأساسية تدعم هذه النقطة. إذا تذكرنا نظرية "فرويد" للعملية الأولية، فندخل معه في قلب منطق القلق من عمليات اللاوعي. ولكي نحدد جانبا واحدا فقط، دعونا ننتقل للحظة إلى " التقلبات الغرائزية " وهذا ما يسميه "فرويد" " الالتفاف حول غريزة المفحوص نفسه":

> **يتم الالتفاف حول غريزة المفحوص نفسه حتى تصبح مقبولة بواسطة انعكاس المازوخية التي هي في الواقع تحول السادية على أنا المفحوص نفسه، وهذا الاستعراض يشمل النظر والبحث في جسده. لا تترك الملاحظة التحليلية، في الواقع، لنا شك في أن المازوخي يشارك في التمتع بالاعتداء عليه، وأن الاستعراضي يشارك في التمتع باستعراضه ["فرويد" 1915، ص. 127]**

ومن الواضح أن الآثار المترتبة على عملية من هذا النوع تبطل فكرة وجود علاقة سببية مباشرة بين الأعراض والتشخيص؛ يفترض نشاط الأعراض السادية منطق متناقض من التحول ضد الذات. دعونا نلقي نظرة أخرى على عواقب هذه الملاحظة، ونفترض أن هذا المنطق المتناقض يكون مستقر فيما يتعلق بالعمليات اللاواعية. وبالتالي فإننا قد نفترض معادل ثابت:

المازوخية/ السادية والاستعراض/ استراق النظر

لكن على الرغم من استقرار هذا المعادل، فنحن ليس لدينا ما يبرره في إجراء التشخيص المضمون على أساس مظاهر الأعراض. وخبرتنا الإكلينيكية اليومية في الواقع تكمن في هذا الضمان. دعونا نفترض أن أعراض استراق النظر تشير منطقيا للاستعراض، فتؤكد لنا أن التحول ضد النفس هو قانون ثابت. فهل يمكننا أن نذهب إلى استنتاج تشخيص الشذوذ على أساس مراقبة أعراض مثل الاستعراض؟ هذا غير وارد بأي حال من الأحوال. وتثبت لنا التجربة الإكلينيكية أن المكون الاستعراضي يمكن أن يكون بارزا جدا في حالات الهستيريا، كما نرى ميل الاستعراض أو "التعري" عند حالات الهستيريا.

دعونا ننظر لمثال آخر، أعراض الانتظام والترتيب، تلك التي عند مفحوصين محددين يمكن أن تكون عائقا حقيقيا عندما يتعلق الأمر باتخاذ قرار. والآن نظرية "فرويد" التقليدية قد جعلت هذه الفكرة مألوفة أن هذه الخصوصية السلوكية تنبع من العنصر الشرجي الاستثاري وهو الميل التأسيسي للعصاب الوسواسي ("فرويد" 1908، 1913/ أ، 1917/ أ). عندما نتعامل مع هذا النوع من الأعراض، فهل يجب علينا صياغة تشخيص وفقا لذلك الوسواس؟ هنا مرة أخرى يجب علينا أن نكون حذرين للغاية. وتكشف التجربة الإكلينيكية مرارا عن الوجود النشط لهذه الأعراض في بعض حالات الهستيريا. في بعض حالات الهستيريا لدى النساء يظهر العرض الهستيري بالكامل في الاهتمام بالمهام المنزلية. ونحن ندرك بسهولة أن هذه الحالة " اقترضت من الزواج"؛ بسبب رغبة المرأة في استباق رغبة الآخرين، فالمرأة يمكن في الواقع أن تقترض بسهولة جدا هذا العرض من زوجها الوسواسي من خلال عملية التوحد الهستيري.

يوضح هذا المثال مرة أخرى أنه ليس هناك استمرارية مباشرة بين الرسوم البيانية للأعراض وتصنيف التشخيص. والفجوة بين ملاحظة الأعراض وتقييم التشخيص يجعل من الضروري إعادة تركيز المشكلة في ضوء خصوصية عمليات اللاوعي، وهذه لا يمكن ملاحظتها مباشرة بدون المشاركة النشطة للمريض، وهذه المشاركة تكون من خلال الكلام.

ونحن نواجه هنا واحدة من ثوابت "فرويد" الأساسية، والتي تظهر على العتبة الأولى من الصرح التحليلي، أي أن الحلم هو الطريق الملكي إلى اللاوعي. ولكن هذه الثوابت تنطبق فقط على المفحوص الذي يمكن أن يتحدث في حواره حول حلمه. فهذا الحوار هو الطريق الملكي. وبدون ذلك، لن يكون هناك أي وسيلة لفك

شفرة عمل اللاوعي. هذا هو ما كان يدور في خلد "لاكان" (1957) في ملاحظاته التوجيهية في سياق كتابه المشهور " العودة إلى فرويد":

> **وكيف يمكن لمحلل نفسي اليوم ألا يدرك أن الكلام هو المفتاح لتلك الحقيقة، حيث أن تجربته برمتها يجب أن تجد في خطاب المفحوص أدواتها وسياقها ومادتها وحتى ضوضاء الخلفية لعدم اليقين... وما تكتشفه تجربة التحليل النفسي في اللاوعي هو الهيكل الكامل للغة. [ص 147]**

وفي أوائل عام 1956 أكد "لاكان" على أهمية الخطاب في تجربة اللاوعي:

من أجل معرفة ماذا يحدث مع المحللين، يجب علينا أن نعرف من أين يأتي الخطاب. ولكي نعرف ما هو مستوى المقاومة، يجب علينا أن نعرف ما الذي يشكل عائقا أمام ظهور الخطاب... [لماذا يتم التهرب من الأسئلة التي تثير اللاوعي؟

إذا كان ما يسمى التداعي الطليق يتيح لنا الوصول إلى اللاوعي، هل هذا يحدث من خلال إطلاق مثل تلك الانعكاسات العصبية؟ `

إذا كانت المحركات التي نكتشفها هناك على مستوى الدماغ البيني، أو حتى الدماغ الشمي، كيف يمكننا أن نتصورهم كما تم تنظيمهم من حيث اللغة ؟

لأنه من البداية، فإنه بواسطة اللغة تصبح نتائج المحركات معروفة، والحيل التي لدينا منذ تعلمنا أن ندرك، ومع ذلك تعطينا في تفاهتها وكذلك في دقتها إجراء لغوي [ص ص. 461، 466].

وإذا عدنا بشكل مباشر إلى إشكاليات الأعراض، فدعونا نسترجع صيغة "لاكان" (1953) في "خطاب روما " حيث يقول أن " [العرض] يحدد نفسه تماما في تحليل اللغة، ذلك لأن العرض هو نفسه منظم مثل اللغة لأنه من خلال اللغة يتم تقديم الخطاب" (ص 59، ترجمة معدلة). وحيث أن تشكيل الأعراض يعتمد على الخطاب واللغة، يجب يأخذهم التشخيص بالضرورة في الحسبان، حيث أن معالم التشخيص البنائي تحدث في هذا السجل وحده. ولكن مثل هذه المعالم البنائية هي عناصر يمكن الاعتماد عليها في التقييم التشخيصي فقط بشرط أن نتمكن من الاحتفاظ بها منفصلة عن أعراض محددة. ولا تكون هوية العرض أي شيء إلا جزء يجب أن ينسب إلى نتائج اللاوعي. يتطلب التحقيق التشخيصي منا أن نجد دعمنا لهذا الجانب من العرض، وفي فضاء العلاقات المتبادلة بين الذوات الذي

وصفه "فرويد" (1912) في استعارة الهاتف المشهورة مثل الاتصالات من اللاوعي إلى اللاوعي.

هذا الفضاء في العلاقات المتبادلة بين الذوات، بعبارة أخرى، هو أمر ينظمه صياغة الخطاب. ولذلك فهو يتكشف في النطق بالكلام والذي يجعل المعالم البنائية للتشخيص تظهر كاختراقات مما يدل على رغبة الشخص الذي يتحدث. هذه المعالم هي مجرد قرائن تشير إلى أداء البنية الشخصية. على هذا النحو، فإنها يمكن أن توفر معلومات عن هذا الأداء فقط لأنها تمثل معالم شكلتها ديناميات الرغبة. لأنه في الواقع تتميز خصوصية بنية المفحوص أولا وأخيرا بملف تعريف محدد سلفا من اقتصاد رغبته، والذي يتبع مسار نمطي. ومثل هذه المسارات المستقرة هي ما ادعوها الصفات البنائية. تظهر معالم التشخيص البنائي، بعد ذلك، كمؤشرات مشفرة عن طريق الصفات البنائية التي هي في حد ذاتها دليل على اقتصاد الرغبة. ومن هنا جاءت ضرورة، إننا إذا أردنا أن نكون واضحين بشأن طبيعة منطوق التشخيص في التحليل النفسي، للتأكيد على التمييز بين الأعراض والصفات البنائية. وتوضح أي حالة إكلينيكية الفرق. (لقد قدمت في مكان آخر مثال واسع ومفصل من علاجي لحالة هستيريا. جويل در، 1987) وهذا استدعاء لإصرار "فرويد" على حقيقة أن العرض يتم دائما تحديده بشكل مبالغ فيه، وهذا يرتبط مباشرة بأداء عملية التكثيف الأولية خاصة. ونتيجة لذلك يقدم العرض نفسه على أنه من المواد الهامة التي توضح أكثر مما يظهر لأول وهلة وهذه فرصة جيدة لتأكيد حجة "لاكان" أن العرض هو كناية تدل على عملية الاستبدال (در 1996/1985) [1].

وفي ظل هذه الظروف، يمكننا أن نفهم كيف أن طبيعة العرض ليس لديه سوى قيمة مدللة على أنه عشوائي كما انه لا يمكن التنبؤ به. وكونه تشكيل من اللاوعي، فيعد العرض كمكون من المطابقات المدللة على التوالي. ولكن في هذه المطابقات، لا يطيع اختيار المدلول أي مبدأ ثابت؛ ويتم الاختيار من خلال التشغيل المتزامن للعمليات المجازية والكناية (در 1996/1985) [2]. المكونات الدلالية

1- ملاحظة المحررة: بالنسبة إلى لاكان، الاستعارة هي الدال الذي يعبر عن دال آخر. وبالتالي فالعرض يمثل إجراء تبديل دال يحتاج إلى فك رموزه من خلال سلسلة من المترابطات التي من شأنها أن تؤدي إلى الدلالات الأخرى في خطاب المريض. وبالتالي فإن العرض لا يكون له معنى ثابت ولكن هو تأثير عمليات التكثيف والإزاحة التي وصفها "فرويد" (1900) في تفسير الأحلام.

2- ملاحظة المحررة: تتوافق عملية الاستعارة مع ما يسميه "فرويد" التكثيف، وهي عملية الكناية بالنسبة لعملية الإزاحة عند فرويد. لأنه، وفقا لما يراه لاكان، يتم تنظيم اللاوعي مثل اللغة، وهناك تشابه بين المحاور التزامنية والتطورية التي تقوم ببناء اللغة وعمليات التكثيف والإزاحة كما وصفها فرويد. وبعبارة أخرى المبادئ التي تنظم بنية اللغة لا تختلف عن تلك التي تنظم اللاوعي. وبالتالي فالنسبة إلى لاكان، الخطاب الواعي وتشكيلات اللاوعي كما تظهر في الأعراض مثل زلات اللسان والأحلام والنكات يتم تنظيمها وفقا لقواعد مثل تلك التي توجد في اللغة.

التي تشكل العرض هكذا تظل تعتمد اعتمادا مباشرا على أوهام اللاوعي. ومع ذلك وجنبا إلى جنب مع العشوائية النسبية لاختيار المدلول ينطوي عليه تشكيل اللاوعي، وهناك الحتمية لا مفر منها، وهي الحتمية التي تحدث فيها إدارة المواد الدالة بعيدا عن وعي المفحوص. وهذه الإدارة هي سمة لأداء بناء الطريقة الخاصة التي يتم فيها تداول الرغبة [1]. ولذلك يجب تخصيص التقييم التشخيصي لتحديد هذا النمط من التعامل مع الرغبة، التي هي وحدها المسئولة عن جلب الصفات التي يمكن ملاحظتها وأيضا المستقرة.

ومن هنا يبدو أن مشكلة التشخيص تعتمد على قضية جديدة؛ ما هو الثبات، وإذا كان موجودا، لهذه الصفات البنائية التي بدورها تفترض مسبقا وجود بعض الاستقرار في تنظيم البنية النفسية؟

1- ملاحظة المحررة: سوف يتجه المحلل نحو اكتشاف هذا الوضع التشغيلي لرغبة المرضى بسبب المكانة التي تحتلها في الوضع النفسي. ويوضح الطلب على التحليل أن المريض يمنح المحلل المعرفة المفترضة عن أسباب آلامه. ولذلك فإن خطاب المريض سيكشف عن طبيعة رغبته من خلال الكلمات، والتشوهات، أو زلات اللسان التي ستظهر في وصف ما جاء به المريض للعلاج منه. ويحتل المحلل، حيث أن " هذا المفحوص الذي يفترض أن يعرف"، مكانة تسمح للانتقال بالتحرك من بداية العلاج.

3

الوظيفة الأبوية والبنية النفسية (1)

ينشأ كل فرد على أساس المشاعر الأوديبية بنية نفسية، أو ما يسميه "فرويد" "اختيار" الفرد للعصاب الخاص به. وعلاقات الحب الأوديبية ليست سوى التعبير الصاخب لعلاقة هذا المفحوص مع الوظيفة القضيبية وتسمى أيضا الوظيفة الأبوية. في حين تجلب هذه العلاقة النظام بحيث أنها تنظم البنية النفسية في حين أنها أيضا تجلب الفوضى، وحيث أن البنية النفسية لها سمة مميزة بكونها محددة لواحدة وللكل. كيف يمكن لعامل النظام أن يكون مرتبط بشكل مباشر بعامل الاضطراب؟ كيف لنا أن نفهم أن البنية النفسية تمثل مرحلة حاسمة في الاقتصاد النفسي، بينما في نفس الوقت هذا الاقتصاد يمكن أن يكون السبب الرئيسي للاضطرابات النفسية؟ (2).

في محاولة للإجابة على هذه الأسئلة، أريد أن اركز على كيفية أن اقتصاد الرغبة، تحت تأثير الوظيفة القضيبية، يمكن أن يؤدي إلى أنواع مختلفة من البناء. والتمييز بين هذه الأنواع أمر ضروري إذا كنا نسعى لكسب معرفة دقيقة حول التشخيص الإكلينيكي. هنا ذكريات المشاعر الأوديبية تكون في غاية الأهمية، لأنه من خلال تقلباتها يمكن أن يتفاوض المفحوص حول علاقته أو علاقتها بالقضيب، وهذا بالتزامن مع الرغبة والنقص (3).

1- ملاحظة المحررة: تشير الوظيفة القضيبية إلى مفهوم "فرويد" للقضيب. وفي نظرية لاكان، الوظيفة القضيبية هي المبدأ المنظم لدينامية الرغبة للمفحوص. إذا في عالم الخيال للفرد، كان الفالوس بمثابة كائن وهمي حيث أن المفحوص سوف يريد أولا أن يجسده ومن ثم ينتقل إلى امتلاكه (أو يسعى إليه في شريكه في العلاقة الغرامية)، في رمزية النظام، وهذا في عالم اللاوعي- يعمل الفالوس بوصفه الدال على الخسارة، ورمزا لعدم وجود التكامل بين الجنسين.

2- في مكان آخر (جويل در 1987) تعاملت هذه القضية من خلال اقتراح التشبيه المجازي للحفاظ على الذات من البناء كما هو موضح في البيولوجيا الجزيئية.

3- ملاحظة المحررة: إن مفهوم النقص يشير إلى نظرية "لاكان" عن الإخصاء الرمزي لفرويد، وحل عقدة أوديب يعتمد على خوف الصبي من الإخصاء وحسد الفتاة للقضيب، في حين أنه بالنسبة إلى "لاكان" يجب على كلا الجنسين الخضوع لنفس العملية المؤلمة والضرورية التي يستتبعها الإخصاء الرمزي. ويربط "لاكان" خضوع الطفل لتحريم سفاح القربى مع مدخله في بنية اللغة. وقدرة الإنسان على الترميز تعتمد على قبوله للخسارة، خسارة من التكامل الوهمي مع الأم. كما أشار هيغل (1985/1807) إن الكلمة تقتل الشيء. تتكون هذه الخسارة في تخلي الفرد عن مكانته المتميزة مثل فالوس الأم من أجل وضع نفسه في العالم الاجتماعي بأنه شخص "لديه قضيب" أو " ليس لديه". والوصول لهذا هو تحدي مستحيل تقريبا، والذي يسميه "لاكان" الإخصاء الرمزي، سوف يقدم للفرد الضمان الحلو المر لأن رغبته لن تموت أبدا، لأنها سوف تبقى دائما تعتمد على رغبة الآخر. وعلى أمل العثور على الفالوس المتخيل الذي سيضمن التكامل بين الجنسين سوف يكون دائما مؤجلا، لأن الدال القضيبي، تأثيره في اللاوعي، يسبب الرغبة على وجه التحديد لأنه هو الدال على النقص.

هذا، بطبيعة الحال، ينطوي على استعراض مفصل للدينامية الأوديبية بأكملها، والتـي لعـب بهـا في جدلية كونه القضيب أو امتلاكه. وهذه هي المرحلة التي ينتقل الطفل فيها من الوضع الـذي يتوحـد مـع فالوس الأم إلى موضع آخر الذي ينبذ فيه هذا التوحد، وبالتالي يقبـل الإخصـاء الرمـزي. يميـل الطفـل الآن للتوحد إما مع هذا الموضوع الذي لا يفترض أن يكون لديه الفالوس أو مع الشخص الذي يفترض أن يكون لديه الفالوس. وهذا يحدث في سياق عملية الترميز التي يسميها "لاكان" استعارة اسم الأب (1).

لقـد وصـفت هـذه الجدليـة الأوديبيـة بمزيـد مـن التفصـيل في مقـدمتي لقـراءة "لاكـان" (در 1997/1985). فما أريد أن أفعله هنا هو التركيز على بعض المراحـل الرئيسـية للديناميـة الأوديبيـة، تلـك اللحظات الحاسمة للمفحوص عندما تكون مخاطر الرغبة التـي حشـدها بالعلاقـة بالفـالوس هـي الأكـثر احتمالا أن تحدث لمثل هذا التنظيم البنـائي. والبنـاء الـنفسي المختلـف للمنحـرف والوسـواسي والهسـتيري والذهاني يتحدد بواحدة أو أخرى

من هذه المراحل الحاسمة. وينشئ من أجلها هذا البناء عندما تدخل رغبات الأم والأب والطفـل في صراع بشأن الموضوع القضيبي. وكما أكدت بالفعل عددا من المرات، فهذا البناء النفسي يكون نهائي. ولكن ونحن نمضي قدما في هذه القضية الشائكة، أريد أن أوضـح أن البنـاء يتحـدد بشـكل لا رجعـة فيـه، فمـن الصحيح أيضا أن عمل البناء يكون عرضة " للتغييرات في الإدارة ".

ويجـب علينـا أن نـدرك، بكـل بسـاطة، أننـا كموضـوعات فـنحن لـيس أكـثر مـن الآثار المترتبة على الـدال. وبنـاء عـلى اتجـاه هـذه الآثـار الدلاليـة التـي يشـغلها البنـاء ولا يكون لنا أي سيطرة عليها. إن غاية مـا نسـتطيع القيـام بـه هـو الترفيـه عـن فكـرة

1- ملاحظة المحررة: اسم الأب أو الاستعارة الأبوية يمكن سماعه مثل كلا من لا / كلا، والأب واسمه. هذه التورية تحتوي على البعدين مما يفهمه "لاكان" عن الإخصاء الرمزي: الجانب السلبي الذي يفرض تحريم سفاح القربى (" لا "، يقـول الأب، "أنت لا يمكنك أن تكون فالوس والدتك، والموضوع الوحيد لرغبتها") وعـلى الجانـب الإيجـابي، وضـع الطفـل في نظام الأجيال (كابن أو ابنة للأب والأم) والذي يضع الطفل في العالم الاجتماعي، عالم اللغة. وتعبير "لاكان" "الاسـتعارة الأبوية" لا يشير فقط إلى المعنى المزدوج من كلا/ واسم الأب ولكن أيضا يشير نحو اللغة في حد ذاتها كرمز لما قد ضاع بلا رجعة عندما يصبح الطفل موضوعا ناطقا. وأثناء الحديث لا يعرف الطفل أنه يرمز، من خـلال اللغـة، إلى موضـوع شغفه البدائي. وبالنسبة إلى "لاكان" فإن الإخصاء ليس مجرد الخوف مـن فقـدان أو ضـياع القضـيب، بـل هـو عمليـة رمزية تقطع الرابط الوهمي بين الأم والطفل والذي يمنح الصبي أو الفتاة القدرة على ترميز هذه الخسارة مـن خـلال الكلمات. ولذلك لا يقوم الخوف من فقدان القضيب أو الإحباط لعدم وجوده على أساس " المصير التشريحي"، بـل في ديناميات العمل ضمن نطاق العلاقات المتبادلة بين الذوات التي يتواجد فيها الأم والأب والطفل.

خيالية لدينا عنها رأي في هذه الإدارة، وهذا هو السبب في أن كل واحد منا يضطر إلى التمسك ببناء مثل هذا الخيال. ولكن مع وجود رأينا فنحن لا نغير الأمور في أي شيء، حيث أننا نكذب بكلماتنا حتى ونحن ننطق بها. وباستدعاء ملاحظة "فرويد" الشهيرة التي تقول بأن الأنا ليس سيد في بيته. فعلينا أن ندرك الآثار التي لا مفر منها من هذا البيان؛ لا أحد ملزم بالاشتراك بها، ولكن تظل الحقيقة أن هذا الاكتشاف لفرويد يكشف عن الحقيقة حول بنية رغبة المتكلم. حتى لو كان، كما يكرر "لاكان" كثيرا، نحن لا يمكننا إلا قول نصف هذه الحقيقة، ولكنها هناك بمثابة تذكير لطبيعة البناء وفي الرغبة التي تحاول التعبير عن نفسها من خلال هذا البناء. وللتأكيد أكثر لا يزال يوجد عدم قابلية الاختزال للبنية اللغوية، ينبغي أن نتذكر أنه أكثر حسما لأن اختيار هذا البناء، للمفحوص، هو بالضبط الوسيلة التي يدخل بها النظام الرمزي[1].

الانضمام إلى النظام الرمزي، واسمحوا لي أن أذكركم، هو الانضمام إلى الذاتية على هذا النحو. وسيتم تحديد بنية نفسية للمفحوص كونه يحجز لنفسه مكانا في النظام الرمزي.

1- ملاحظة المحررة: النظام الرمزي هو ترتيب اللغة والثقافة، والبناء المتزامن الذي يحيط بالطفل، من خلال عمل تحريم سفاح القربى (استعارة الأب). هذا المفهوم الرمزي كان أول من اقترحه عالم الأنثروبولوجيا البنيوية ليفي شتراوس، الذي أظهر كيف أن التباديل في العمل في البنى الأساسية في القرابة لن تقيم حظر سفاح القربى بوصفه القانون الذي يحول الطبيعة في الثقافة فحسب، بل تكشف أيضا عن أن اللغة والثقافة على حد سواء يتشكلوا من خلال نظام رمزي يعمل على مستوى اللاوعي. قام "لاكان" بتطبيق بعض نتائج ليفي شتراوس إلى التحليل النفسي وذهب لشرح كيفية تقديم الطفل لحظر سفاح القربى حيث انه أمر ملازم لمدخله إلى اللغة. ودعا إلى اخذ نتائج اللسانيات البنيوية في الاعتبار لشرح العلاقة المعقدة بين الديناميات الأوديبية واللغة، وذلك باستخدام مثال "فرويد" (1920) الشهير للعبة ذهبت/ عادت ومثال رومان جاكوبسون (1971/1956) في علم الأصوات لتوضيح أن طريقة اكتساب اللغة تسير جنبا إلى جنب مع عملية القمع البدائية. وأظهر جاكوبسون أن كل لغة يمكن تخفيضها بنائيا إلى اثني عشر زوجا من الأزواج الصوتية المتميزة، ويتناقض فسيولوجيا انه دعا قطبي الأصوات المتعارضة. على سبيل المثال المعارضة بين حرفي O/A باللغة الألمانية. لذلك، عندما كان حفيد "فرويد" يقول ذهبت/ عادت ليرمز لمغادرة الأم وعودتها، وانه في تلك المرحلة بدأ استيعاب "الميزات التفاضلية" وهي سمة مميزة للغة الألمانية. ومن خلال التعبير بفرح، من خلال الكلمات، عن قدرته على السيطرة على الخسارة، يظهر الطفل بهذه الطرفة النموذجية في نفس الوقت القمع الذي سبب حزنه، وجاء اللاوعي عنده إلى حيز الوجود. من هذه اللحظة فصاعدا في النمو، سيصبح اللاوعي مستودع للجميع الآثار الصوتية المتعلقة بالتجارب اللاحقة من فقدان أو نقص.

وعلاوة على ذلك، أعاد "لاكان" تفسير الفروق بين اللغة/ الكلام والدال/ المدلول لدى سوسير (1916) من أجل إظهار كيف أن بناء اللاوعي وبنية اللغة لديهم وسائط مماثلة من العملية، بالنسبة لسوسير، يتم تحديد الكلام عن طريق نظام القيم (اللغة) التي تعمل خارج نطاق سيطرة الفرد. العلاقة بين المفهوم وصورته الصوتية لا تنجم عن تقارب خاص بين الكلمة ومرجعها ولكن يتم تحديدها من قبل العلامات الأخرى التي تؤلف لغة معينة. وبهذا المعنى، فإن العلاقة بين الدال والمدلول تدل أن اللغة هي عبارة عن كيان له قوانينه ونظمه التي تعمل بشكل مستقل عن عالم الوجود الذي يمثله هذا الكيان. وبالنسبة للاكان، فالخط الفاصل بين الدال والمدلول يعبر عن العلاقة الإشكالية بين ما يقال بوعي وما تم منعه من الخطاب الواعي:

هذا التنظيم الهيكلي، الذي تشكل في تجاويف الخفية للجدلية الأوديبية، مطبوع من قبل اثنين من المراحل القوية التي يمثلها بُعد الكينونة وبُعد الامتلاك فيما يتعلق بالقضيب. وهناك بعض المخاطر التي تؤثر على الوظيفة القضيبية لدى الطفل في دينامية المرور من الكينونة إلى الامتلاك. ومثل المنظم لعقدة أوديب، تفترض الوظيفة القضيبية أربعة أبطال: الأم، والأب، والطفل، والفالوس. وهذا المصطلح الأخير هو العنصر المركزي الذي تنجذب حوله الرغبات الثلاثة الأخرى. ومن هذا المنطلق كان "لاكان" يقول، في كلمة للحكماء، أنه من أجل القيام بالتحليل النفسي على المرء أن يكون قادرا على العد على الأقل إلى ثلاثة، ولكن تظل الحقيقة أن في هذا الحد الأدنى من الإلمام بالقراءة والكتابة العددية، مع العلم بكيفية العد إلى ثلاثة والذي له معنى خاص لمعرفة كيفية العد إلى ثلاثة بعد واحد، وهو ما يعني ضمنا العد إلى أربعة. وفي الواقع حيث أن الفالوس هو العنصر الأول، فهو النقطة المرجعية الوحيدة التي يمكن المفحوص من تنظيم رغبته في علاقتها برغبة فرد أخر.

يمكننا القول أنه في سلسلة من الدلالات أن المعنى "يصر" إلا أن أيا من عناصره تتكون في المغزى التي هي في الوقت الراهن قادرة. نحن مضطرون لقبول فكرة وجود انزلاق متواصل من المدلول تحت الدال ["لاكان" 1977، ص 153-154]

ومن هذه النقطة المرجعية فالفالوس هو العنصر الذي تم إدراجه خارج سلسلة الرغبات، لأنه في ما يتعلق بالفالوس فأن سلسلة الرغبات يمكن أن تتشكل، وأيضا العنصر الذي يحكم إمكانية إصدار هذه السلسلة، حيث في غيابه لا يمكن للرغبة الحصول على مراسيها الأولي، وأنه من هذه النقطة يصبح لدينا تحديد ما إذا أردنا أن نكون دقيقين في تحديد المراحل الحاسمة التي أشرت لها أعلاه. والأكثر أهمية هو تحديد تلك اللحظات التي يتداخل فيها اقتصاد رغبة الطفل مع الوظيفة القضيبية، ويأتي إلى شروط معها على مستوى الإدراج.

وتتميز الوظيفة القضيبية في المقام الأول بالنفوذ الذي يفترضه الدال القضيبي للطفل في سياق تطوره الأوديبي. ومن وجهة النظر الهيكلية، فإن المرحلة الحاسمة الأولى هي الدعوة إلى مسألة التوحد القضيبي للطفل، والتي هي تجربة تعريفية

رئيسية حيث يتعرف الطفل بطريقة جذرية على موضوع واحد فقط وهو رغبة الأم، وهو موضوع الرغبة عند الأخر، وبالتالي مع فالوسها.

ومثل هذا الاستجواب أمر ضروري للطفل، وذلك لأن من خلال ذلك سوف يواجه الطفل في نهاية المطاف "شخصية الأب". وشخصية الأب هنا ليست وجود الأب ولكن كوسيط للرغبة. لان ما يحدث هو أن تدخل شخصية الأب سوف تعرض نمط جديد من الكمية الموجهة للاقتصاد في رغبة الطفل، وهذا هو ما نعنيه بوظيفة الأب، فهي ليست شيئا مختلف عن الوظيفة القضيبية بكل ما بها رمزية ما يترتب على ذلك.

وتعمل الوظيفة القضيبية فقط بقدر ما يوجه لها من رغبة الطفل فيما يخص وكالة التوسط الرمزية، الأب الرمزي. وبعبارة أخرى، يجب أن نضع في الاعتبار تمييز "لاكان" الأساسي بين الأب الواقعي، والأب المتخيل، والأب الرمزي. وفي وقت آخر سأحاول إظهار ما هو الفرق الجوهري الذي يصنعه هذا التمييز في تنظيم بنية المفحوصين (جويل در، 1989). وهذه ليست مجرد ازدواجية ثلاثية التي توضح الواقعي والمتخيل والرمزي [1].

الأب الواقعي هو الأب في واقع كيانه، بمعنى انه الأب هنا والآن، إذا كان هو الأب البيولوجي أم لم يكن كذلك. ولكن هنا والآن من تاريخه، فهذا الأب الواقعي ليس هو الشخص الذي يتدخل في سياق التجربة الأوديبية. ولكن الشخص الذي يتدخل هو الأب المتخيل، بالمعنى الكامل الذي أعطاه "فرويد" لصورة المفهوم. وينظر الطفل إلى الأب فقط بهيئة صورة الأب، التي هي شخصية الأب كما هو في مصلحة الطفل أن يتصوره في الاقتصاد من رغبته. بل أن شخصية الأب أيضا

1- ملاحظة المحررة: التحليل النفسي لدى "لاكان" يقرأ "فرويد" بطريقة تهدم الثنائيات الكلاسيكية بين الطبيعة والثقافة، والفرد والمجتمع، والواقع الداخلي والخارجي. الواقعي، والمتخيل، والرمزي تحلل النفس إلى ثلاث فئات بدلا من اثنين.

الواقعي هو الواقع في شكله البسيط ودون وساطة. وهو ما يعطل تلقى المفحوص المفاهيم حول نفسه والعالم من حوله، وبالتالي فإنه يبدو بشكل مميز للمفحوص بوصفه لغز تحطيم، لأنه من أجل إعطاءه معنى سوف يضطر المفحوص إلى استخدام الرمز معه، بمعنى العثور على الدوال التي يمكن أن تضمن سيطرتها. المتخيل هو عالم من التجربة الذاتية في حد ذاته، هو العالم كما يبدو للمفحوص. ويفسر لاكان نشأة المتخيل في مرحلة المرآة، والخبرة القديمة التي واجه فيها الطفل انعكاسه في نظرة (الأم). ومنذ تلك اللحظة فصاعدا، فإن كلا من إدراك الطفل للعالم وخياله سوف يتشكل بناءا على تجربته لمثل هذه النظرة. والترتيب الرمزي هو ترتيب اللغة والثقافة. وهو بناء تقييدي مفروض على الطفل من خلال قانون اسم الأب. والقمع الذي ينطوي عليه هذا القانون يتسبب في تشكيل اللاوعي. الواقعي والمتخيل والرمزي معا ينسجون واقع المفحوص في جميع الأوقات. ودائما ما تتشابك هذه الفئات ولا يتم معالجتها أبدا من قبل المفحوص في شكلها البحت أو المعزول. ولا يستطيع غير الذهاني فقط فك عقدة هذا الثلاثي: الواقعي والمتخيل والرمزي.

التي يقدمها الطفل لنفسه وفقا لطريقة الأم بالتحدث إلى الطفل عن الأب. وعلى الرغم من وجود تمييز واضح بين الأب الواقعي والأب المتخيل، وطبيعة الأب الرمزي وهو يظهر بشكل واضح، منذ تدخله البنائي في الجدلية الأوديبية كأثر دلالي بحت، وهذا الأثر الدلالي هو في الأساس كل ما يتعلق بوظيفة الأب. ولكن حيث أن وظيفة الأب بنائية، فإنه يجب أن تتدخل في سجل الإخصاء (جويل در، 1989).

وبعبارة أخرى، عندما نقترب من مسألة دور الأب في عقدة أوديب، فيجب أن نكون حذرين حول المعنى الذي نعطيه لهذا الكيان الأبوي. ويجب علينا أن نعرف ما هو وضع الطفل وفقا لما إذا كان مرتبط بالأب المتخيل أم الأب الرمزي. وكحد أدنى، فهذا التمييز يفترض أن نكون قادرين على تحديد حصص الأوديبية خارج الواقع، لأن عقدة أوديب تبقى دائما تعبئة متخيلة من جانب الطفل. وهذا قبل كل شيء مسار متخيل أو الطريق الذي يبنيه الطفل لنفسه لكي يحل بطريقة ذاتية اللغز الذي يشكله الفرق الجنسي.

هذه الحقيقة لها نتيجة إكلينيكية هامة؛ حيث يلعب الأب الواقعي دورا ثانويا تماما في حصص الرغبة الأوديبية. وبالتالي يمكننا توضيح كل النقاط الغامضة المتضمنة في تعبيرات مثل "وجود الأب" أو "تقصير الأب"، وعندما ترجع هذه الصفات إلى الأب الواقعي، فلا يكون لهم تأثير كبير على البناء الجذري لوظيفة الأب الرمزي. في الواقع، فإنه لا يوجد فرق كبير في مسألة الوضع الأوديبي ما إذا كان الأب الواقعي موجود أم لا، مقصر أو لا. ومن ناحية أخرى، إذا كان وجود الأب أو تقصيره له علاقة بالأب المتخيل أو الأب الرمزي، وهذه الصفات تصبح قاطعة.

وبعبارة أخرى، يمكن أن تحدث هيكلة التنمية النفسية المثالية للطفل دون وجود الأب الواقعي (جويل در، 1989). ولكن مثل هذا السيناريو يفترض الوجود التأسيسي للآباء المتخيل والرمزي. وهذا ليس تناقض، على العكس من ذلك، فالمطلوب هو الكلمات والكلام، ويجب دائما أن يدل الأب للطفل، حتى لو لم يواجه الطفل مع وجوده الفعلي. والهيكلة أو البناء بالنسبة للطفل هو أن يكون قادر على تخيل أب، بمعنى توضيح شخصية الأب المتخيل على أساس من سيصبح عليه الأب الرمزي في وقت لاحق. هل يجب أن يكون الأب الواقعي غائب أو " أعلن عدم وجوده"، إلا أن هذه الحالة تبقى وهي أن الوظيفة البنائية دائما ما تكون فعالة

بشكل محتمل إلى حد أن الإشارة إلى "الآخر" تدل، في خطاب الأم، باعتبارها وكالة ثالثة تتوسط رغبتها، وهي رغبة الأخر.

وبالأساس فمن خلال الأب المتخيل، على الرغم من ذلك، أن الطفل الأوديبي يتعامل مع الأب كعنصر تخريبي الذي هو عرضة للطعن في تأكيد هويته القضيبية. ومثل هذا التحدي لا يرتقي أبدا ليصل لدرجة الواقع. ويمكن أن يتدخل فقط لأنه بالفعل هناك وحاضر ضمنا في خطاب الأم. حتى إذا لم يلاحظه الطفل على الفور، لكنه لا يزال يعي أن الأم تدلل على نفسها على أنها موضوع رغبة الأب المحتملة. علاوة على ذلك، فهذا الهاجس هو الذي يقود الطفل لأكثر من تفسير لوضعه الخاص إذا كانت الأم معنية بهذا الأمر. عندما يبدأ في الشك في أنه ليس الموضوع الوحيد لرغبة أمه، فإنه يحول بطريقة متخيلة هذه الملاحظة إلى قضية تنافسية. فإنه يحاول أن يحجب حقيقة أن أمه يمكن أن ترغب في أبيه. وفي نفس الوقت، فإنه يحول الأب إلى موضوع منافسة في رغبة أمه. وبالتالي يصبح الأب الموضوع القضيبي المنافس للطفل فيما يتعلق بالأم. ويمكن فهم تحدي الهوية القضيبية للطفل فقط في سياق التنافس القضيبي بالمعنى الدقيق للكلمة: " أكون أو لا أكون" الفالوس، كما وضحه "لاكان" (1957-1958).

فمن السهل أن نفهم لماذا تصبح الدلالات في غاية الأهمية في هذه المرحلة الحاسمة، لأنه من خلال الخطاب يجد الطفل المعالم التي تمكنه من توجيه رغبته بمثل هذه الطريقة التي يمكن أن يتوسع بها نحو أفق جديد. ولكن هذا المسار يمكن أيضا أن تتم عرقلته إذا لم تكن هناك الدلالات المتسقة لتعزيز رغبة الطفل في بحثه المستمر في طبيعة الاختلاف الجنسي.

الدلالات تعمل هنا كدينامية لعملية واحدة بل يمكن القول، كعامل محفز. لدرجة أن خطاب الأم يترك الطفل في حالة من التشويق حول مسألة موضوع رغبتها، وهذا السؤال يعصف بالطفل بقوة أكبر ويؤدي به إلى مزيد من التحقيق والتساؤل. هذا " التعلق الدال" هو أمر أساسي في مواجهة لغز الفرق الجنسي، لأنه يفرض على الطفل التحقيق في رغبة أمه ابعد مما قد تنتهي إليه توحده القضيبي. ويوفر خطاب الأم دعما قويا لمزيد من التحقيقات التي من شأنها أن تؤدي بالطفل إلى عتبة مشكلة حتى أكثر غموضا من الإخصاء. وبعبارة أخرى، فإن دلالات الأمهات يمكن أن تكون العامل الحاسم في تحرك الطفل نحو فضاء أخر من هذا الذي تتفاوض فيه رغباته الفورية معها.

ولكن إذا كان هذا الزخم من جانب الطفل الذي يواجه حتى أصغر عقبة، سوف يُسقط ديناميكية الرغبة لديه في حالة تسود على الجهد النفسي الذي يجب عليه أن يبذله من أجل مكافحته. هذا التعلق القسري لتحدي التوحد القضيبي يمكن أن يؤدي إلى تكيس للاقتصاد الرغبة بأكمله، والذي بدوره سوف يساهم في إنشاء تثبيت نفسي لا رجعة فيه، وهذه هي المسألة في منظمة البناء المنحرف، وهنا على وجه التحديد نجد أصل كل الصفات التي نستند عليها في التشخيص في مجال التحليل النفسي الإكلينيكي.

2

الجزء الثاني

البناء المنحرف

الجزء الثاني

البناء المنحرف

4

رؤية "فرويد" للانحراف

درس "فرويد" مختلف جوانب عملية الانحراف في أوقات مختلفة في سياق عمله. وميز في "ثلاثة مقالات في نظرية الجنسية" (1905 أ) بين التحولات والانحرافات بالمعنى الدقيق للكلمة. ويستند هذا الاختلاف على مرونة ميكانيزم المحرك وقابليته للانحرافات فيما يتعلق بأهداف وموضوعات المحركات. وتعكس التحولات الانحرافات المتعلقة بموضوع المحرك، والانحرافات المتعلقة بهدفه. ومع ذلك، فالذهاب وراء هذا التمييز الذي مع استثناء مفهوم المحركات الذي أخذه من الأمراض النفسية الكلاسيكية في وقته (كرافت – ابينج، 1899)، أكد "فرويد" على دور عملية الانحراف في التطور الجنسي الطبيعي واصفا الأشكال المتعددة لعناد الجنسية الطفولية وعودة ظهوره في الاقتصاد اللبيدي عند البالغين.

وجدلية "فرويد" في "ثلاثة مقالات في الجنسية" تؤدي إلى فصل أولي بين العصاب والانحرافات التي تتلخص في العبارة الشهيرة والإشكالية، أن العصاب هو معكوس أو "نيجاتيف" الانحرافات. وهذه الصيغة تسلط الضوء على أن القيام بذلك سيكون معناه قبول الاستنتاج الرهيب بأن توحده القضيبي متخيل ووهمي، وبالتالي انه بطريقة ما يجب أن يتخلى عن كونه الموضوع الوحيد والأوحد لرغبة أمه. ومن خلال توجيه رغبته تجاه الآخر، فيقوم الطفل بتعبئة هذا الخيال الواقي الذي يرفض واقع الفرق الجنسي لصالح البناء على أساس متخيل لموضوع مفقود افتراضا- ألا وهو الفالوس- وعلى فكرة الاختلاف الجنسي الذي يتحول إلى كونه مخصي أو غير مخصي. وبسبب هذا المنطق التخييلي، يفسر "فرويد" أن المواجهة مع الإخصاء حتما سوف تثير القلق عند الطفل. ويمكن لمثل هذا البناء الخيالي تشجيع الاعتقاد بخطر الإخصاء فقط؛ فيمكن أيضا أن يكون الطفل مخصي، لأن هذا قد حدث لأمه.

وفي هذه المرحلة يوضح "فرويد" بداية ظهور قلق الإخصاء، وبالتالي ردود الفعل الدفاعية التي تهدف إلى تحييده. ونية الأب النفسية الدفاعية هي دليل ليس

فقط على رفض الطفل لقبول الاختلاف الجنسي، ولكن أيضا على الجهد النفسي الذي عليه أن يبذله للهروب من الإخصاء مبكرا، ويبين "فرويد" كيف يمكن لهذه الدفاعات أن تدبر مسبقا وتوجه مسار الاقتصاد النفسي وفقا لبعض الطرائق التي نشير إليها الآن بنية الأب النفسية.

يميز "فرويد" بين ثلاثة طرق ممكنة للتعامل مع قلق الإخصاء، اثنان منهما حيث يقبل المفحوص وقوع الإخصاء بشرط أنه يمكن تجاوزه باستمرار، والطريقة الثالثة والأخيرة أن يقبله المفحوص، سواء كان يريد ذلك أم لا، ولكن تنتشر مجموعة كاملة من الأعراض التي تعبر عن الحنين إلى حالة ما قبل الإخصاء. والنتيجة الأولى هي الانحرافات، والثانية هي أعراض الحنين التي تظهر في العصاب الهستيري والوسواسي.

كما يرى "فرويد" فإن البناء المنحرف يبدو أنه ينشأ في حالة قلق الإخصاء وحشد الدفاعات ضده. ويلفت الانتباه إلى صفتين من العمليات الدفاعية لمنظومة الانحراف؛ التثبيت (والنكوص)، وإنكار الواقع. ووفقا له، فهذه الآليات هي الأساس في حالات الشذوذ الجنسي والشهوة الجنسية على التوالي.

الشذوذ الجنسي هو في الأساس نتيجة لردة فعل نرجسية دفاعية في مواجهة الإخصاء، في خلاله يتثبت الطفل اختياريا على تمثيل امرأة وهبت قضيبا. وهذا التمثيل يستمر بنشاط في اللاوعي ويؤثر على تطور مستقبل اللبيدو. إن القراءة المتأنية لمقال "في النظريات الجنسية للأطفال" (1908 أ) تساعد على التعليق هنا. ومنظومة عملية الانحراف في متغير مثلي الجنس يشير ضمنا إلى الشذوذ الجنسي عند الذكور، وهذا يشير بوضوح أن الشذوذ الجنسي عند الذكور مستمد من بناء الانحراف، ولكن يبقى السؤال مطروحا ما إذا كان نفس الشيء ينطبق على الشذوذ الجنسي عند الإناث. من المهم بصفة خاصة اخذ هذه المشكلة في الاعتبار من وجهة النظر التشخيصية. في الواقع، فإن فكرة أن البناء المنحرف موجود عند المرأة فهو يسبب إشكالية إلى حد ما، وعلى الرغم من ذلك، لكي نتأكد من هذا فيمكننا ملاحظة السلوكيات الإنحرافية عند النساء (جويل در، 1991). وباختصار، فإن المنظومة النفسية للشذوذ الجنسي عند الذكور تختلف جذريا عن تلك التي نجدها لدى مجموعة متنوعة من الإناث.

ويؤكد هذه النظرية جانب آخر من جوانب الأداء الانحرافي المذكور سابقا، وهو الشهوة الجنسية. وإكلينيكيا تظهر الشهوة الجنسية كعملية للذكور فقط. والعملية الدفاعية في العمل هنا أكثر تعقيدا من العملية التي نظرنا إليها فيما يخص الشذوذ

الجنسي. فهي تشير أساسا إلى تنكر أو إنكار الواقع، ورفض الاعتراف بحقيقة الصدمة في عدم وجود القضيب عند الأم وعند جميع النساء. وتعمل الإستراتيجية الدفاعية على إنكار الواقع الذي به ميكانيزم متلازم لتوضيح التشكيل البديل.

هذه العملية تتكشف على مرحلتين. أولا، هناك تنكر في حد ذاته للواقع، وحفاظ على الموقف الطفولي بصرامة بشأن افتقار المرأة إلى القضيب. وعلى الرغم من أن المفحوص يتصور هذا الغياب، إلا انه يرفض ذلك من أجل تحييد قلق الإخصاء. ومع ذلك، وعلى عكس ما يحدث في الشذوذ الجنسي، يكون التثبيت على تمثيل الأم القضيبية أكثر قابلية للتغير، وبالتالي يسمح بتشكيل حل وسط، حيث أن المرأة لا تملك قضيب في الواقع، فسوف يقوم الفتيشي (المهووس بالجنس)، في المرحلة الثانية، بتجسيد الجزء المفقود افتراضا بجزء آخر في الواقع، ويسمى الفتش. ويصبح الفتش تجسيدا للقضيب، " وبديلا عن قضيب المرأة أو الأم الذي اعتقد الصبي الصغير يوما في وجوده ولأسباب مألوفة لنا، لا يريد أن يتخلى عنها" ("فرويد" 1927، ص 152- 153)

وبالتالي فإن الفتش يتوسط العديد من العمليات الدفاعية. لأنه لا يتيح للمفحوص التخلي عن الفالوس، بل يسمح له بإبعاد قلق الإخصاء، وأخيرا، فإنه يسمح له باختيار امرأة مناسبة لموضوعه الجنسي ويفترض أنها تمتلك الفالوس. وذلك الحل يمكّن الفتيشي من تجنب نتائج المثلية الجنسية.

وقاد الاستكشاف التدريجي لعملية الانحراف، عبر الشهوة الجنسية (الفتيشية)، "فرويد" لصياغة مفهوم تقسيم الأنا، وتقسيم النفس الداخلية ضروري لوصف البنية النفسية للمفحوص. وتتميز الفتيشية بمكانيزم نفسي فريد من نوعه، وهو التعايش بين تشكيلين نفسيين متبادلين وحصريين: من ناحية الاعتراف بعدم وجود القضيب عند النساء، ومن ناحية أخرى إنكار حقيقة هذا الاعتراف. هناك تناقض كلي بين إنكار المفحوص لحقيقة غياب وإنشاء هذا الفتش كشاهد بليغ على الاعتراف الدائم لهذا الغياب. وكما يلاحظ فرويد، فهذان المحتويان النفسيان، فكلاهما متبادلان وحصريان فيما يتعلق بالواقع، ويتعايشان في الجهاز النفسي دون أن يؤثر احدهما الأخر. ولذلك فإنه يفترض وجود تقسيم للأنا ونحن نرى مثل هذا التقسيم مرارا وتكرارا باعتباره عنصرا لا يتجزأ من بنية المفحوص على هذا النحو. يناقش "فرويد" هذه المسألة في عدد من أعماله، خاصة فيما يتعلق بالعلاج الإكلينيكي للذهان ("فرويد" 1924 أ، ب، 1938)

5

نقطة أساسية للانحرافات

دعونا نعود إلى الجدلية الأوديبية عند النقطة التي يتم فيها تحدي التوحد القضيبي الأصلي بسبب اقتحام الأب المتخيل الذي يتوهمه الطفل باعتباره المنافس القضيبي له لكونه الموضوع الوحيد لرغبة الأم. ويتعلق الأساس القضيبي هنا بتدخل الأب في متعة الأم وسعادتها وإشباع رغباتها. في نفس الوقت الذي يكتشف فيه هذه المنافسة، يكتشف الطفل أمرين للواقع سوف تشككه من الآن فصاعدا في مسار رغبته. في المقام الأول، يصبح من الواضح أنه ليس هو الموضوع الوحيد لرغبة الأم. ويفتح هذا الوضع الجديد إمكانية أن الطفل سوف يكتشف أن أمه لديها رغبة بخلاف رغبتها بالنسبة له. وفي المقام الثاني، يكتشف الطفل أن أمه مفتقدة، أي أنها ليست منجزة من قبل الطفل طالما انه يتوحد مع ما يعتقد أنه الموضوع الوحيد لرغبتها، أي مع الفالوس. هذا التكرار ذا الشقين هو مجال العمل الذي يدخله الأب، في وضع الذي يمكن أن يكون واحدا للتنافس فقط.

ويجب علينا إعادة اكتشاف أثر هذا التنافس لاحقا، في شكل سمة بنائية نموذجية للانحراف، وهي الجموح. والجموح يؤدي لا محالة إلى العدوان، السمة البنيوية التكميلية التي هي جزء لا يتجزأ منه.

ما يؤسس ويعزز التنافس القضيبي المتخيل هو التطوير الخفي لهذا الهاجس، فإن العواقب ستتحول إلى أن تكون لا رجعة فيها بشأن مسألة الاختلاف الجنسي. ويتوقع الطفل عالم جديد من المتعة من خلف شخصية الأب، عالم يبدو غريبا كليا لأنه يبدو محرما على الطفل. هذا هو عالم المتعة الذي تم استبعاد الطفل خارجه. ومن خلال هذا الهاجس يستشعر الطفل وجود هذا النظام القاسي من الإخصاء والذي، بطريقة معينة، يريد تجنبه تماما. وفي الوقت نفسه، يمكن أن تمثل هذه التجربة بداية معرفة جديدة لرغبة الطرف الآخر، وبالتالي يمكننا أن نفهم لماذا يتأرجح الطفل عندما يتعلق الأمر بهويته القضيبية. وبالمثل، يمكننا أن نرى كيف يمكن تعبئة قلق الإخصاء حول هذا التوغل من الأب الذي يواجه الطفل ليس فقط مع التوجه الجديد المحتمل لرغبته، ولكن أيضا مع الموضوعات المصاحبة للمتعة.

ومع تطور الوضع الأوديبي، فمثل هذا الركود للرغبة أمر لا مفر منه. ويعد فهذا أمر حاسم، لأنه في الواقع هنا حيث أن المنحرف ينشأ مصير بناءه بنفسه. على الرغم من انه يظل أسيرا لهذا الركود من الرغبة، ولكن يمكن أن يجد الطفل

وضع نهائي للإدراج في الوظيفة القضيبية. وفي الواقع بالنسبة له، فكل شيء يتوقف في هذا التوازن الذي قد يتقلب أو لا يتقلب في اتجاه مرحلة جديدة في تطوير اقتصاد رغبته، مرحلة الحركة الديناميكية نحو قبول الإخصاء.

لا يتوقف المنحرف أبدا عن قتال هذا القبول للإخصاء وهو ليس قادر على الانخراط فيه كمشارك كامل في اقتصاد رغبته أبدا. وللحركة الديناميكية التي تدفع الطفل نحو الواقع غير الرمزي للاختلاف الجنسي يعتمد على قدرته على تقبل الخسارة المتأصلة في ديناميكية الرغبة. فقط حينما يكون الطفل في وضع يسمح له باستخدام الرمز في التعبير عن الفرق الجنسي، حينها يُنقذ من قانون "كل شيء أو لا شيء". هذا التحوم في التوازن هو ما يتملص به المنحرف، حيث أنه بطريقة غير ناضجة يقع في الفخ بنفسه في تمثيل لنقص لا يمكن أن يستخدم الرمز معه. مثل هذا النقص أو الافتقار الذي لا يمكن استخدام الرمز معه هو ما سوف يدفعه إلى احتجاج نفسي لا ينتهي يبدأ بالإنكار أو التنكر فيما يتعلق بشأن إخصاء أمه.

ولشرح ذلك بشكل مختلف، أن هذا هو الوقت الذي سيطور الطفل فيه بنية الانحراف، وهناك حجب للوصول إلى الإخصاء الرمزي، إلى القبول بأن واقع الاختلاف الجنسي هو السبب الوحيد للرغبة. فمن الواضح أن الفقدان المتمثل في تدخل الآباء هو بالضبط ما هو مطلوب لتحويل رغبة الطفل نحو دينامية جديدة. وفي هذه اللحظة من التذبذب، يتم ظهور موضوع دال النقص في الآخر ضمنا [1]. وأشير هنا إلى توعية الطفل إلى البعد الرمزي للأب، والهاجس النفسي أن الطفل يجب عليه مواجهته إذا كان سيتخلى عن تمثيله للأب المتخيل [2]. وهذه الوساطة فقط لدال النقص هذا في الآخر يمكن أن يحول شخصية الأب إلى شيء آخر غير موضوع المنافس القضيبي. ودال النقص في الآخر هو منطقيا ما سيقود الطفل إلى التخلي عن سجل كونه الفالوس لصالح سجل امتلاك الفالوس.

هذا بالضبط هو الظل الذي يلقيه الأب الرمزي الذي سيتجاهله المنحرف من لحظة السؤال الذي يطرح على نفسه للاعتراف بشيء بناءا على أمر النقص في

1- ملاحظة المحررة: لا يمكن للأم أن تنقل إلى الطفل "الكلمة" النهائية التي من شأنها طمأنته عن وضعه أو الموضوع القضيبي، وبدلا من ذلك لا يستطيع الأب المتوهم والمتخيل والمهدد تقديم نفسه كموضوع المنافسة المطلقة للطفل. والمرور من الكينونة إلى الامتلاك يمكن أن يحدث فقط إلى حد أن الأب يظهر للطفل على أنه يمتلك ما ترغب به الأم أو، بدقة أكبر، كما يفترض أن يكون لديه ما ترغبه الأم. هذا الإسناد القضيبي هو ما يجعله بمثابة الأب الرمزي، الأب كممثل للقانون بالنسبة للطفل، وكوسيط بنائي لحظر سفاح القربى.

2- ملاحظة المحررة: خياله للأب المسيطر.

الآخر. والهدف من هذا الإنكار، وهو، احتجاجه، هو رفض أي إمكانية للتعبير بالرموز عن هذا النقص. والنتيجة هي وضع المنحرف النموذجي للأداء والحقيقة بشأن رغبة الأم تيم قبولها ورفضها معا في وقت واحد. وبعبارة أخرى، فإن الطفل يغلق على نفسه داخل التناقض التالي: تدخل شخصية الأب يؤدي به للشك في أن الأم، التي ليس لديها فالوس، ترغب في الأب لأنه "هو" الفالوس أو لأنه "يمتلك" الفالوس؛ ومن ناحية أخرى، إذا لم تمتلك الأم فالوسا، فربما يمكنها أن تمتلكه على أي حال. ولتحقيق ذلك، يجب عليه فقط أن يعزو الفالوس لها ويحافظ على الإسناد في السجل المتخيل. وهذا الحفاظ المتخيل هو ما ينفي الاختلاف الجنسي والنقص الذي يمثله. التعايش بين هذين الخيارين فيما يتعلق بالموضوع القضيبي يعطي اقتصاد رغبة المنحرف البناء والسمات المميزة له.

ويتم تنظيم هذا البناء وفقا لقانون لا يسمح للمفحوص بتصور أي احتمال لوجود الرغبة بمجرد اعترافه بالإخصاء. وهو قانون أعمى يميل إلى تكريس نفسه كبديل لقانون الأب، وهو للقانون الوحيد الذي يمكنه توجيه رغبة الطفل نحو مصير لا يتم حظر خروجه من البداية. وهذه طريقة أخرى للقول بأن ما يعوق افتراض المنحرف للرغبة هو القانون الذي تقوم عليه: قانون حتمي للرغبة يعزم ألا يشير إلى رغبة أخرى أبدا. وبالنسبة فقط لقانون الأب فإنه يفرض بنية على الرغبة، مثل هذه الرغبة هي في الأساس رغبة الأخر.

وطالما قد تم رفض قانون الأب كقانون وسيط للرغبة، وتتثبت ديناميات رغبة المنحرف على مستوى قديم. وعند مواجهة ضرورة نبذ الموضوع البدائي لرغبته، يفضل الطفل التخلي عن الرغبة على هذا النحو، بمعنى، انه يتخلى عن الأسلوب الجديد للتنمية النفسية التي يتطلبها الإخصاء. ويبدو الأمر كما لو أن قلق الإخصاء يحفز الطفل على عدم التخلي عن موضوع رغبته، ويجمده في هذه المرحلة. ويبقى عالقا في عملية دفاعية التي تجعله في وقت مبكر جدا مقاوما للجهد النفسي الذي يجب عليه أن يولده، وهذا هو الجهد الذي سوف يجعله يفهم أن هذا هو بالضبط التخلي عن الموضوع البدائي للرغبة التي تحافظ في الواقع على إمكانية الرغبة من خلال إضفاء صفة جديدة عليها. هذا الوضع الجديد الذي ينجم عن وظيفة الأب، ينص على الحق في الرغبة، بمعنى الرغبة في رغبة الآخر.

وبسبب هذا الاقتصاد النفسي الخاص، يتم استبعاد المنحرف من هذا الحق في الرغبة ويبقى مثبت داخل نمط أعمى وحتمي من الأفعال، يحاول بدون توقف إثبات

أن قانونه، وليس لقانون الأخر، هو القانون الوحيد للرغبة. وهذا يتيح لنا أن نفهم الميكانيزمات المختلفة لأداء المنحرف والصفات البنائية التي تميز ذلك.

لقد لاحظت بالفعل أن التحدي والعدوان هما فقط النتيجتان المحتملتان لرغبة المنحرف. يتعلق الإنكار أو التنكر أساسا بمسألة رغبة الأم للأب. وبهذا المعنى، هو إنكار أولا وقبل كل شيء للفرق الجنسي. كما لاحظ "فرويد" بشكل صحيح، وعلى الرغم من ذلك، يمكن لمثل هذه التنكر أن يوجد فقط إلى الحد الذي يقر المنحرف بطريقة أو بأخرى برغبة الأم في الأب. يمكن إنكار شيئا ما فقط إذا كنا نعرف كل شيء عنه مسبقا. وعلى طريقته الخاصة يدرك المنحرف جيدا واقع الفرق الجنسي. وما يرفضه هو آثاره، والشيء الرئيسي هو أن هذا الفرق هو السبب الذي يدل على الرغبة. وهكذا يحاول المنحرف الحفاظ على إمكانية المتعة التي يمكن الاستغناء فيها عن السبب الدال.

من خلال إثارة القانون باستمرار، يؤكد المنحرف لنفسه أنه لا يزال هناك، وأنه يستطيع أن يواجه ذلك. وبهذه الطريقة يصبح العدوان المتلازم الذي لا مفر منه لانعدام الثقة. لا توجد وسيلة أكثر كفاءة لتؤكد للفرد وجود القانون سوى المحاولة المستمرة لتعدي الحظر والقواعد التي تتصل رمزيا بهذا القانون. وكلما زاد التحدي أو حتى انتهاك القانون، كلما شعر بالحاجة للتأكد من أن مثل هذا القانون ينشأ في الفرق الجنسي، ويشير إلى حظر سفاح القربى.

6

التشخيص الفارقي للانحرافات والهستيريا والعصاب الوسواسي

يمكن أن نلاحظ انعدام الثقة والعدوان في أبنية غير بناء المنحرف، وهي في العصاب الوسواسي والهستيريا. وفي هذه الأبنية هياكل لا يرتبط فيها العدوان بانعدام الثقة بنفس الطريقة.

العصاب الوسواسي :

ويظهر انعدام الثقة بشكل واضح في بعض أعراض سلوكيات مرضى الوسواس. وبالتفكير في الإكراه الذي يتعرضون له في كل أشكال المنافسة أو التنظيم، ما يكمن وراء هذه الحالات هو مشكلة تحدي عدو حقيقي أو متخيل.

لكن هذا التحد النشط يتناسب عكسيا مع أي إمكانية للعدوان. ويمكن لمريض الوسواس تحميل تحديه الشامل فقط في سياق معركة مشروعة، وبالطبع فهو قلق جدا حول قواعد القتال وأقل من ينتهك هذه القواعد. ولذلك يمكننا أن نستنتج أن مريض الوسواس يحاول يائسا، وإن كان غير مدرك أن يصبح منحرف، ولكنه يفشل دائما في هذه المحاولة.

وكلما أراد مريض الوسواس أن يكون بطل الشرعية والقوانين، كلما كان أكثر تعاركا، بدون أن يدري، ضد رغبته في التعدي. وما لا يعرفه أو ما لا يريد أن يعرفه عن التحد هو أنه بطل الرواية الوحيد. ويحتاج المريض إلى خلق حالة وهمية من المصائب من أجل الانخراط في هذا التحدي، وبهذه الطريقة يمكن أن لا يدرك أنه يكاد يكون دائما هو الذي هو يرمي نفسه في المصائب. وأنه يختارهم عن طيب خاطر لأنها تسمح له ببذل قدر كبير من الطاقة.

يتوافق التعدي الذي يفعله مرضى الوسواس مع فرارهم المتهور من مواجهة رغبتهم. وهذا ليس بأي حال من الأحوال غير عادي، في هذه المحاولة للهروب، لرغبة الركض أسرع من مرضى الوسواس الذي يريد أن يبقى جاهل به. ثم يتم تجاوز المفحوص الهارب من قبل هذه الرغبة، التي في معظمها يخضع لها بشكل سلبي. في هذه اللحظات، عندما يصبح المفحوص مختطف من قبل رغبته الخاصة، غالبا ما تتحقق الرغبة في التعدي. وفي معظم الوقت هذه إساءات بسيطة، ولكن لأن المفحوص يهولها، قد تبدو مذهلة بطريقة تذكرنا بتعدي وعدوان المنحرف. ويقوي النشاط الحركي في كثير من الأحيان هذا النوع من التهويل، وهو تصرف

يسمح فيه مريض الوسواس لنفسه أن يكون تحت تأثير رغبته بكل ما يصاحب ذلك من المتعة.

الهستيريا :

نجد أيضا التحد في بنية الهستيري. وما يكمن وراء العدوان هنا هو قضية ملحة لـلـهوية نفسها التـي تنشأ عن المنطق القضيبي وهي ذات صلة بالهوية الجنسية. لأن التناقض لدي الهستيري فيما يتعلق بالهوية الجنسية في أن الرغبة الهستيرية يمكن أن تعبر عن نفسها بطرق متشابهة مثل ما نجده لدى المنحرف.

هـذا التنـاقض الانحـرافي في سـيناريوهات مـثلي الجـنس يظهـر في كثـير مـن الأحيـان في تصرفـات الهستيري. يجوز لنا أيضا التذكير بالمتعة الانحرافية لـلـهستيري في "جلـب الحقيقـة إلى النـور". هنـا نجـد الوضع الهستيري الكلاسيكي الذي وصفه "لاكان" من حيث المفهوم الهـيغلي الفعـال "الـروح الجميلـة" [1]. لأنه في الواقع ليس هناك هستيريا دون التصرف لجلب الحقيقة إلى النور بطريقة مثاليـة، في وقـت مـا أو أخر، حتى لو كان هذا ينطوي على عرض طبيعة رغبة الأخر في وجود طرف ثالث. هـذا هـو الحـال في أي وضع ثلاثي حيث يكون الكشف عن الحقيقة بشأن الطرف الواحد يبين فعلا التجريد أو التشكيك في رغبـة الطرف الآخر.

ولكن بعد ذلك مجددا، في الهستيريا، فإن جانب التعدي هو أضعف مما كـان عليـه في الانحرافـات. وبينما يوجد مثل هذا الشيء مثل التحد الهستيري بلا شك، فهذا التحد من الدرجة الثانيـة لأنـه لا يحقـق أبدا التحدي الأساسي لقانون الأب، وبالنسبة للمنطق القضيبي لدال الإخصاء. لأنه في الهستيريا يتم التعبير عن دال الإخصاء بالرمز. ويبدو أن الثمن الذي لا بد من دفعه لهذا الترميز في سجل الحنين القضيبي [2].

هـذا الحنـين هـو مـا يعطـي الهسـتيريا طابعهـا المـذهل والكبـير. تمثـل سـيناريوهات الحنين المبالغة الشعرية في حالة تـوهم للنعـيم. ولكـن، كـما نعلـم، فحالـة النعـيم تكـون من الاهتمام النفسي فقـط لأنهـا خياليـة بحتـة؛ وحالمـا تتجسـد في الواقـع يصـبح للعـرض

1- **ملاحظة المحررة: " الروح الجميلـة" لا يـدرك سـبب وجـوده في الاضـطراب الـذي يسـتنكره في العـالم" (لاكـان 1977، ص 70).**

2- **ملاحظة المحررة: بالنسبة لـلـهستيري قد حدث الإخصاء الرمزي، وتقبل نقص الآخر. الحنين الـذي يجربونـه يـؤدي إلى التنفيذ الذي يبقى ماثل في المتخيل. ويمكن أن ندعي فقط بتحدي الواقع لإخصاءهم.**

الهستيري اليد العليا، والهستيري مدفوعا في زاوية حفلته التنكرية، يهرب إلى دوران رقصة الباليه.

والهستيري مولعا خاصة بعنصر التظاهر، طالما أنه يعطيه وسيلة للقيام والحفاظ على التحد، هذا التحد، على هذا النحو، هو إستراتيجية للمطالبة بالفالوس. وكمثال مميز، انظر في الخيال الكلاسيكي للمرأة الهستيرية التي توحدت مع عاهرة. في عمل هائل من التحدي، مثل هذه المرأة سوف تمشي صعودا وهبوطا في الشوارع أو تجلس في سيارتها في مكان استراتيجي حتى تتاح لها الفرصة لتقول لرجل متهور يحاول أن يلمسها: " أنا لست هذا النوع من النساء اللاتي تعتقد أنني منهن!".

ونرى جانب آخر من التحدي الهستيري للأنثى في النزاع القضيبي الذي غالبا ما يحدد علاقتها مع شريكها الذكر. هنا نجد كل تلك الحالات التي تتحدى فيها الرجل بقولها "بدوني، ستكون لا شيء"، وهي طريقة أخرى لقول، "أتحداك أن تثبت لي أن لديك حقا ما كنت تفترض أنه ملكك". إذا كان الشريك مجازف بما فيه الكفاية ليتحمل مثل هذه المظاهرة، فتستمر الأنثى الهستيرية أكثر وأكثر في تحديها له.

في حالة الهستيريا الذكورية، يأتي التحد أيضا من باب المساندة القضيبية. ويبدو كما لو أن المفحوص يشارك في التحد فقط عندما يطلب منه ذلك من قبل رغبة الأخر. وفي هذه الجدلية الخاصة للرغبة، فالرجل الهستيري يقذف تحديا لا يطاق على نفسه، وهو الذي ينجم عن معادلة الرغبة مع الفحولة. بالنسبة له، ليكون مرغوب فيه يعني بالضرورة أنه قادر على إثبات فحولته للمرأة. وبهذا المعنى، يقبض على الرجل الهستيري متلبسا في تحديه العنيد الخاص ولا يمكنه أن يرغب في امرأة إلا في الخيال والتي تستسلم لمظاهرة فحولته. وبالتالي في مثل هذه المنظومة تصبح متعة المرأة علامة على استسلامها أمام القدرة القضيبية الكلية. ليس من المستغرب أن يتعثر الذكر الهستيري في هذا التحدي الذي لا يطاق ويجب أن يرد عليه من خلال سلوك عرضي مألوف: سرعة القذف أو العجز الجنسي. وسوف أقوم بدراسة هذه المسألة بمزيد من في الفصل الرابع عشر، في سياق الوصف البنائي للهستيريا.

7

المنحرف وقانون الأب

تتميز إشكاليات الإنكار بوجود تنظيم مميز لدى المنحرف. في حين أنه في الهستيريا والعصاب الوسواسي يكون الامتلاك المتخيل للموضوع القضيبي موضع تحدي، وفي الانحرافات يتم توجيه التحد الأساسي لقانون الأب. ويحدث ذلك داخل جدلية كونه أو ليس كونه الفالوس. وبالنسبة للوسواسي والهستيري، من ناحية أخرى، فإن التحدي يكون بشأن امتلاك الموضوع القضيبي وينطوي على بدائل مثل امتلاك الموضوع أو عدم امتلاكه. ولكن هذا التصنيف الأولي ليس دقيق بما فيه الكفاية ليتخذ به إكلينيكيا.

ومن المهم التأكيد على مدى ضرورة أن المنحرف يطبق قانون رغبته الخاصة كأنه القانون الوحيد للرغبة كما يدركه هو. ورغبته لا ترتكز على قانون الرغبة للآخر، والذي هو، في الأصل، قانون الأب. والأب، كما يقول لاكان: "يضع القانون" للأم والطفل، ولكن المنحرف يبذل جهد متواصل لتحدي قانون الأب، ومع كل ما يستتبع ذلك القانون فيما يتعلق بالتعبير عن النقص بالرموز، والذي هو، الإخصاء. وعندما نأخذ كل ذلك في الحسبان، فما يفعله في تحدي قانون الأب هو رفضه لإخضاع رغبته لقانون رغبة الأخر. وبالتالي يكون لدى المنحرف خيارين: غلبة قانون رغبته الخاصة كالقانون الوحيد الممكن للرغبة، وعدم إدراك قانون رغبة الأخر كوسيط لرغبة الجميع. وتتألف متعة المنحرف كليا بين هذين القطبين ويعززه إستراتيجية مستحيلة، ولكن النقطة التي تجعل الطرف الآخر يتساءل عن حدود طبيعة قانون الأب.

ولذلك ينقاد المنحرف إلى أن يفترض هذا القانون (والإخصاء) كحد قائم حتى يتمكن من الاستمرار على نحو أكثر فعالية لإثبات أنه ليس حدا، بمعنى أن المرء يستطيع دائما أن يأخذ فرصة لتجاوزه. حيث أن المنحرف يستمد الفائدة الحسية الكاملة من متعته من خلال إستراتيجية التعدي. ولكن مثل هذه الإستراتيجية تتطلب شريك حقيقي أو متخيل، شاهد ينخدع بخدعة الشعوذة الرائعة التي ينهمك فيها المنحرف فيما يتعلق بالإخصاء. والأم من بين الشهود المحتملين، إن لم تكن الشاهد الأصلي، على الأقل تكون الشاهد المتميز، كما سنرى فيما بعد.

المقطع التالي من جان كلايفريول (1981) يوضح الطريقة التي لا غنى عنها لوجود هذا الشاهد المتواطئ مع قوانين المنحرف:

فمن الواضح أنه كحامل النظرة بأن الآخر سيكون الشريك، وقبل كل شيء متـواطئ، في الفعل المنحرف. هذه اللمسات على التمييز الجذري بين الممارسة المنحرفة، حيث تكـون نظـرة الآخـر الضرورة القصـوى للتواطـؤ والتـي بـدونها لـن يوجـد مجـال الـوهم، وخيـال المنحرف، الذي لا يعمل بشكل جيد للغاية دون نظرات الآخر فقط، ولكنه يعتمد لنجاحـه على الرضا الذاتي في العزلة أثناء فعل الاستمناء. إذا تميز الفعل المنحرف بشـكل واضـح عـن الخيال، وخط الحدود بينهما هي نظرة الأخر: توفر هذه النظرة التواطؤ الـلازم للمنحـرف، في حين تكون النظرة عامل شجب لدى الشخص العادي أو العصابي [1].

إلى حد أن الآخر يمثل شريكه الضمني، يمكن للمنحرف استعمال تحديه كوسيلة للوصول إلى المتعة، ولكن بغض النظر عن تنوع الطرق التي يتم وضعها حيز التنفيـذ، تبقـى إسـتراتيجية المنحـرف كـما هـي. وتتكون دائما بقيادة ضياع الآخر في فيما يتعلق بالمعالم والحدود التـي تحـدد علاقـة الأخـر بالقـانون. كـما يذهب كلايفريول إلى القول بأنه:

ومن المهم للمنحرف أن الطرف الآخر يتـورط بمـا فيـه الكفايـة، مـن حيـث المعـايير المعروفة خاصة معايير الاحترام، بحيث تبدو كل تجربة جديدة وكأنها الفجور، بحيـث يـتم استبعاد الأخر عن نظامه ويحقق المتعة بأن يكون المنحـرف في جميـع الحـالات واثـق مـن تحكمه في الأمور [2].

وينظر إلى الطريقة التي يتعامل بها المنحرف مـع قـانون الأب بشـكل رئـيسي مـن خـلال وضع معين من العلاقة بالأم وجميع النساء. ولكن هذا لـيس غريبـا حقـا، لأن إنكـار المنحـرف يرجع مباشرة إلى رغبة الأم في الأب، وهو الشيء الغير مقبول في الأسـاس. وهـذا الإنكـار يرافقـه بناء تشكل على أساس النظريات الجنسية الطفلية حول الإخصاء، ولاسيما النظرية القائلـة بـأن غياب قضيب الأم لا يمكن تفسيره إلا من خلال الإخصاء الذي فعله الأب لها. هذه الميزة الثابتة من الخيال الطفلي هي السبب الجذري للرعب من الإخصاء التي نجـدها عنـد كـل المنحـرفين،

1- ملاحظة المترجم: بحث كلايفريول "الزوجان المنحرفان"، التي اتخذ منها هذا المقطع والذي يليه، قـد تكـون موجـودة عند تشانيدرمان 1980، هذه المقاطع عند تشانيدرمان ولكن بترجمة مختلفة نوعا ما، في الصفحات 226-227.

2- انظر جويل در 1987، الفصل الرابع عشر لمثال واضح جدا من مثل هذا التحدي، حيث افسد جانب من حيـاة المحلـل الخاصة.

وهو الرعب الأكبر لأنه يقوم على الخيال لعملية الإخصاء الفعلية.

وتفترض المشكلة جدلية خفية بين، من ناحية، الأوهام المختلفة حول إخصاء الأم (وجميع النساء)، ومن ناحية أخرى، طبيعة رغبة الأم في الأب. ويتأرجح المنحرف بين هذين القطبين للمشكلة. إما أن الأب هو المسئول لأنه جعل الأم تستلم لرغبته- وذلك من خلال فرض هذا القانون الظالم للرغبة وبموجبه يجب أن تستلم الرغبة دائما لقانون رغبة الأخر- أو أن الأم هو المخطئة لأنها تريد رغبة الأب بكامل إرادتها. في الحالة الثانية يسقط المنحرف الاتهام على الأم بأنها شريكا في الإخصاء الذي حدث لها، نظرا لأنها أسلمت نفسها للأب فيما يتعلق برغبته.

هذا الخيال المزدوج للإخصاء يسيطر سلفا على سلوك المنحرف النمطي نحو الرجال والنساء. وإذا كان الأب الظالم يُخضع الأم لقانون رغبته، أو أن الأم ضعيفة وتقبل هذا القانون، فالبدائل الخيالية وجهان لعملة واحدة: ويسيطر على كليهما رعب الإخصاء، وكليهما غير مقبول لأنهما يؤكدان النقص، وهو، الإخصاء.

وكرد فعل على هذا "الرعب" يتجادل المنحرف مع بناء خيالي آخر والذي يتصور فيه الأم قوية عندما يتعلق الأمر بالرغبة، أم غير ناقصة. ينطوي هذا الاعتقاد على تقديم الأب الرمزي غير الفعال كممثل لوظيفة الأب. وبعبارة أخرى، لا يفترض أن يمتلك الأب ما ترغب فيه الأم. ونتيجة لذلك، يمكن أن يستمر المنحرف بالحفاظ على الخيال بكونه الموضوع الأوحد والوحيد للرغبة وهو الذي يعطي المتعة للأم.

8

الأم القضيبية

دعونا نعود لفترة وجيزة لتلك المرحلة الحاسمة من عقدة أوديب التي وصفتها بأنها نقطة الرسو المحتملة للانحرافات. ويشير مصطلح نقطة الرسو إلى وقوع بعض العوامل الحتمية التي تخلق التباس حول مسألة التوحد القضيبي. ينطوي هذا الغموض على الربط بين مجموعتين من المحددات التي يمكن تلخيصها على نحو تواطؤ الأم الشبقي والرضا الصامت للأب.

وغالبا ما يتجلى التواطؤ الشبقي للأم في شكل الإغواء، وهو الإغواء الفعلي وليس خيال الإغواء الذي يتوهمه الطفل. ويعبر عن إغواء الأم أساسا من خلال الطريقة التي تستجيب بها لمبادرات الطفل الجنسية، وهذه الاستجابات يختبرها الطفل كعلامات للقبول والتشجيع. وبهذا المعنى، فإن استجابة الأم هي دعوة حقيقية لمتعة الطفل، وهذه الدعوة تحافظ على نشاطه اللبيدي نحو الأم.

ويحيط بدعوة الإغواء غموض عميق، لأنه في نفس الوقت الذي يتم إغواء الطفل وتشجيعه بما تعطيه أمه من لمس ورؤية واستماع، فإنه أيضا يتعذب من خرسها عندما يتعلق الأمر برغبتها في الأب. وفي هذا التواطؤ الشبقي المشترك بين الأم والطفل، فيتأكد للطفل أن الأب لا يتوسط رغبة أمه، ولكن الأب يظهر كدخيل. وتزداد الأمور سوءا إذا لم تؤكد الأم للطفل أنها تشتهي الأب، كما لا يستبعد هذا الاحتمال. وما تقوم به الأم في معظم الأحيان هو احتواء هذا الغموض المقلق فيما يتعلق بمكان الأب من رغبتها. ويتمركز كل النشاط اللبيدي للطفل تجاه الأم حول هذا الغموض. ويحاول الطفل إغرائها أكثر وأكثر، على أمل إزالة شكه حول كون الأب دخيل.

ونجد هنا في مجال التنافس القضيبي أصل ميول المنحرف لتحدى السلطة الأبوية والسخرية منها. وعلاوة على ذلك، يتم في كثير من الأحيان تشجع الأم هذه السخرية، ضمنيا من خلال صمتها أو أكثر من خلال إشارتها المباشرة. وقد تقوم الأم بعرض كاذب لوكالة الأب كوسيط لرغبتها، والكذبة هنا هي أن الأم تقود الطفل ليرى كيف أن هي نفسها غير متأكدة من هذه الوساطة. وبالتالي فإن الطفل يتعذب أكثر لأنه أسير أكثر من مرتين: فهو أسير إغواء الأم، وتحريم توضحه له، ولكنها في نفس الوقت تجعل الطفل يفهم أن هذا التحريم متناقض. وهذه هي الخطوة الأولى نحو التعدي.

هذا الغموض من جانب الأم له تأثير كبير على الطفل فقط لأن الأب يعززه بطريقة ما. ويعكس هذا التعزيز استعداد الأب ليحرم نفسه من وظيفته الرمزية. وبهذا الرضا الصامت، يوجه الأب كلمته للأم بكل ما ينطوي عليه ذلك من غموض.

نأتي هنا إلى القضية الإكلينيكية الأساسية، والتشخيص الفارقي بين بناء المنحرف وتنظيم عمليات الذهاني. ويتم الحفاظ على المغزى من القانون في حالة الانحرافات. وعلى الرغم من تفويض القانون بطريقة إشكالية لمبادرة الأم، لا يخضع الطفل أبدا لقانون رغبة الأم الذي لم تتم الإشارة فيه إلى قانون الأب. كما يضعه "لاكان"، فأم المنحرف ليست "خارجة على القانون" ولكنها أم قضيبية [1] ويظل الطفل في الواقع يواجه مغزى الرغبة الذي يشير إلى اسم الأب؛ المشكلة هي أن مغزى الرغبة يخضع لرغبة الآخر ولا يتم الاستدلال عليها عن طريق الأب. يحافظ رضا الأب على الغموض من خلال السماح لخطاب الأم بأن يكون وكيلا للتحريم. وبالتالي فإن الطفل يستثمر نفسيا الغموض بين إغراء الأم التي تشجع الطفل على إثارتها جنسيا، والأم التي تهدد وتنهي عن ذلك وهي التي تتولى منصب الوسيط لكلمة الأب الرمزية. ويقع الطفل أسير في هذا العالم الوسيط، ويطور خيال الأم القوية، الأم القضيبية.

سوف تحدد صورة هذه الأم القضيبية علاقات المنحرف مع نساء أخريات لاحقا. ولكنه لن ينبذ النساء على الرغم من ذلك، كما في حالة المثلية الجنسية لدى الذكور، وربما يبحث عنهن في رجال آخرين.

من الواضح إذن أن بعض السمات البنائية التي تعبر عن العلاقة الغامضة بين رغبة المنحرف ورغبة الآخر، تنظم هذه العلاقة في أزواج متضادة. وهكذا نجد البدائل المذكورة أعلاه: الأم غير الناقصة والأم المخصية. وكقاعدة يتأرجح المنحرف بين تمثيلات خيالية لهذين الموضوعين المؤنثين، ويسعي بدأب إلى أقرب تقريب لهن في الواقع. ولذلك يمكن أن تظهر المرأة له بأنها عذراء وقديسة، أو عاهرة مثيرة للاشمئزاز.

يتم تخيل المرأة التي تجسد الأم القضيبية على أنها مثالية تماما. ونجد بهذا التمجيد استمرار المنحرف بحماية نفسه من الأم كموضوع محتمل للرغبة. وهذه

1- **ملاحظة المحررة: وفقا للاكان، فأن أفضل مثال على الأم "الخارجة على القانون" هي أم شربر Schreber (فرويد، 1911)، والتي لم تستطع أن تتعرف على قانون الأب لأن زوجها هو نفسه كان متوحد مع "القانون" (كان يسن القوانين التعليمية الخاصة به). والأب الواقعي لشربر قدم نفسه على أنه الأب الرمزي وليس كممثل للقانون. (انظر لاكان، 1977، ص 179-221).**

المرأة المثالية القوية لا تقهرها أي رغبة، وهي موضوع نقي ومثالي، وبالتالي ممنوع المساس بها وهي بعيدة المنال. وهي النموذج المثالي للأنثى ويتوقع منها الخير والحماية فقط؛ إذا أخذنا، على سبيل المثال، الدور المتميز الذي تلعبه بعض النساء للمثليين جنسيا من الذكور.

ولكن يمكن للمرأة أيضا أن تمثل الأم المثيرة للاشمئزاز والبغيضة لأنها شهوانية، بمعنى أن الأب يرغب فيها وهي ترغب في الأب. في هذه الحالة يتم إنزالها هذه المرأة / الأم إلى دور العاهرة، كائن محتقر يعرض لرغبة الجميع لأنها ليست محفوظة فقط لأغراض رغبة المنحرف. وهي المرأة التي تتميز برعب الإخصاء. يمكننا أن نفهم لماذا يشعر المنحرف بأن عليه أن يحتقر الأعضاء التناسلية للإناث: لأنها مخصية، فهو يتوهم ذلك كجرح كبير وخطير يجب أن ينأى بنفسه عنه، إذا لم يكن سيفقد قضيبه في الخضوع لأي رغبة. وبالفعل، فإن الأعضاء التناسلية للإناث تصبح رذيلة لأنها تجعل المتعة الجنسية ممكنة، وبالتالي يجب أن تتعرض لسوء المعاملة والتعسف. يجب تجنب المرأة المرغوب فيها والتي ترغب في الرجال، للهروب من الهلاك المؤكد والذي هو في الأساس الفقدان والنقص.

9

التشخيص الفارقي الجديد بين البناء العصابي والانحرافات

على الرغم من أن في هذه العلاقة المتناقضة للمرأة يمكننا عزل السمات البنائية المميزة للانحراف. يجب علينا مرة أخرى توضيح نقاط معينة من التشخيص الفارقي فيما يتعلق بالأبنية العصابية.

العصاب الوسواسي:

هذه الإشكاليات الخاصة بالرغبة يمكن أن تؤدي بالوسواسي إلى بعض السلوكيات النمطية تجاه المرأة التي قد، للوهلة الأولى، تذكرنا بموقف المنحرف نحوها، ولنتأمل على سبيل المثال، كيف يمكن لبعض مرضى الوسواس الهيام بنسائهم. ويبدو أن هذا الهيام يستمر، على الأقل في بعض الحالات، بنفس طريقة التمجيد المطلقة للمرأة التي نجدها في الانحرافات. يمكن للتدابير الخطابية والمواد المدروسة التي يتخذها مرضى الوسواس في مغازلة النساء اللاتي يشتهونهم أن تتحول بسهولة إلى نوع من التبجيل الذي يشبه علاقة المنحرف بالمرأة المثالية التي لا يمكن المساس بها. من خلال إبعاد المرأة بقدر ما، ومع ذلك، فإن الوسواسي يعبر عن ديناميكية رغبته. وغرضه الوحيد هو إدخال المسافة بينه وبين المرأة المرغوب فيها والتي لا يمكن المساس بها وبهذا يظل يجهل رغبته. ولا يتم وضع المرأة جانبا باعتبارها كائن محرم ونقي ولا يمكن الوصول إليها بدون رغبة من أجل تعزيز الخيال اللازم للمرأة القضيبية القوية. وفي حالة العصاب الوسواسي، يجب على المفحوص منع نفسه من معرفة أنه يرغب فيها، لئلا يشعر أنه في خطر.

كذلك يوضح جانب آخر من منطق الوسواسي الطريقة التي ينظر بها إلى المرأة باعتبارها كائن مثالي. يميل بعض الرجال الوسواسيون إلى حبس المرأة التي يشتهونها في الأرشيف، مثل وضعها داخل برطمان مثل هواة جمع الأشياء الثمينة التي يجب أن تبقى بعيدا عن متناول اليد، وتقليلها إلى شيء يمكن امتلاكه واستهلاكه. هنا مرة أخرى تُعبد المرأة كأنها لا يمكن المساس بها، والنقطة الأساسية هي أنها تكون موجودة إلى الأبد. يمكن أن ينتهي الأمر إلى انه لا يلمس امرأة بعد الآن، وسوف تتم مناقشة هذا بمزيد من التفصيل في الفصل الثامن عشر.

نجد في هذا الاتجاه الشائع بين المصابون بمرض العصاب الوسواسي احد الأبعاد القديمة من الاستبداد الطفولي الذي يترك العنان لدافع السيطرة، للسيطرة

على الموضوع. وكلما تم تقليل المرأة إلى كائن لا يرغب وغير مرغوب فيه، كلما زاد الوسواسي معانة من مشكلة امتلاك هذا الكائن. ومن خلال خنق رغبة الآخر، ينجح في الحفاظ على منطق رغبته الخاصة؛ كبديل للأم، يجب أن تظل امرأة مثالية تماما في وجود المفحوص، والذي هو بالتالي يتوحد مع فالوسها. وبوضع المرأة بالجليد بهذه الطريقة، يستطيع الوسواسي الحفاظ على التوافق الذي يحكم رغبته. والوضع على الجليد، علاوة على ذلك، هو جزء من حاجته لجلب النظام، لوضع الأشياء في مكانها الصحيح.

وبذلك يظل هذا الكائن في حالة شبه جامدة وغير مرغوب فيها، فيكون الوسواسي على استعداد لعبادة هذه المرأة. هذه العبادة هي احد أسوأ الاتجاهات لاتخاذها تجاه المرأة، لأنه يميل إلى تحييد مقدما أي ميل ورغبة من جانبها. لتحقيق هدفه، سوف يغذي المفحوص الخيال الدائم ليمكنه من أن يفعل كل شيء لها، ويعطيها كل شيء، بحيث أنها لا تفتقر إلى أي شيء. ليس هناك شيء مكلف للغاية طالما أن الكائن لا يتحرك، وليس له أي مطالبات، ويبقى هكذا دون أن يطلب. بالتالي تصبح المرأة أسيرة هذا المنطق المخيف: "مكان لكل شيء وكل شيء في مكانه". وهذا في الواقع هو مظهر من المظاهر الخارجية لعالم الكائنات التي يتم استثمارها مع رغبة الوسواسي. عندما تكون ديناميات الرغبة ميتة تقريبا، وقتها وفقط وقتها يمكن أن يتمتع بصمت بسوء حظ رغبته.

ولكن بطبيعة الحال فالأمور لا تسير بهذه الطريقة. لأن المرأة ليست ميتة تماما، عاجلا أو آجلا فإن الوسواسي محكوم عليه بالسباحة عكس التيار ضد ألم الاضطراب. في الواقع، بمجرد أن يبدأ الكائن المعشوق لدرجة العبادة والذي يستطيع لمسه، في الإثارة، يبدأ الاضطراب. حالما تصبح المرأة مرغوبة في نظر أخر، يصبح عالم الوسواسي، غير القابل للتغيير، هشا. في هذه الظروف، فإن الكائن المعشوق يصبح ليس لديه أي علاقة بالكائن المثالي. ولا تصبح المرأة كائن آثم بسبب التنافر الحقير والكريه مثلما في حالة المنحرف. ولكن على العكس من ذلك، فإن المرأة تصبح الآن كائن يستطيع الفرار، ويمكن فقدانه، ويهرب من السيطرة، ويحاول مريض الوسواس أن يستعيد الكائن المفقود.

وعلى النقيض من المنحرف الذي يتجنب ويسيء لكائنه المثير للاشمئزاز، فلا يمكن لوسواسي أن يفعل الكثير من أجل الحصول على الغفران. ويصبح عن طيب خاطر شهيد مذنب ومقهور، وعلى استعداد لدفع أي ثمن، وتحمل أي شيء، بحيث تعود الأمور للطريقة التي كانت عليها. وبهذا النظام القاتل، يمكن للوسواسي أن

يجعل نفسه أكثر هستيريا من أي هستيري حقيقي إلا إذا كان الكائن سيعود ويبقى معه. الشيء المهم هو القدرة السحرية لإلغاء النقص؛ لابد من عودة الكائن المؤنث إلى مكانها ككائن خامل دون رغبة. ولكن تبين التجربة أن أفضل التضحيات تذهب سدى من دون أي جدوى. والصدع الذي يظهر فجأة من رغبة الأخر يؤدي لا محالة إلى تسجيل خسارة الوسواسي، بمعنى الإخصاء. وهذا يشكل الفرق الحاسم الذي يقلق منه الوسواسي، على النقيض من المنحرف.

لا يملك الوسواسي تحت تصرفه "الإطارات الاحتياطية" للمنحرف، ولا يمكنه أن يجد أي دعم في إنكار الإخصاء، أن التمثيل المتخيل الذي يحاول من خلاله المنحرف الحفاظ على استمرار متعته. وتمجيد المرأة في العصاب الوسواسي هو مجرد خلق خيال سحري لا يمكن أبدا أن يكون حصن منيع. ودائما ما تكون أول علامة على رغبة الآخر حاسمة، لأنها تفرض على الوسواسي التشكيك في المكاسب الثانوية من عصابه، بل هي تذكير للإخصاء ونقص الآخر. حيث يعتز المنحرف بوهم المرأة المثالية الذي اخترعه هو نفسه، ويستهلك الوسواسي نفسه في محاولة لاستعادة هذه المثالية التي، بالنسبة له، ليست أكثر من بقايا ما قبل التاريخ الأوديبي، والحنين للتوحد القضيبي الذي، شاء أم أبى، عليه أن يبادلها بالانزعاج من فرض قانون الأب. وبهذا المعنى، يمكن القول إن مرضى الوسواس تواقون لحالة "كونهم القضيب" [1].

الهستيريا :

يمكننا أن نشير أيضا إلى العديد من المميزات التفاضلية بين هستيريا الذكور والانحرافات فيما يتعلق بالعلاقة مع النساء.

في هستيريا الذكور، ومع ذلك، فإن الوضع يكون أكثر غنى وحيوية من العصاب الوسواسي. وتكون العلاقة بالنساء غامضة، وإن كانت في بعض النواحي تذكرنا بعلاقة المنحرف بكائنه، لأن بنية الهستيري تفسح المجال لمظاهر الانحراف. وغالبا ما تنفر علاقة الرجل الهستيري بامرأة أخرى من البداية، في تمثيله للمرأة بالكائن المثالي كما لو انه يضعها على قاعدة لتمثال ويتعذر الوصول إليها. لكن نحن هنا لا نتعامل مع المرأة العذراء النقية التي لا تشعر بأي رغبة. ولكن على العكس من ذلك، يتم التعامل مع المرأة ككائن ذو قيمة وذلك لأنها

1- **ملاحظة المحررة: في نظرية لاكان، "كونك الفالوس" يشير إلى الوقت الرائع الذي شهد الطفل نفسه كهذا الذي يستطيع أن يشبع رغبة الأم: سواء كان هو القضيب أو توحده مع الأم القضيبية..**

مرغوب فيه وترغب في الرجل. وهي تكون لـلـهستيري بمثابة وسيلة لتعزيز مكانته.

يجب أن تكون المرأة مغرية بلا رحمة، وتتعرض دائما إلى نظرة الأخر المفتونة والحسودة، إذا كان المفحوص يمجدها. ما يهمه هو أنها لا تسقط من ذلك المكان خشية أن تفقد على الفور كل مزايا الإغراء لديها. إذا تنازلت عن مكانتها، فتصبح كائن مهدد ومكروه ويجب تدميره. ويجب أن تكفر عن سقوطها من فوق قاعدة التمثال، القاعدة التي وضعها الاقتصاد اللبيدي لـلـهستيري من أجل راحته الخاصة.

هناك، بطبيعة الحال، إلى حد ما تفاعل خفي بين المرأة المثالية كنموذج والمرأة المخلوعة عن عرشها فجأة والمسئولة عن جميع العلل. نجد هنا علاقة الهستيري المتناقضة بالفالوس (انظر الفصل الرابع عشر). بالنسبة للذكر الهستيري، تشكل المرأة بامتياز الكائن الذي يسمح له بالحصول على تميزه فيما يتعلق بحيازة الفالوس. كما سنرى أن إشكاليات الفالوس، لـلـهستيري، تبقى محصورة بصرامة في عدم امتلاكه. لأن الذكر الهستيري لا ينظر لنفسه باعتبار أن لديه الفالوس، ويميل للاستجابة لرغبة المرأة كأنه لا يملك القضيب، أو لم يكن لديه إطلاقا، من حيث صورة الأعراض المألوفة للعجز الجنسي أو سرعة القذف.

وهذا يفسر الانقلاب المفاجئ لـلـهستيري في تمثيله للمرأة. ويكون كل شيء على ما يرام طالما أن المرأة كائن مغري ورائع يعزز مكانة الهستيري، نظرا لأنها تكون بمثابة الإعجاب القضيبي المعرض لأنظار الجميع. يمكن لـلـهستيري بالتالي توطيد أعراضه، والتي تتألف من التفكير بأنه قد حرم من الفالوس، ومع ذلك لا يزال متاح له من خلال المرأة، الكائن المشرق الزاهي في أنظار الآخرين. المرأة بالتالي تصبح ميراث للغيرة محفوظ على الرغم من ذلك، في نفس الوقت، فهي أصل الإعجاب غير المقيد. كلما أصبحت مطمعا أكثر من قبل الآخرين، كلما تأكد الهستيري أكثر من هذه المفارقة أن كل هذا بسبب قضيبه والذي يصبح مطمعا من خلالها. وهكذا، ما دام مثل هذا الكائن من ممتلكاته الثابتة، فكل شيء يصبح أفضل طالما تعلق الأمر بامتلاك الفالوس.

هذا يفترض بطبيعة الحال أنها لن تكون من جانبها راغبة جدا، وإلا فإنها سوف تجد أن الحالة المثالية للعلاقات أصبحت معقدة. إذا بدأت المرأة بالرغبة، وخصوصا إذا كانت رغباتها بمعجبها الأمين، سوف تنشأ المشكلات. ما يحدث هو أن رغبة المرأة تواجه الهستيري بمسألة امتلاك الكائن القضيبي. إذا كانت المرأة

ترغب، فهذا يدل على أنها تفتقر إلى شيء ما يُفترض أن الآخر يمتلكه. ولكـن هـذه بالضـبط هـي المشـكلة! ونتيجة لذلك، يصبح الكائن الأنثوي مصدر مقلق واضطهادي تقريبا، لأنها تدفع بلا هوادة الذكر الهستيري لاختبار الامتلاك القضيبي. في هذه اللحظة يتحول الاطمئنان لسحر المـرأة فجـأة إلى النقـيض، وهـذا يُنـتج مجموعة كاملة من الأعراض التي تصاحب عادة التغيرات الجنسية لدى الهستيري.

تبدأ المشكلة الحقيقية عندما يكشف الكائن المثالي عن نفسها ليس فقط لافتقارهـا ولكـن أيضـا في مطالبها القطعية التي تشير إلى الرغبة، الرغبة التي تقودها، مثلما تقودنا، في اتجاه هذا الكائن [1]. في مثل هذا السعي يطرد الذكر الهستيري مسبقا بسبب أعراض وضعه فـيما يتعلـق بالفـالوس. ويتحـول في هـذه الجدلية الكائن الأنثوي من دورها المثالي السابق إلى دور كريه حاقد أكثر لأنها تظهر الآن ككائن يمكـن أن يضيع.

في هذه المرحلة يتزعزع استقرار السيناريو المتخيل بالكامل " للملكيـة"، ويختفـي التجسـيد المثـالي للكائن القضيبي. يمكننا أن نفهم لماذا يسيء لها، دون وعي، لتدمير علامة النقص في الكائن الأنثوي، لأنه في هذه اللحظات من الانهيار يتواجه الهستيري مع دال النقص في الأخـر الأنثـوي [2]. يبـدو مـن المنطقـي أن الهستيري يتذبذب في التناقض النمطي بين الموقف العدائي تجاه الكائن والموقف التكفيري، وهو التذبـذب الذي يعرب عن تناقض دائم نحو الفالوس.

ولكن في كلتا الحالتين يجب أن تتم السيطرة على الكائن. وهذا يؤدي إلى العداء المتباهى الـذي يحملـه الهستيري نحوها من أجل التأكيد لنفسه بأنه يملكها. ولكن في وقت قريب جدا يطغـى عـلى الهسـتيري نزعتـه التدميرية وتـؤدي بـه إلى موقـف تكفـيري وشـبه سـحري يحـاول مـن خلالـه مـرة أخـرى الوصـول إلى النعـيم الرائع لموضوع حبه. وفي هذا الموقف يمكن أن نلاحـظ صـفة مـن الصـفات الأساسـية لبنيـة الهسـتيري، وهـي الانسلاخ من رغبته لصالح رغبة الأخر. مـا يهـم هـو أن يضـع نفسـه في خدمـة الآخـر مـن أجـل وضـعها مـرة أخرى على قاعدة التمثال التي كانت قد سقطت من عليها. في هذه الحالة من التكفير، لا يمكن أن يكـون ثمـن

1- **ملاحظة المحررة: في نظرية لاكان، الكائن يشير إلى الكائن المستحيل للرغبة التي من شأنها أن تؤكد لنا أن التكامل بـين الجنسين موجود، وأنه يمكن أن نجد في الآخر ما ينقصنا.**

2- **ملاحظة المحررة: دال النقص في الأخر الأنثوي لا يشير فقط إلى إخصاء المرأة بالمعنى الفرويدي، ولكـن يشـير أيضـا إلى النقص الموجود في كل منا. هذا النقص هو ما يجعل الرغبة للأخر ممكنة. وتتكون دراما الإخصـاء في قبـول نقـص الأم، وإدراك أنه لا يوجد إنسان يمكن أن يكون أو يمكن أن يسد النقص في نفسه.**

الغفران مرتفع ويقدم الهستيري نفسه كضحية على استعداد للتضحية بكل شيء في سبيل كائنه المثالي.

ويتم السعي إلى ميكانيزمات الإذلال أكثر لأنها تحقق الجرح النرجسي الوهمي والذي لا يطاق، ويكمن خلف عرض الهستيري نفسه ككائن غير جدير إطلاقا. ونحن على دراية بأنه غير جدير: والهستيري، الذي يجد نفسه غير متكافئ إلى معشوقه الأنثوي، يسعى لغفران المرأة عن الكارثة المتخيلة الناجمة عن عدم وجود الكائن القضيبي. وكونه غير جدير دليل على سوء حظه في عدم امتلاكه له في نظر المرأة التي يمكن أن تعالج هذا العيب دائما. السيناريوهات التكفيرية لا حصر لها، حيث الشيء المهم هو أن نظهر التضحيات بلا حدود والهستيري على استعداد للقيام بالتضحيات للمرأة التي يحبها.

وعلى أي حال، فما لدينا هنا هو خلط بين الرغبة والحب. وكأن الحب للكائن الأنثوي لابد أن يقدم تعهد حصري للرغبة. وكلما زاد حب الذكر الهستيري، كلما زاد تسليح نفسه ضد الرغبة. في الواقع، كلما تكشف حبه الذي لا حدود له كلما كان ذلك أفضل لإخفاء مكان نقص الآخر. هذا ما يفسر لماذا يقدم الهستيري في كثير من الأحيان نفسه كبطل ضحى في مجال حبه للأخر الأنثوي، أو كالمخضرم الحزين في الحرب الذي لم يعرف احد بالتضحيات الكثيرة التي تحملها من أجل شرف سيدته.

لاستعادة الكائن المفقود، الذكر الهستيري مستعد لفعل أي شيء. نجد هنا العمى الذي يميز كل العصاب: كلما زادت تضحية المحبة، كلما أحبطت أكثر نشاطات رغبة الآخر. وعلى هذا الأساس من سوء التفاهم، يدفع الهستيري يدفع ثمن إدراجه في الوظيفة القضيبية وتظل رغبته الخاصة لا تتحقق. وبعبارة أخرى، فإن منطق الهستيري للرغبة يجد الإشباع في نسبة من حجم ديونه التكفيرية.

بقيت نقطة واحدة نهائية بشأن العلاقة بين نبذ الكائن الأنثوي المثالي وتحويلها إلى كائن تدميري. ونحن عادة نلاحظ في هذا التحول نمط يبدو أنه يحدث كنوع من نقل السرعات الميتاسيكولوجية والتي تتجلى بوصفها إدراك العنف. ما يعنينا هنا هو عنصر التمزق الذي يمكن أن يحسب النقص، الفقدان، والذي هو القوة الدافعة الوحيدة التي تحافظ على الرغبة نابضة بالحياة. يمكننا أن نستشف من وراء الإثارة من هذا العنف (العنف الأخلاقي وكذلك المادي)، بسن عملية معروفة: وهي الأزمة الهستيرية. وتحدث هذه الأزمة كأحد الإفرازات اللبيدية للاستثمار الشبقي في موضوع الرغبة. في الواقع، يمكننا مشاهدة نوبة العنف هذه على أنها " أزمة

هستيرية على غرار "شاركو"، في شكل قيود ولكن لنفس الغرض. لدينا هنا، وإن كان ذلك على نطاق أصغر، الحلقات الرئيسية للأزمة الهستيرية الكلاسيكية. ويتم الإعلان عن المرحلة البادرة عن طريق الثرثرة التفسيرية. ويرمز عموما للمرحلة الارتجاجية بالأزمة التفكيكية المذهلة. تتميز عموما المرحلة الاسترخائية بالانهيارات العاطفية النمطية، والبكاء، والأنين ومختلف أنواع النواح الأخرى. بالإضافة إلى ذلك، هذه المرحلة الاسترخائية يتبعها دائما المرحلة التالية، مرحلة التكفير والغفران.

من السهل أن نرى كيف، في عدة طرق، أن اقتصاد الرغبة للذكر الهستيري يمكن للوهلة الأولى أن يختلط بالانحراف. ومع ذلك، فهذه الصورة الإكلينيكية، على الرغم من أنها تدعو إلى الذهن بعض أعراض الانحراف، فهي لا تشترك في شيء مع بناء المنحرف. يتم تحديد الفرق البنائي المطلق بين هذين التنظيمين النفسيين من خلال النمط الهستيري للإدراج في الوظيفة القضيبية.

3

الجزء الثالث

البناء الهستيري

الجزء الثالث

البناء الهستيري

10

البناء الهستيري والمنطق القضيبي

وبالانتقال إلى البناء الهستيري، سأحاول، كما فعلت مع الانحرافات، أن اصف السمات البنائية الأساسية، أن أشير إلى ما، في جدلية الرغبة وإشكاليات الفالوس، يمكن اعتباره نقاط رسو للتنظيم الهستيري.

هناك بعض النقاط الأساسية التي يأخذ فيها المنطق القضيبي منعطفا محددا فيما يتعلق بمسألة امتلاك الفالوس أو عدم امتلاكه. ولكن على الرغم مما نتعامل معه في الهستيريا هو سمة بنائية، لكنه صحيحا مع ذلك أن الانتقال من الوجود إلى الامتلاك هو حدوث عام في العملية الأوديبية، وهو الجانب العالمي للتنظيم النفسي. المميز في الهستيريا هي الطريقة المميزة التي يتم التعامل بها مع إشكاليات الامتلاك. كما رأينا، فإن الانتقال من الوجود إلى الامتلاك يتحدد في المقام الأول من قبل تدخل الأب. يظهر الأب المتخيل على وجه التحديد باعتباره مُحبط ومُحرم. ويبدو أيضا بمثابة مانع (جويل در، 1989). ذلك لأنه من المسلم به أن الأم ترى الأب، كما يقول لاكان: " بأنه الشخص الذي يضع القانون" وهكذا يدرك الطفل أن رغبة الأم تتجه إلى بُعد الامتلاك. وبما أن الأب المُحرم يأخذ مسألة رغبة الطفل بعيدا عن بُعد الوجود (كونه فالوس الأم)، وهو يقود حتما الطفل نحو سجل الإخصاء.

عندما يبدأ الطفل في الحصول على بعض من فكرة الإخصاء، يكتشف ليس فقط أنه ليس الفالوس ولكن أيضا أنه لم يمتلكه، تماما مثل الأم التي، يكتشف في نفس الوقت، ترغب فيه في المقام حيث يفترض أن يوجد. وبالتالي فإن الأب يبلغ وظيفته على أكمل وجه، الأب الرمزي عندما تقر الأم كلمته بصفته الوحيد الذي يمكنه تعبئة رغبتها. ورؤية ما يختبره في هذه التعبئة الجديدة لرغبة الأم، فيضع الطفل الأب المتخيل في دور الوصي على الفالوس.

أريد أن أركز بشكل خاص على عكس جدلية الوجود والامتلاك في تنظيم

البناء الهستيري. قدم "لاكان" (1957-1958) شرحا قيما لوجهة نظره وتأثيرها على عقدة الإخصاء:

من أجل أن تمتلك [الفالوس] يجب أن توجد احتمالية فقدانه. هذا الاحتمال للإخصاء هو أمر أساسي لافتراض حقيقة امتلاك الفالوس. هنا لدينا خطوة يجب أن نخطوها، فهنا عند نقطة معينة، على نحو فعال حقا، يجب أن يتدخل الأب.

المسألة في الهستيريا هي قبل كل شيء مسألة هذه "الخطوة التي يجب أن نخطوها" في الاستيلاء على الفالوس. ومن خلال هذا الاستيلاء يحرر الطفل نفسه من التنافس القضيبي الذي كان قد وضع فيه نفسه ووضع الأب فيه بشكل متخيل. ويتمثل انجاز الاستيلاء على الفالوس بالضبط فيما ألمح إليه "فرويد" على أنه تراجع لعقدة أوديب. وهذا التراجع، بشكل واضح، يعتمد مباشرة على مسألة الإسناد القضيبي للأب، وهذه، في المقابل، هي اللحظة التي يبدأ فيها منطق الرغبة الهستيرية في الحركة.

كما لاحظ "لاكان" (1957-1958) يجب على الأب إعطاء الدليل على ذلك الإسناد، ويتم استهلاك اقتصاد الرغبة بأكمله لـلـهستيري من خلال أعراض وضع " إعطاء الدليل" على المحك. مرة أخرى يفسر "لاكان" هذه العتبة النفسية التي يتعثر بها الهستيري عصابيا:

بقدر ما يتدخل الأب على أنه الشخص الذي لديه الفالوس وليس الشخص الذي هو الفالوس نفسه، يمكن أن ينشأ شيئا ما يحدد وظيفة الفالوس كموضوع مرغوب من قبل الأم وليس فقط كموضوع يمكن للأب أن يحرمها منه.

ويشكك الهستيري ويتحدى دون توقف الإسناد القضيبي، ويتأرجح حول هذا "الشيء" الذي يتطور من عدم التحديد بين بديلين نفسيين: إما أن الأب لديه فالوس في الأصل، وهذا هو السبب أن الأم ترغب فيه؛ أو أن الأب لديه الفالوس لأنه أخذه من الأم. والخيار الأخير هو في المقام الأول الذي يحفز التشكيك المستمر من الهستيري للإسناد القضيبي.

لقبول أن الأب هو الولي الشرعي والوحيد للفالوس هو إشراك رغبة الفرد فيما يتعلق به على أساس لا وجود له. من ناحية أخرى، فتحدي الفالوس على أساس أن الأب فقط حرم الأم منه، فذلك يفتح إمكانية مطالبة دائمة استنادا إلى

حقيقة أن الأم، أيضا، يمكن أن تمتلكه، وفي واقع الأمر لديها الحق في ذلك.

فمن السهل أن نرى كيف على هذا المستوى الجدلية الأوديبية، أن كل غموض وكل تناقض من جانب الأم والأب فيما يتعلق بالضبط أين يوجد الإسناد القضيبي، يمكن أن يفضي إلى تنظيم العملية الهستيرية. لقد اقترحت أن مرضى الوسواس يحنون لوقت كونهم الفالوس، ويمكننا القول أيضا أن الهستيريين منخرطون في سبب امتلاك الفالوس. تكشف هذه المطالبة بامتلاك الفالوس بعض من السمات البنائية الأكثر أهمية في الهستيريا. ولكن تجدر الإشارة إلى أن الاختلاف الجنسي يلعب دورا هنا. فإن مطالبة الهستيري تفترض شكلا محددا بين الجنسين من حيث السلوك الواضح، على الرغم من أن أساسا الخيال نفسه يكمن وراء سعيه، بالتأكيد، على استيلائه: المفحوص قد حرم ظلما من الإسناد القضيبي ويجب عليه تصحيح ذلك. إما أن المرأة الهستيرية "تتظاهر بأنها رجل"، مثلما وضح "لاكان" ذلك، أو أن الذكر الهستيري يعذب نفسه لإثبات فحولته، فإن الديناميات هي نفسها في كلا الحالتين. فكلاهما يتمتع بخيال المطالبة المفترضة للفالوس، والتي، على حد سواء، تعني الاعتراف بأنهم لا يملكون الفالوس.

11

ملامح البناء الهستيري

إنه من الشائع في أدبيات التحليل النفسي أن الهستيري لديه ميل نحو أعراض التحويل. وبالمثل، يقال أن الهستيريا تتسم بتشكيل أعراض الرهاب وعادة ما يكون مرتبط بالقلق. في حين أن هذه العلامات في الواقع لها بعض الفائدة التشخيصية البسيطة، ولا يمكن الاعتماد عليها لأنها ليست سوى جزء من تصنيف الأعراض. كما رأينا، هذه المؤشرات الإكلينيكية دائما ما تكون غير كافية عندما يتعلق الأمر بالتقييم التشخيصي الدقيق. أنها تخدم فقط كعناصر أولية للمعلومات التي يجب تأكيدها عن طريق اكتشاف السمات البنائية. ويجب أن نأخذ في الاعتبار شيء واحد وهو الصورة الإكلينيكية القياسية للهستيريا، وشيء أخر للتأكد من أن هذه الأعراض لن تخدم أكثر من وظيفة بحتة لتوصيف الأمراض.

ومن المتفق عليه عموما أن هناك ثلاث فئات رئيسية من الهستيريا: الهستيريا التحويلية وهستيريا القلق وهستيريا الصدمة. من وجهة نظر توصيف الأمراض، تتميز كل هذه الأنواع عن بعضها من خلال أعراض محددة، على النحو المنصوص عليه في تصنيف الأمراض النفسية. ولكن في التحليل النفسي الإكلينيكي يلعب هذا النظام دورا ثانويا فقط. أيا كان نوع الهستيريا الذي نتعامل معه، فالاقتصاد الكامنة وراء الرغبة الهستيرية يظل كما هو في الأساس، وهذا التشابه يمكن التأكد منه فقط على أساس الصفات البنائية والبيانات العميقة التي تشير إلى بنية محددة. يمكن أن يفضل المريض التحول الجسدي، وأخر قد يعبر عن أعراض رهابية في المقام الأول وعناصر من القلق: في كلتا الحالتين سيكون التدخل العلاجي فعال فقط إذا نجح في تعطيل الاقتصاد العصابي للرغبة، بمعنى، إذا ذهب لأبعد من الأعراض ليشير إلى المستوى البنائي.

وعلاوة على ذلك، ينبغي ألا ننسى أن صورة الأعراض الهستيرية موجود في التنظيمات البنائية الأخرى كذلك. يجب علينا، بالتالي، الاهتمام بفك الشفرات الصارمة للصفات البنائية، وذلك على عكس تتبع الأعراض.

فيما يتعلق بهذه الصفات البنائية، أريد أولا مناقشة ما يمكن أن يطلق عليه الاغتراب الذاتي للهستيري في علاقته برغبة الآخر. هذا في الواقع احد أهم العناصر التي تشكل أداء البناء الهستيري. ولفهم طبيعته المحددة، يجب علينا أن نعود إلى إشكاليات الامتلاك، لأنها هي مركز مسألة الرغبة الهستيرية.

إذا كان موضوع الرغبة الأوديبية، الفالوس، هو ما يُشعر الهستيري أنه قد حُرم منه ظلما، وانه يمكن تفويض مسألة رغبته الخاصة فقط إلى الشخص الذي من المفترض أنه يمتلك الفالوس. بهذا المعنى، فهو يشكك في ديناميات رغبته فقط مع الإشارة إلى الأخر، الذي يفترض دائما امتلاك الإجابة على لغز أصل وعمل الرغبة في السؤال.

يمكننا أن نرى، إذن، كيف يخدم الآخر كوسيلة للدعم المتميز لعمليات الهوية، ما يسمى التوحد الهستيري، الذي وضحه (فرويد، 1921) في هذا الاغتراب، والدعم الذي يمكن أن تقدمه المرأة وكذلك الرجل. المرأة الهستيرية، على سبيل المثال، يمكن أن تتوحد بسهولة مع امرأة أخرى إذا كانت الأخرى تعرف الإجابة على لغز الرغبة: كيف يمكن للمرء أن يرغب فيما حُرم منه وهو حق له؟. حالما تقدم امرأة راغبة نفسها بأنها "لا تمتلكه" ولكن مع ذلك ترغب في الرجل الذي يفترض أنه يمتلكه، يبدو مثل هذه المرأة للمرأة الهستيرية هي التي يمكنها أن تعطي لها الإجابة على سؤالها، وبالتالي نجد الهستيرية تتوحد مع هذا النموذج.

مثل هذا التوحد، بالطبع، لن يكون أبدا أي شيء إلا حيلة عصابية، العمى، الذي لا يستطيع بأي وسيلة توفير الاستجابة المتوقعة. على العكس من ذلك، انه يزيد من استياء العصابي من اقتصاد الرغبة. كما يقول لاكان، فإنه يخفي في الواقع "الخطوة التي يجب اتخاذها"، وبذلك يقبل نقص الفالوس لدى الشخص أخيرا، لكي يجعل من الممكن الحصول على فالوس في وقت ما في المستقبل. وفي الواقع، يقبل أن نقص الفالوس يعني أن تكون قادر على التوحد مع المرأة التي لا تمتلك الفالوس، ولكنها ترغب في الرجل الذي يفترض أن يكون لديه الفالوس.

ومع ذلك، فإن الهستيري يمكن أيضا أن يتوحد مع المرأة التي لا تمتلك الفالوس والتي، نتيجة لذلك، تطالب به. وهذه إستراتيجية توحدية لا أتردد في أن اسميها " التوحد المتشدد" أو " التوحد على أساس التضامن". يؤدي هذا التصرف إلى نفس العمى كما في المثال السابق، لأنه ينفي مرة أخرى الشرط الذي يُصلح العلاقة بين المفحوص والرغبة في الفالوس.

على أي حال، تصبح هذه العمليات التوحدية شاهد على الاغتراب الذاتي لدى الهستيريين في علاقتهم برغبة الأخر، ولاسيما خضوع رغبتهم فيما يفترضون، ويشعرون، حتى يتخيلون في وقت مبكر انه رغبة الأخر. ومثل هذا الخيال المفرط في النشاط يترك المجال مفتوح لجميع أنواع الاقتراحات والنفوذ، ويعمل الاقتراح دائما تحت شرطين. الأول، يجب أن يمنح الآخر الذي يقوم بالاقتراح بالفعل بمكانة

متميزة عند الهستيري، وثانيا، يجب أن يشعر الهستيري بأنه قادر على الاستجابة على ما يعتقد أن الآخر يتوقعه منه. والموقف المتميز هنا للسيد، الذي دائما ما يكون على هذا النحو من قبل الهستيري بقدر ما يفترض أنه يعرف ما يبذله الهستيري من جهد ممكن ليسيء فهم رغبته.

بهذا المعنى، يمكن لأي شخص أن يجد نفسه، في ظل ظروف مواتية، تستثمر مع وظيفة السيادة. يصبح الوضع معقدا إلى حد ما في كثير من الأحيان، خصوصا عندما يكون الشخص الذي تم تنصيبه السيد لا يظهر أي استعداد لهذا الدور. ولاحظ "لاكان" في هذا السياق احتياج الهستيري للسيد أكثر يمكنه أن يحكم. ومع ذلك، إذا اظهر الأخر قليل من السمات التي يقرضها الهستيري له في الخيال، فانه يصبح على الفور "المختار" فيما يتعلق بما سيستمر الهستيري في تطوير ميزة العمى في مآزق رغبته. وكل ما يجب على " المختار" القيام به هو تأكيد دوره الخيالي مع أمثلة قليلة من السيادة في الحياة الحقيقية للهستيري لتكثيف عمل اقتصاده العصابي.

دراسة بعض السيناريوهات الشائعة يمكن أن تسلط الضوء على هذا الاغتراب في رغبة الهستيري في رغبة الآخر. ولنأخذ، على سبيل المثال، "إظهار ميزة جيدة لشخص ما" تحكم التبادلات الذاتية لبعض الأزواج. الهستيري لديه ميل فريد لوضع التعبير عن أي من الصفات الشخصية جانبا من أجل تسليط الضوء على ذلك الشريك. فالهستيريون يقدمون أنفسهم باعتبارهم المدافعين عن أفكار وقناعات وخيارات الأخر.

عموما، هذا الشغف لوضع نفسه في خدمة الآخر هو أكثر انتشارا في الهستيريا الأنثوية. مثل هؤلاء المفحوصين يكرسون كل ما لديهم من المهارة والموهبة بابتهاج في المكانة التي يستمدها الآخر من هذه المواهب. أما بالنسبة للرجال الذين يضعون أنفسهم في هذه المهزلة، فهم يتوحدون مع دور الموضوع المميز، أو رمزا للمكانة التي يخصصها الهستيريون لهم.

هذه التضحية بالنفس تكشف جانبا آخر أساسيا من الهستيريا، وهو " إظهار النفس". ويحدث عن طريق الإزاحة، منذ وضع نفسه في خدمة آخر يرقى دائما إلى محاولة لعرض الذات من خلال الآخر للتألق من خلال الضوء المنعكس. وهذا النوع من الاعتماد دائما يشير إلى التخلي عن بعض جوانب الرغبة الخاصة لصالح الأخر. ما يحدث هو التقاط مزدوج، يسرق نفسه للتعبير عن رغبته الخاصة، وفي نفس الوقت يحاصر الآخر من خلال الخلط بينه وبين نفسه، ويدفع باستمرار إلى

الواجهة، الرغبة التي يعتقد المرء أنها له.

يفترض هذا الاتجاه الهستيري عددا من الأشكال النمطية. وبالتالي، لإرضاء ومحاولة تحقيق ما كان يتصور أنه متعة الآخر، يتعهد الهستيري عن طيب خاطر بتضحيات تشمل نكران الذات؛ تاريخيا نجد نسخة من هذا في المهمات التبشيرية. ودعونا لا ننسى مصير " آنا أو" (بيرثا بابنهايم)، وقد أسس ("فرويد" وبروير 1895)، مجموعة المحسنات الشهيرة، للأخصائيات الاجتماعيات. وعلى الجانب الذكوري، فكر في "قدامى المحاربين" الذين يعززون المكاسب الثانوية للعصاب بواسطة التباهي بكل التضحيات التي قدموها من أجل عائلاتهم وعملهم أو لأسباب أخرى جديرة بالاهتمام.

وعلى الرغم من أن عنصر الامتلاك هو الركيزة الدائمة لاقتصاد الرغبة عند الهستيري، وهناك بعض الأوقات التي يتم فيها، على وجه التحديد لأنه لا يملكه، وسوف يعطي الهستيري الأفضلية لتوحده مع الفالوس، وذلك معناه أن يصبح هو الفالوس. وهذا لا يتناقض بأي حال من الأحوال مع الوضع السابق. ولكن على العكس من ذلك، فهو في الواقع توريث لعلاقة الهستيري بالامتلاك، وبهذا المعنى فهو ميزة أخرى للبناء المميز للهستيريا.

ويظل في داخل كل هستيري، بطريقة أكثر أو أقل تدخلا، آثار من الرثاء القديم على أساس المطالبة بحب الأم. غالبا ما يواجه الهستيري نفسه بأنه لم يكن موضع حب كافي من الآخر، كما انه لم ينال الحب الكامل الذي توقعه من أمه. هذا الإحباط في الحب يأتي دائما تحت عنوان ما هو على المحك فيما يتعلق بالفالوس. وهكذا فإن الهستيري يرى نفسه ككائن مثير للشفقة من رغبة أمه، في مقابل ما كان يمكن أن يكون كائن كامل ومثالي، ألا وهو الفالوس.

تم العثور على التأثير الأكثر وضوحا لهذه العلاقة المتدنية لموضوع رغبة الأم في مجال هوية الهستيري. ودائما ما تكون هذه الهوية غير مرضية وناقصة، وبعبارة أخرى، مقارنة جزئية مع الهوية المثالية والكاملة، وبالتالي الجهود، غير المجدية بقدر ما هي غير مشبعة، التي يبذلها الهستيري من أجل تحقيق هذه الهوية. والخيال الكامن وراء هذا النشاط الكبير، بوضوح، يصبح الموضوع المثالي للآخر للمرة الأولى. وتتحدد قوة افتراض أن شخصا لم يكن قبل ذلك الكائن المثالي، هو التكوين المميز لاقتصاد الرغبة عند الهستيري.

في وقت مبكر، لفت "فرويد" الانتباه إلى الدرجة التي تكون فيها رغبة الهستيري القصوى هي أن تبقى رغبته غير مشبعة، انظر مناقشة "حلم السلمون

المدخن" ("فرويد" 1900، ص ص 147-151). مثل هذا المفحوص يحبس نفسه داخل منطق نفسي لا يقبل الجدل، من أجل الحفاظ على رغبته، ويحاول ألا يقدم أبدا موضوع مشبع لهذه الرغبة، وبهذه الطريقة يعيد عدم الإشباع تعبئة رغبته في طموح، دائما ما يكون بعيد أكثر، متجه نحو الوجود المثالي.

بقدر ما يسعى الهستيري، قبل كل شيء، لتنظيم التوحد مع الكائن المثالي لرغبة الآخر، تصبح كل جهوده في خدمة التوحد القضيبي. فإنه ليس من المستغرب أن نلاحظ انجذاب الهستيري الكبير تجاه أي موقف يمكن أن يتحقق فيه هذا التوحد المتخيل على المسرح. ومن هنا نجد ما يشار إليه عادة باسم النرجسية القضيبية للهستيري، حيث أن النرجسية القضيبية تحدث عادة على عتبة مشكلة الفرق الجنسي، وهي مشكلة سوف تجد أصلها في قبول الإخصاء، واعتمدت هذه الإستراتيجية الهستيرية في محاولة للتهرب من مسألة وجود الفالوس، وهي المواجهة الحتمية مع النقص.

تأخذ النرجسية القضيبية للهستيري في معظم الأحيان شكل مذهل وغير معدل من "وضع في عرض" بمعنى، تنظيم الأداء الذي هدفه الأساسي هو تقديم نفسه لنظرة الآخر كتجسيد لموضوع الرغبة المثالي. ولذلك يجب على الهستيري أن يتوحد مع هذا الموضوع الجسدي وكذلك من خلال الكلام. الشيء الأساسي هو أن يظهر ككائن رائع سوف يفتن الآخر.

جميع المغريات التي يتعهد بها الهستيري تقوم على هذا التألق القضيبي. فذلك هو الحال أنه، في الهستيريا، يكون الإغواء دائما أساسا في خدمة الفالوس أكثر مما هو عليه في خدمة الرغبة. وبعبارة أخرى، هو أكثر أهمية لتعزيز التوحد المتخيل مع الفالوس أكثر من رغبة الآخر. ما يجب أن يحدث، رغم كل الصعاب، هو أن يرغب الآخر، ليجعله يرغب في هذا الكائن المدهش الذي يتم عرضه ككائن يمكن أن يشبع نقصه. ولكن الأكثر أهمية هو أن يبقي الأخر متشوق خلال هذه العملية. طالما الأخر منشغل بمثل هذا الكائن، يمكن للهستيري الحفاظ على خيال توحده القضيبي. ولكن، كما نعلم، بمجرد أن يتوقف سعي الأخر ويريد أن يفعل شيئا حيال رغبته، فهو عادة ما يتعرض لخطر الخروج من حياة الهستيري. فعندما يكون الهستيري مسيطر، لا يحصل السيد على ما يريد.

من وجهة نظر من التوحد مع موضوع النقص عند الآخر، تصبح الإشكالية واحدة بالنسبة للهستيريين من الإناث والذكور، حيث أن القضية هي الطريقة التي يضع فيها الشخص نفسه فيما يتعلق بالإخصاء. من ناحية أخرى، فإن

الاستراتيجيات العصابية تتخذ أشكالا مختلفة تبعا لجنس المفحوص. بالنسبة للمـرأة، فـيما يتعلـق بجانـب الامتلاك فيصبح عدم امتلاكه. في حين أنه بالنسبة للرجل سـيكون مـن المفـترض أن الرجـل يمتلكـه. وهـذا التشعب في تسجيل الامتلاك يؤدي إلى مسارات الإدراك التي تكون نمطية لجنس المفحـوص المقصـود. كـما سنرى في الفصول التالية، أنه من الأساسي فيما يتعلق بالجنس أن نجد ملامح مميزة لـلـهستيريا عند الإناث والذكور.

12

المرأة الهستيرية والجنس

وفيما يتعلق بالرغبة، تصبح العلاقة بالأعضاء التناسلية للآخر هي دائما الرغبة في الفالوس لدى الأخر. وهكذا يمكن للمرأة أن تجد، في رجل، ما ليس لديه على الإطلاق. وفي المقابل، يسقط بعض البعد القضيبي على المرأة التي تعبئ رغبة الرجل فيها. في كلتا الحالتين كلا من أطراف النزاع يفترض أنه يمتلك ما لا يملكه الآخر. وبعبارة أخرى، فإن عنصر النقص هو الذي يحكم علاقة العملية الجنسية.

بطريقة ما يرى المرء نفسه قادر على أن يكون فالوس الآخر، يعني دائما رفض مواجهة هذا النقص، وهذا هو الموقف الخيالي النمطي للهستيري. على العكس، فإن الاعتراف بالنقص يستتبع دائما الاعتراف بإخصاء الآخر. وبالتالي، فإن تداول الرغبة بين الرجل والمرأة يعتمد بشكل حاسم على الاعتراف المتبادل بإخصاء الآخر. بالنسبة للرجل، يبدأ هذا التداول عندما يقدم نفسه لامرأة تحت إطار "أنا لا امتلك الفالوس"، وبالنسبة للمرأة، عندما تقدم نفسها في إطار " أنا لست الفالوس" يمكننا أن نرى السبب في أن الهستيري يتورط في استحالة عندما يتعلق الأمر بعلاقته بالجنس الآخر، واستحالة أعراض مساندته لرغبته التي لم تتحقق. وهذا، بدوره، ينبع من حقيقة أن الهستيري لم يعترف بهذين المظهرين للإخصاء.

دعونا ننظر أولا في ما يتعلق بالجنس في الهستيريا الأنثوية؛ في الفصل التالي سيتم مناقشة الهستيريا الذكورية.

يتم تحديد هذه العلاقة للعملية الجنسية من خلال عدد من العناصر الذين هم في الواقع بمثابة دعامات للمنطق الهستيري للرغبة. ورغم أن هذه الدعامات المستندة إلى الواقع مختلفة، يتم اختيارهم بسبب أن هدفهم واحد: المثالي الذي لا يدخر الهستيري في سبيله أي تضحية. والدافع لدى المرأة الهستيرية هو القلق اللانهائي لتحقيق الكمال بإسم هذا المثالي. وبتعبير أدق، ما نتعامل معه هو شرط يتعلق بالكمال معتمد على بعض القوالب النمطية الثقافية والأيديولوجية، بدءا من فكرة أن الجمال والأنوثة مرتبطان في جوهرهم.

بقى أن نلاحظ شيء واحد وهو أن المرأة الهستيرية هي المعذبة باستمرار بسبب اهتمامها بالجمال، وشيء آخر هو أن نرى كيف يأتي الجمال ليتداخل مع الأنوثة إلى حد إن يحل محله. والغريب في الأمر، إن هذا القلق بسبب الجمال

يكون عبد للمثالية والكمال وعادة ما تعبر عنه المرأة بالتقييمات الذاتية السلبية: "أنا أيضا هـذه"، و" لقـد حصلت على القليل جدا من ذلك"، " أنا أبدو فظيعة"، "يجب أن يكون جسـمي مثـل هـذه"، "ويجـب أن يكون وجهي مثل تلك"، وهلم جرا.

للوهلة الأولى، ليس هناك شيء غير عـادي في كـل هـذا، حيـث توضـع النرجسـية العاديـة للجميـع للاختبار في بعض الأحيان. ولكن بالنسبة لـلـهستيرية، هذا الاختبـار يفـترض نسـب سـاحقة؛ بالنسـبة لهـا، تصبح النرجسية مطلقة. وهذا صحيح بنسبة كبيرة لأن نظـام الخيـال الـذاتي للفـرد فـيما يتعلـق بـالجمال مرتبط عادة بالطرق التي تريدها المرأة أو كونها قـادرة عـلى إرضـاء الآخـرين. الآن، هـذه الرغبـة لإرضـاء الآخرين في حد ذاتها تدعو بأي حال من الأحوال إلى تزايد الطلب العالمي على الجمال، يمثل الكمال بحيث أن تقييمات الأشخاص الآخرين لنا يصبح لها قوة القانون. على الرغم من الرغبـة في الإرضـاء تنطـوي عـلى الحصول على كمية معينة من الاهتمام من الآخرين، إلا أنه لا يجب أن تصـل لأقصى درجـات الكـمال مـن أجل الحصول على هذا التأكيد.

ولكن هذا هو الفرق الذي لا يدركه الهستيري تماما؛ ولا يزال هناك أمل خفي لتحقيق أوج الكـمال. وعند هذه النقطة تصبح الإستراتيجية الهستيرية عمياء، بمعنى، صريحة مع نفسـها: لاسـتدعاء الأخـر بمثـل هذه الطريقة لدرجة أنه يفتن ويذعن تماما. يترقى جنونها إلى التمادي في الخيـال للأخـر الـذي سـيندهش تماما من تجسيد مثل هذا الكمال. لحسن الحظ، هذا لا يحدث مع الأخر الذي يعترف بالإخصاء.

يصبح الهستيري أقسى القضاة عندما يتعلق الأمر بفكرة الارتقاء إلى الكمال. لا شيء يمكنه أن يكـون جميل بما فيه الكفاية للقضاء على آثار النقائص والعيوب. هذا الشرط الاستبدادي من المحـتم أن يتسـبب في ظهور بعض الأعراض، والتي من أبرزها تردد الهستيري الدائم فيما يتعلق بكل شيء، حتى إذا كان الأمـر مسألة من المسائل اليومية العادية أو أكثر أهمية على المدى الطويل. فنجد أن إستراتيجية الأعراض نفسها تعمل، على سبيل المثال، أثناء اختيار الملابس والأحذية ونوع معجون الأسنان، أو في نهاية المطـاف، اختيـار شريك الحياة. وعلى الرغم من أن عملية الاختيار تصل لنهايتها في نهاية المطـاف بسـبب الإنهـاك، مـا يـتم اختياره يبقى محل عدم يقين وشكوك وندم. المفاوضات المتواصلة ذهابا وإيابا التي تنتج عـن هـذا فقـط تزيد من التردد الأولي، حيث أن أي شيء قد تـم اختيـاره لـيس بقـادر عـلى بعـث الاطمئنـان أو أن يـؤدي وظيفته على نحو أفضل من الشيء الذي تركه.

تصـبح مشـكلة الـتردد أكـثر حـدة عـلى مسـتوى اختيـار شريـك الحيـاة. هنـا تعـاني

الهستيرية من عدم وجود معيار للاطمئنان. نظرا لطبيعة الحال، فهي تعذب نفسها بسبب قلبها وعلاقتها في الحب. ويظهر في هذا المجال بعض من أهم السمات المميزة للبناء الهستيري. "أن تكون موجود هناك دون أن تكون هناك"، في علاقة الهستيرية بالأخر، تمثل فتحة للهروب مفيدة عندما يتضح أن الاختيار كان خاطئ. هذا الاتجاه مهم في ضوء اقتصاد رغبة الهستيرية، وتبقى السمة الدائمة عدم الإشباع.

وبهذا المعنى، يمكننا القول أن البحث الشيطاني لتحقيق الكمال في الواقع يعبر السلبية الخاصة، القناعة الدائمة بأنها غير كاملة. لذا يمكننا أن نفهم لماذا تتساهل الهستيرية مع شروط التظاهر، التي من خلالها تحاول إخفاء العيوب التي تعاني منها على أنها سيطرة نفسية. أي شيء وكل شيء يمكن أن يكون بمثابة قناع: الملابس والمجوهرات ولعب الأدوار والهويات المزيفة. كل شيء يمكن استخدامه لجعلها أكثر جاذبية لأنظار الآخر، وهي أشياء من المفترض أن تكون غير جذابة. هذا هو الجانب الزائف تماما من شخصية الهستيرية، وهو الأساس في عدم التناسق والمسؤولية.

كجزء من الظاهرة نفسها، المرأة الهستيرية مزعزعة في جوهرها الأخلاقي والفكري مثلما في شكها في كمالها الجسدي. وعيوبها لا تقتصر أبدا على ما يمكن أن ينظر إليه من جسدها، بل تمتد إلى ذكائها وعقلها، حتى أن "التظاهر" نراه في هذا السجل كذلك، وبنفس تقنيات التمويه. والتعبير المفضل "أنا جاهلة تماما" يكشف كيف أنها مهمومة بشعور أنها لا يمكن أبدا أن تكون ذكية بما فيه الكفاية أو مثقفة في نظر الآخر، ويمكن لهذا التصرف أن يبدو أحيانا وكأنه عقدة اضطهاد حقيقية بقدر ما يتعلق بالذكاء. ويبدو رثاءها المستمر لموانع الأعراض مألوف مع الفكرة المتكررة: "ليس هناك فائدة من قراءتي الكتب، لأنني لا أتذكر أي شيء منها على الإطلاق"، " لا افهم أي شيء، ليفسر لي شخص ما هذا"؛ وهلم جرا.

توفر هذه العلاقة بالمعرفة أرضا خصبة للإدراك المؤلم للعيوب، بل إنه في الواقع أصعب بكثير من إصلاح العيوب الفكرية بالحيل أو الأوهام التي يمكن أن تغطي أكثر العيوب الجسدية. وهكذا لا يوجد أحد مثل الهستيرية عندما تستنكر مثل هذه الحيل عندما تحاول الخداع في مجال المعرفة. فهي كقاضي ورقيب لا ترحم: لا يمكنها التغافل عن أي شيء. وحيث أن المعرفة يجب أن تكون مطلقة، فهي تؤيد دون تحفظ فكرة "إما أنك تعرف شيئا، أو انك لا تعرف لذلك فأنت جاهل تماما". عندما يكون الشخص غير قادر على إثبات أنه يعرف كل شيء، ويتظاهر بأنه

يعرف شيئا قليلا وبالتالي يبدو وكأنه وصمة عار أو مزور.

وبالتالي فإن الهستيرية تقنع نفسها منذ البداية أنها لن تتقن أقل القليل من المعرفة. وتلجأ في هذه الظروف إلى "نوع من التظاهر" في محاولة يائسة ليكون انعكاسا لمعرفة آخر. للوصول إلى أفكار الآخرين، ليصبح دعمها غير المشروط من خلال هذا الالتحام الخيالي؛ وبالتالي تضع نفسها بطريقة بحتة ونقية في صدى هذا الالتحام. مرة أخرى نرى هنا أن السمة البنائية للهستيريا التي تتكون "في أن تكون موجود هناك دون أن تكون حقا موجود" على جانب رغبة الأخر الخاصة. ومن خلال جعل نفسها لسان حال معرفة الأم، تقوم بالتغلب على عجزها. وكونها مثل "مكبر الصوت" على هذا النحو ينطوي على القلق المستمر لإرضاء الآخر ووضع نفسها ككائن يمكن أن يملأ نقص الأخر. لإرضاء الآخر، فهي أولا تفكر مثله، ثم تتكلم مثله وبالطريقة المثلى. إذا وجدت ظروف مواتية سوف تفكر وتتكلم مثله، ولكن في مكانه. تتفق هذه الهشاشة مع مشروع الذوبان في رغبة الآخر، وبالتالي تصبح مجرد انعكاس لصورته.

في هذا التصرف نجد العبودية المميزة حيث تضع الهستيرية نفسها فيما يتعلق بالذي تم اختياره لدور السيد، الذي لابد له أن يعرف كل شيء. تسعى الهستيرية جاهدة لتصبح انعكاس لفكره، ويصبح الخطاب الهستيري، بالتالي خطاب الأخر. بهذا المعنى، لان الخطاب مستعار يمكن أن يكون خطاب الجميع.

والسعي غير المشروط إلى الكمال يبرز سمة أخرى من الهستيريا: مشكلة التوحد مع المرأة التي تعذب كل هستيري لدرجة أن مسألة هويتها الأنثوية تصبح محل شك. ومن الشائع أن الهستيرية تتثبت دائما على نموذج مؤنث أو أخر عندما تحاول أن تثبت أنوثتها الخاصة. ولعلنا نذكر تاريخيا حالة دورا ("فرويد" 1905ب) التي كانت أسيرة صفات وسحر السيدة ك. وشعر "فرويد" سريعا بالتقلبات في عملية التوحد، وهي أحد الثوابت الأساسية للعمل الهستيري. ونجد في هذا البعد ظهور وتكشف الشذوذ الجنسي الهستيري، الذي يتصل أكثر بعملية التوحد أكثر مما يتصل باختيار موضوع الحب.

إذا أصبحت الهستيرية بسهولة أسيرة لامرأة أخرى تتخذها كنموذج، فذلك لأن هذه المرأة الأخرى يفترض أن لديها الجواب على هذا السؤال الحاسم جدا بالنسبة للهستيرية: ما معنى أن تكون امرأة؟ ولكنه بسبب هذه القضية المركزية يكون الشذوذ الجنسي الهستيري ليس معنيا باختيار امرأة ككائن للحب المثالي. على العكس من ذلك في مجونها مثلي الجنس، تسعى الهستيرية قبل كل شيء إلى أن

تكون مثلها وأن تفكر مثلها وأن تعيش مثلها وان تمارس الحب مثلها وأن يكـون لهـا نفـس الرجـال وهلـم جرا. وبعبارة أخرى، ما يحدث هنا أن الهستيرية تقلد في الأساس امرأة الأخرى التي يفترض أنها، جلبت لها هويتها الأنثوية إلى حالة الكمال.

هذا التقليد للنموذج الأنثوي يتيح لنـا أن نفهـم جوانـب معينـة مـن علاقـات الإنـاث الهسـتيريات بالأزواج. يحتوي اكتمال اعتماد النموذج الأنثوي، كحد أدنى، على مشـاركة تامـة لخياراتهـا وأذواقهـا. ومـع خطوة واحدة فقط، ربما تسرق حبيب المرأة الأخرى. وتبين التجربة كيف أن الهسـتيرية بسـهولة تسـتطيع إغراء حبيب صديقتها، وذلك لأن صديق المرأة الأخرى دائما " أفضل" من صديقها. وتعود مسـألة الاختيـار مرة أخرى، فالرجل الآخر لديه شيء أكثر دائما أو شيء أفضل من حبيبها أو صـديقها الحـالي. الرجـل الآخـر هو تماما مثل الملابس أو الأحذية التي لم تختارها، ويتبين أنها أكثر إشباعا بكثير من تلك التي اختارتها. وما يلي ذلك هو نفس السيناريو ونفس الرثاء ونفس خيبة الأمل.

في اختيار الحبيب، تعمل المرأة الهستيرية على مساندة انضمامها إلى المثل الأعلى مـن الكـمال طالمـا أنها تستطيع. لهذا السبب يلعب التحد مثل هذا الدور الأساسي. تحاول الهسـتيرية الحصـول عـلى الرجـل الذي يكفل لها مقـدما الاسـتجابة لكـل مطالبهـا. وتفشـل في هـذه الإسـتراتيجية وهـي لا تـدري أن هـذه الطريقة لا تلبي أبدا حاجة أي رجل يمكن أن يرتفع إلى مستوى الحـدث. وبالتـالي كلـما زاد الميـل المفـرط لبعض النساء الهستيريات لاختيار حبيب بعيد عن متناول اليد، كلما أصبح بعيد أكثر، وكلما حافظت أكـثر على وهم أن موضوع حبها لن يكون مخيب للآمال.

وهذا ما يفسر ميل الهستيريات لإصلاح اختيـارهم بشريـك "غريـب"، لـيس فقـط بـالمعنى المعتـاد للكلمة ولكن بصفة خاصة في ضوء طبيعته الجذريـة لكونـه "الآخـر". كلـما كـان غريـب أكـثر، كلـما كـان بإمكانه أن يملأ الدور الوهمي للشريك البعيد المنال. إذا، بالإضافة إلى ذلك، كان غريـب في الواقـع بشـكل دائم كبير أو قصير لـلـهستيرية، يصبح شريك أحلامها. ومن ناحية أخرى، بمجرد أن يعـود الغريـب للحيـاة اليومية العادية، تصبح صفاته المثاليـة منخفضـة، ويصـبح مخيـب للآمـال مثـل الآخـرين. هـذا هـو أصـل الخيـال الهسـتيري العزيـز، إذا كانـت الهسـتيرية زوجـة بحـار عـبر المحيطـات (" إنـه لأمـر رائـع، لأنهـم سيسعدون جدا عندما يتلاقون مرة أخرى") أو صديقة لمهندس يقضي معظم السنة في الجزء السـفلي مـن المنطقـة القطبيـة الجنوبيـة. هـذه السـيناريوهات بعينهـا قـد لا تكـون شـائعة، ولكـن يمكننـا أن نتصـور

سلسلة كاملة من الاختلافات حول الموضوع العام. قد تجد المرأة الهستيرية حلا أكثر عملية، لحماية التمثيل الوهمي للرجل المثالي عن طريق اختيار شخص ما باعتباره شريك ضالع في علاقة غرامية أخرى. مثل هذا الرجل يبدو أنه الوحيد المناسب لها على وجه التحديد لأنه ينتمي إلى امرأة أخرى. ويمكن أن تنزعج الهستيرية لان من بين جميع الرجال، الوحيد الذي تريده بعيد المنال.

في هذه المحن المختلفة التي تمر بها الهستيرية فيما يتعلق بشركائها الرومانسيين يمكن أن نلاحظ شيء ثابت بشكل خاص: شكوتها البكماء، أو، بدلا من ذلك، الغريبة ضد الرجال. ويتحول كل شيء يمكن أن يكون بمثابة معيار للاختيار إلى نقيضه. ومع ذلك، هناك مجال واحد يتضح فيه معنى الرثاء عند الهستيرية، وهو المعيار الجنسي. تحافظ المرأة الهستيرية بوعي أو بغير وعي على اليقظة الخاصة بشأن الأداء الجنسي. سواء كان ذلك الأداء إيجابي أو سلبي، فهذا لا يهم. ما يهم قبل كل شيء هو أن الحياة الجنسية يجب أن تصبح الموضوع في خطاب الدعوى أو الطلب. وهكذا فإن الهستيرية يمكن أن تغار دائما من حبيب امرأة أخرى على أساس أنه أكثر قوة وأكثر مهارة بل ولا يتعب أبدا. لكن شكواها يمكن أن تشير فقط إلى مجموعة أقل من المعايير الرفيعة.

يعمل مثل هذا الطلب بشكل أفضل لأنه عادة ما يجد بعض التفويض من جانب الذكور، وتعزز المنافسة القضيبية من النساء الهستيريات مناضلة الذكر من أجل الفحولة. من ناحية، لدينا مطالب الهستيرية المميزة: "انه لا يعرف كيف يجعلني اشعر بالنشوة الجنسية"، و" انه لا يريد أن يمارس الحب في كثير من الأحيان بما فيه الكفاية "، أو أن " قضيبه كبير جدا "، أو كما هو الحال في بعض الحالات "صغير جدا". من ناحية أخرى، نلاحظ أن هذه المطالب التي تضع رجولة الذكر القضيبية موضع تساؤل تثير حساسيته. وبسبب قلق الذكر على مستوى نزواته، يفرط الرجل في مستوى الأداء الجنسي. في هذه المنافسة المأساوية، يصل سوء التفاهم إلى ذروته، حيث أن الرجل الذي تكون فحولته موضع تساؤل، يصبح حريص على إثبات أنه ليس عاجزا جنسيا. يمكن للهستيرية الاستفادة من جهود شريكها المتجددة، مما يجعلها مصدرا جديدا من خيبة الأمل: " انه يريد دائما أن يمارس الحب دون أن يسأل عما إذا كنت أنا في مزاج يسمح بذلك".

ووسط هذه التغيرات القاسية، إذا كانت المرأة الهستيرية لا تعرف ما تطالب به حقا من خلال شكواها الجنسية، يجب علينا أن نعترف بأن شريكها الذكر أعمى على قدم المساواة بسبب عدم معرفته ما تريد المرأة منه. الهستيرية التي تشكو من

عدم إشباعها الجنسي، تتخذ في أغلب الأحيان دون وعي، موقف ذكوري. وهي تنتمي إلى الكون المتخيل من المنافسة القضيبية. وتحمل شكوها الجنسية شاهد مباشر للمعايير المتخيلة للضعف أو للقوة الجنسية التي يخلقها الرجال أنفسهم فيما يتعلق بكمال القوة الجنسية. في الواقع غالبا ما نجد الرجال يشعرون بالخوف من الفشل الجنسي أو عدم القدرة، ويحمّل حيلة " التظاهر" تجاه أي شائبة يمكن أن تلصقها أي امرأة بهم فيما يتعلق بهذه المسألة. النساء على دراية تامة بهذه الحيل والأكاذيب والاحتياطات الكثيرة التي يلجأ إليها الرجال من أجل تجنب التعرض لمثل هذا الهجوم على نرجسيتهم.

إذا كانت المطالبة الجنسية للهستيرية لها هذا الشكل، فمن المؤكد أنه يضرب على وتر الاستجابة الملائمة عند الرجال. كلما زادت شكوى الهستيرية من عدم إشباعها جنسيا، كلما زادت تعبئتها لعدم الإشباع الجنسي للرجال. على العكس، كلما كانت ثقة الرجل عمياء بقدرته الجنسية، كلما استطاع أن يثبت، من خلال أدائه، أن الهستيرية لديها سبب وجيه لتتوقع الكثير منه. ونحن على دراية " بحوار الأبكم " المضحك المبكي الذي يتكلم به المقاتلين. وباختصار، فإن الهستيرية تستمر بهذا النوع من المطالبة فقط لأنه يضع يقينها في عدم إشباعها على المحك.

لا يمكن أن تثبت المرأة الهستيرية اختيارها على أول رجل تلتقي به، حيث أنها تكون دائما قادرة على نقض هذا الاختيار. ودائما، أو دائما تقريبا، ما يرافقه قابلية التجربة والخطأ، والتي هي مناسبة تماما للحفاظ على استمرار تردد الهستيرية. عادة ما يكون اختيارها لصديقها لمجرد أنه يأتي بعد خيبة أمل أو الانفصال عن أخر. والهستيرية تختاره على أساس أنه حبيب مستعمل. نأتي هنا للمفارقة النفسية التي تكمن وراء رغبة الهستيرية في علاقتها بالأخر. ينال " المختار" مكانته فقط بسبب مطالب الكمال التي تضعه في فخ علاقة الاستثمار المتميز. ولكن، كما يتضح، فهو يُجرد من هذا الامتياز مقدما، على الأقل عندما تشير الهستيرية له أنه أخذ مكان رجل آخر كان يعني لها الكثير، وانه بعيد المنال وكان أكثر ملائمة منه. وهكذا يتم اختيار مثل هذا الشريك دائما لعدم وجود أي شخص أفضل.

في هذه الإشكالية، يصبح الجسم أولوية بالنسبة للهستيرية. فهي "تعطي" جسدها ("أعطيت نفسي له"). هذا البعد الخيالي للهدية يؤدي إلى موقف الذبيحة من الهستيرية، الذي يستمر إلى حد كبير من قبل الأيديولوجية القضيبية الاجتماعية والثقافية اليوم. من وجهة نظر هذا الفكر، تظهر المرأة الهستيرية بشكل متخيل

يستطيع الرجل من خلالها أن يأتي إلى حيز الوجود، ومن خلالها يستطيع الرجل غير الكامل أن يعثر على الكائن المثالي لتحقيق ذاته. ليس من المستغرب أن الهستيرية تختار "الرجل صاحب الأهمية "، بمعنى، الرجل التي تشعر أنه لا يستغنى عنها لأهميتها القصوى: فتقول "لو لم يكن بسببي.." و"أنت بدوني لا شيء"، وهلم جرا.

حول هذه النقطة أريد أن أكون أكثر دقة عن الطبيعة الخاصة للاتصال المتخيل بين "الرجل صاحب الأهمية " ووالد الهستيرية. هناك خطأ شائع للاعتقاد بأن الهستيرية تسعى دائما إلى رجل يكون بديل لصورة الأب. الرجل الذي تسعى إليه وربما تجده- لا يكون أبدا نسخة بسيطة وطبق الأصل من الأب. ما تبحث عنه الهستيرية في الرجل هو الأب الكامل، وهو الأب الذي لم يكن موجودا في الأساس. من خلال اختيارها لشريك ذكر فهي ترغب، قبل كل شيء، التعويض عن أوجه القصور الوهمية عند الأب. فهي ترغب في شخص يملك كل شيء كان الأب يفتقر إليه- فيجب أن يكون قوى ووسيم وأكثر فحولة وهلم جرا. وبهذه الطريقة، وهذه الطريقة فقط، مثل هذا الرجل يمكن أن يكون سيد تسعى إليه المرأة الهستيرية.

نجد خيال الدعارة في كثير من الأحيان لدي حالات الهستيريا يتشكل حول هذه المسألة. وهذا ليس خيالا لموقف الذبيحة تجاه جميع الرجال، لأنه يتعلق بواحد فقط. يمكن للعاهرة أن تبيع نفسها لجميع الرجال طالما أنها تتفق تماما مع الأسطورة الخيالية أنها يمكن أن تعطي نفسها لرجل واحد فقط، إلى القواد الذي هو في موقف سيادة. لأنه هو "سيد جميع الأجساد"، ولكن ليس لأي سبب تعسفي، وليس بسبب إتقانه لأي تقنية أو أي قدرة خاصة لامتلاك النساء ومنحهم المتعة الجنسية. يوجه الخيال الهستيري للدعارة طاقته من حقيقة أن "سيد الأجساد" هو الذي لديه نقص. ولهذا السبب تدفع له العاهرة، لأنه يحتاج لها ومالها لكي يكون كامل. وكلما دفعت له أكثر، كلما ساهمت في أن يصبح كامل. لهذا السبب، بالمناسبة، تتم تعبئة هذا الخيال بسهولة في سياق الوضع النفسي.

لدينا هنا موقف شخصي مميز تماما للمرأة الهستيرية فيما يتعلق بالرجل بقدر ما يوجد به بعض النقص. يختلف هذا الموقف عن العلاقة مع الآخر، كما هو موضح أعلاه، حيث تقدم الهستيرية كمالها للسيد الذي يفترض أن يكون مثالي مثلها. بمجرد أن يصل هذا " العرض" إلى حجم معين، نصبح قريبون جدا من الموقف الذهاني. في الواقع، فإن الاقتناع بامتلاك ما يفتقر إليه الآخر، ينقصه فقط

أن يصبح يقين حقيقي للـهستيرية لتصبح مزعزعة الاستقرار في حلقة وهمية عابرة. إذا حدث هـذا نـادرا، فذلك لأن السيد لا يحتل أبدا المكان الذي تخصصه له المرأة الهستيرية. فهو يسقط من الارتفـاع وبسرعـة يبرهن على أنه مجرد خيبة أمل. ومن ثم، لم يعد يملك المؤهلات المثالية التي تمنحها له الهستيرية، ويصـبح مجرد موضوع لعدم الإشباع.

13

الهستيريا الذكورية

الهستيريا الذكورية لها منشأ مختلف، ولكن مثل البنية النفسية فيتعلق هذا العصاب بالرجال والنساء على حد سواء. ويعزز الهستيريا لدى الرجال بشكل واضح تستر الأطباء عندما يتعلق الأمر بالتشخيص. تعارض مهنة الطب جدا تحديد الهستيريا عند الرجل، وبالتالي يتم تمويه العصاب بعدد من الطرق. ونجد من بين هذه الحيل كثيرا في البحث عن سبب خارج الأعراض، والتركيز على سبب محترم. يبدو من المهم أن ينسب للآخرين، أو إلى البيئة الخارجية، ما هو موجود داخل النفس وحدها. لذا يمكننا أن نفهم لماذا احد العوامل السببية التي تنشأ في أغلب الأحيان لحماية هذا التمويه هي الصدمات.

إذا كانت الصدمة مدوية نفسيا يكون لها على الأقل ترابط جسدي، وترتدي الهستيريا لدى الرجال قناع أكبر. لنأخذ، على سبيل المثال، الحوادث المرتبطة بالعمل، حتى أعمال الحرب ونحن لدينا ترتيب الفئات الإكلينيكية الرسمية لإخفاء مسببات الأعراض. وتكشف كيانات تصنيف الأمراض مثل "اضطرابات ما بعد الصدمة" و"عصاب الحرب" الخداع في هذا التخفي. لطرد الذنب المذكور في الأعراض فيمكننا أن نشوه الصورة الإكلينيكية ببعض الفوائد الرسمية لاعتراف المرضى ومعاشات التقاعد، وحتى بعض الألقاب الفخرية ومن ثم يتم الاعتراف بالهستيريا الذكورية وتزينها ويمكن التباهي بها أيضا لأن الاحترام الاجتماعي هو أضمن وسيلة لتجنب تسليط الضوء على أعمالها العصابية الغالبة.

للتأكد من ذلك، لا تستفيد كل حالات الهستيريا الذكورية من هذا التخفي. ولكن الإصرار الذي يظهره بعض الرجال للتداعيات النفسية من الصدمات التي تعرضوا لها يوحي بالهستيريا، وخصوصا عندما تكون هذه الصدمات ليس لها علاقة مباشرة بالعواقب المادية المميزة.

من وجهة نظر الأعراض الإكلينيكية ليس هناك سبب لتمييز الهستيريا الذكورية عن الهستيريا الأنثوية. ونجد في الغالب، أنه يتم تعريفها على نحو مختلف، في الخطاب الطبي الذي يخصي التجاوزات الوهمية التي ترجع عادة إلى التعبير العاطفي للهستيريا عند المرأة. لا تمتلك الهستيريا الذكورية الاستفادة من خمسة وثلاثين قرنا من التاريخ وراء ذلك! على سبيل المثال، تبدو الأزمات الهستيرية الكبرى جميعا ولكن غير موجودة في سياق الهستيريا الذكورية. ما نجده

من مظاهر أقل إثارة مثل الشعور بالتوعك والإغماء أو الغموض أو حالات من الإرهاق.

هناك، ومع ذلك، أحد أعراض الهستيريا الذكورية التي تشير مجازا "لأزمة كبرى"، وهي نوبة الغضب (انظر الفصل التاسع). غالبا ما يكون سبب هذه النوبات الإحباط. ويبدو أن الإحباط عادة ما يكون قاصر وعادي، وحتما بسبب ضغوط الحياة اليومية، ولكن يتم التعبير عنهم بطريقة تدمر الذات تستدعي الانتباه إلى الشعور بالضيق الذي يمكن أن ينخفض فقط من خلال التفريغ النفسي في نوبة من الغضب. بعبارة أخرى نوبة الغضب ترقى إلى الاعتراف بالعجز الذي يخفي التفريغ اللبيدي.

على الرغم من أننا لا نجد في الرجال بعض التعبيرات النمطية للهستيريا الأنثوية (التخدير والشلل والتشنجات والاضطرابات الحسية)، يمكننا تحديد أنواع معينة من الخوف الجسدي الذي يكون في بعض الأحيان به وساوس مرضية مليئة بالذكريات: الخوف من مرض القلب مع كل أعراضه الأولية والأمراض المتوطنة ومختلف الاضطرابات الهضمية والاضطرابات العصبية، وهلم جرا. من ناحية أخرى، نجد المشاركة العادية من آلام تحويل المتعددة تماما كما في كثير من الأحيان عند الرجال كما هو الحال عند النساء، والطريقة التي وضعت بها نفسيا عرضيا في كلا الجنسين.

على سبيل المثال، ما تم وصفه سابقا بالقلق من أن يراه أو يسمعه احد، يظهر واضحا تماما في الهستيريا الذكورية. مع ذلك فإن "ظهور" جزء من جسد المرأة الهستيرية، في حين أنه يشير إلى جسد الرجل ككل، ما هو في الأساس محل السؤال في هذا "الظهور" هو الرغبة في أن ينظر إليها، والرغبة في المتعة، عندما يقال ويُفعل كل شيء، وهذا طلب للحب والتقدير. وهذا ما يفسر الميل الأساسي إلى الإغواء في الهستيريا الذكورية. الرجل يُظهر " نفسه " على هذا النحو أكثر مما يظهر أي شيء آخر. ومن هنا نجد سلوك الثقة بالنفس الذي لا مفر منه، حيث يستخدم الحيلة في كل شيء بقدر ما تستخدمها المرأة الهستيرية. الإغواء هو الدعامة الأساسية في إدارة العلاقة الغرامية في الهستيريا الذكورية؛ من أجل التأكد من أنه محبوب عالميا. يقدم الذكر الهستيري محبته دون أن يعطي مهلة لنفسه. هذه، بالطبع، علاقات وهمية، يصبح فيها الذكر غير قادر على الوصول إلى مستوى يتجاوز الإغواء. حيث انه لا يمكنه أن يخسر أي موضوع متاح للحب، وهو قبل كل شيء عازم على أن يكون محبوبا من الجميع. هنا لدينا واحدة من

المكونات الرئيسية للـهستيريا، وهو عدم الإشباع.

في السعي لتحقيق إستراتيجيته الرومانسية، يقسم الذكر الهستيري نفسه بين العديد من الأشخاص ويصبح بسهولة على علاقة بهم جميعا في نفس الوقت. هذه هي الحالة الدائمة من التردد التي لاحظناها في جوانب أخرى من حياة الهستيري: اختيار المهنة أو شريك الحياة أو اتخاذ قرار هام، وهلم جرا. دائما ما يكون الاهتمام الذي يقوم به شخص آخر للموضوع الذي يجعل منه الموضوع المطلوب من قبل الرجل الهستيري، وبالتالي نجد أن موقف الضحية المحتملة التي تتركه عرضة لجميع أنواع الافتراضات. على العكس، فإن الهستيري يندم دائما لأنه لا يمكنه تحقيق أي فائدة مما لديه: " مهنة الشخص الآخر تناسبني أكثر"، " زوجة الشخص الآخر بالتأكيد ستعجبني أكثر، لأنني أكثر رغبة فيها"، " الملابس التي لم اشتريها كانت الأنسب"، وهلم جرا. يمكن للمرء أن يقول أن شعار الرجل هستيري هو أنه لا يسعد، أو يستفيد مما لديه ولكنه يتأسف دائما على ما لا يملكه.

وحتى إذا حصل الهستيري بطريقة ما على ما لم يملكه من قبل، سوف تتحول الأمور بشكل سيئ، حيث أن إستراتيجيته هي المحافظة على عدم الرضا وعدم الإشباع. وهذه السمة البنائية خاصة بالهستيريا الذكورية: سلوك الفشل أو الهزيمة الذاتية. عندما يحصل الهستيري على ما كان يطمع به عند الأخر، فلا يهدأ له بال حتى يفشل. مجال النشاط المهني مناسب بشكل جيد لهذا الغرض، حيث أن الفشل يمكن أن يتحقق بطريقة مذهلة تماما عندما يصبح الرجل ضحية تتعرض لأنظار الجميع.

لدينا مصطلحات محددة للغاية لتحديد ما يصبح في النهاية، مجرد سمة من سمات البناء الهستيري: عصاب الفشل أو عصاب المصير.

عصاب الفشل هو فئة من تصنيف الأمراض قدمه رينيه لافروج (1939) لتسليط الضوء على التكوين النفسي الذي يتحول فيه المفحوصين إلى مهندسي نكبتهم الخاصة، بمعنى أنهم على ما يبدو غير قادرين على تحمل تحقيق ما يبدو أنهم يرغبون فيه أكثر من أي شيء أخر. هذا الفشل في مواجهة النجاح – يبدو كما لو أن النجاح أثار ميكانيزم العقاب الذاتي بحيث يتم رفض الإشباع. هذا الإكراه لتكرار فشل يعيد إلى الأذهان ما اسماه "فرويد" (1920) عصاب المصير، وهو إستراتيجية الأعراض التي نرى فيها تكرار سلسلة من الأحداث الدرامية. ولكن هذا التكرار هو من قبيل أن المفحوص يمكن أن يخدع نفسه حول تورطه الشخصي: "إنها ضربة من المصير"؛ " المصير يضرب مرة أخرى". كما لاحظ "فرويد" ذلك بذكاء، فالمفحوص اعد مسبقا حياة الفشل، ولكن بمثل هذه الطريقة يعتمد تكرار

محددات اللاوعي دائما على ظهور الأحداث الخارجية التي لا يمكن التنبؤ بها.

هناك مسكنات معينة وبعض عمليات الإفراط في التعويض في متلازمة الفشل. بالنسبة للجزء الأكبر، يصبح الفشل في مواجهة النجاح موجود عندما تتطابق سلسلتين من العناصر غير المتوافقة. من ناحية، هناك ميل من الهستيري للإشارة بوسيلة واضحة لطموحاته، ومواهبه، وقدراته للنجاح، ومن ناحية هناك ميل تجاه الإيذاء الذي يُنسب إلى الواقع الخارجي والفشل في تحقيق أول مجموعة من الصفات الحسنة. وبعبارة أخرى، فإن الإشارة أو العنصر الذي من شأنه أن يدعم تقدم المفحوص يبدو بمثابة إشارة تعبئة لتكرار الإكراه، بمجرد أن يتأكد للهستيري أن رغبته يمكن أن تتحقق، فيجعل نفسه غير مؤهل لتحقيق ذلك. والنتيجة هي حالات من القلق والاكتئاب والوهن العصبي، مماثلة لتلك التي توجد في الهستيريا الأنثوية. وعلى أساس هذا العجز المدبر بغير وعي من قبل الهستيري، يتطور نظام محكم من التعويضات لاثنين من المظاهر الأكثر شيوعا وهي إدمان الكحول وتعاطي المخدرات. (وهذا لا يعني، مع ذلك، أن جميع مدمني المشروبات الكحولية والمخدرات يعانون من الهستيريا.)

من المهم أن نفهم الوظيفة المحددة للإدمان في سياق الهستيريا الذكورية. يوفر الكحول والمخدرات العنصر التعويضي للهستيري بإحساسه بنفسه كرجل، كما سنرى في الفصل التالي الذي يتم فيه فحص علاقته الجنسية بالأخر. ويجب على الهستيري أن يحاول أن يبدو " وكأنه رجل " بالضبط عند النقطة التي، يشعر حينها بكل أسف، لأنه لا يمكنه أبدا القيام بذلك. تصبح المادة السامة بمثابة الوسيط، تسمح له بإلقاء الرجل أو المرأة الأخرى بعيدا. مع المرأة، فهذه المادة تمكنه من زراعة الوهم بأنه يملك بالفعل ما كان يعتقد أنها تتوقع منه، وهو الكائن القضيبي. مع الرجل، فإنها تجعل من الممكن بالنسبة له، بطريقة وهمية تماما، تقديم نفسه على أنه منافس محتمل، بمعنى أنه على قدم المساواة، لأن الرجل الآخر يفترض أن يمتلك ما يشكو الهستيري من فقدانه. ونلاحظ في كلتا الحالتين التناقض الكامن وراء الإشكاليات الجنسية عند الهستيري، بمعنى التناقض بين العيش لنفسه ورؤية نفسه في نظرة الأخر، أو بعبارة أخرى، بين رغبة الشخص لذاته ورغبة الشخص على الرغم من نفسه، على أساس تقييم الشخص لما من المفترض أن يتوقعه الأخر من وجهة نظر رغبته.

14

الذكر الهستيري والجنس

الإشكاليات الجنسية للرجل الهستيري لها علاقة بهذا الجانب من العلاقة بالأخر الذي يسعى المفحوص جاهد لإرضاء الجميع. ولكن بالنسبة للعلاقة بالآخر الأنثوي، منذ البداية، تكون بعيدة بسبب تمثيل المرأة بالمثالية وصعوبة الوصول إليها (انظر الفصل التاسع). هذا كثيرا ما يؤدي إلى تطوير أساليب السلوك المصممة لتجنب المواجهة الشخصية المباشرة مع المرأة في مجال الجنس.

والنتيجة هي مجموعة من السلوكيات المنحرفة، منها الواحدة الأكثر شيوعا وهي قناع أو لعبة مثلي الجنس. هذا ليس صحيحا مثلي الجنس يقوم على أساس اختيار موضوع الحب من الذكور فقط. وما لدينا هنا هو في معظم الوقت محاكاة لمثلي الجنس تعمل على توفير الطمأنينة من التعويضات الثانوية. حيث أن الأخر مشابه للشخص، فإنه يوفر له الحماية من الفرق الجنسي. هذا لا يعني أن الأخر الأنثوي غائب بالضرورة من اهتمامات الرجل الهستيري. على العكس من ذلك، الأخر الأنثوي موجود إلى حد ما، لكنه مقبول بقدر ما هو متوسط في هذا الطريق. غالبا ما ينطوي الشذوذ الجنسي لدى الذكر الهستيري على الاستمناء القهري المصحوب بالأوهام المنحرفة، من بين أمور وسيناريوهات شبقية مثيرة أخرى تنطوي على نساء مثليات الجنس.

الاستعراض هو مظهر منحرف آخر كثيرا ما ينتشر عند الذكر الهستيري كعرض لجسده (وليس ككشف لأعضائه التناسلية كما هو الحال مع الانحرافات الحقيقية). من خلال هذا الاستعراض يكرر الهستيري شيء من الأداء المسرحي الاستفزازي من محاكاة مثلي الجنس. حيث أن التظاهر مستمر دائما من خلال نظرة الآخر، فإنه يُمكن المفحوص من الاستمتاع في الخيال بالاعتراض أو الرأي العدائي للآخر عنه، إذا أعطاه الآخر على الإطلاق هذا الاهتمام الوهمي، فتتحقق متعة الهستيري القصوى. في الواقع، فكل فضيحة وكل نقض أو اعتقال وكل تهمة توجه إليه هي احد أكثر الأدلة التي تثبت أن السيناريو الخادع عمل بشكل جيد (انظر: جويل در، 1989).

بالإضافة إلى هذا التمويه المنحرف المصمم للحفاظ على الكائن الأنثوي على مسافة معينة، كثيرا ما يلجأ الهستيري إلى تعبير أخر من الأعراض، وهو العجز، الذي لديه ميزة إضافية لتعزيز إكراهه لأن يفشل، سواء كان هذا العجز تام أو

يحدث في شكل إحباط سرعة القذف، لأنه يقوم على نفس الميكانيزم الوهمي الذي يخلط فيه المفحوص بين الرغبة والفحولة.

هذا الخلط نابع من تفسير معين أن الهستيري يتطور فيما يتعلق بطلب المرأة. ولا يرى مثل هذا الطلب بمثابة نداء ورغبة منها موجهة لرغبة الرجل، بل على العكس، فهو يدرك أنه أمر زجري يتطلب منه أن يثبت رجولته. وبعبارة أخرى، يبدو الأمر كما لو أن علاقة الرغبة تستتبع ضرورة إثبات أنه حقا " يمتلك " ما تريده المرأة، وهو الفالوس. ولأن الذكر الهستيري لا يشعر بأنه يملك مثل هذا الشيء، فهو يجيب المرأة "أنا لا املك القضيب"، لأنه يعاني من العجز الجنسي. هكذا الخلط بين الرغبة والفحولة يكشف عن الالتباس حول طبيعة هذا الشيء، والخلط بين القضيب والفالوس. في اقتصاد رغبة الرجل الهستيري، وجود القضيب منطقيا يعني امتلاك الفالوس.

أحد الأمثلة الأكثر شيوعا لهذه الإشكالية هي شخصية البلاي بوي أو الفتى اللعوب. بالنسبة لمعظم هؤلاء الرجال، وبشكل غريب، أن كل لقاء أولي مع امرأة جديدة ينتهي بكونهم عاجزين جنسيا. ولكن هذا ليس محيرا كما قد يبدو في البداية، وبمجرد اكتشاف آليات اللاوعي لدى البلاي بوي، الآليات التي تنتج بالتزامن مع ميزات الأعراض التي تؤدي إلى العجز الجنسي. أولا، علاقة اللاوعي عنده مع أمه لها أهمية كبيرة. من هذا المنظور، قد ننظر إلى العجز على انه رد على الطلب اللاواعي من الأم، وأنه لا يزال متعلق بها. وبالتالي فهو يترك نفسه مفتوحا أمام العديد من التجارب التي يكون فيها الفشل الجنسي الكامل أو الجزئي شاهد على حقيقة أن أمه هي المرأة الوحيدة التي تستطيع تحريك رغبته.

هذه طريقة أخرى تشير إلى أن الهستيري لا يملك الفالوس، على الأقل إلى الحد الذي جعلته أمه يفهم أنها ربما تمتلك هي الفالوس. وبالإضافة إلى ذلك، فقد جعلته يفهم أنه هو الفالوس. لدينا هنا التكوين القضيبي الشائع الذي يكون فيه الرجل، وهو طفل، في موقف للتعويض عن نقص أمه. وهكذا يصبح العجز حلا وسطا بين إعطاء المتعة للمرأة (هذا هو الاختبار القضيبي الذي تطلبه المرأة) والبقاء وفيا للأم من خلال تقديم نفسه للمرأة ككائن للتمثيل وليس ككائن للإيلاج المحتمل.

في الواقع، تتجلى هذه العملية في هاجس البلاي بوي الدائم "بامتلاك" امرأة بعد الأخرى ("انظر لتلك المرأة هناك؟ سوف تكون لي"). وتستثمر المرأة كغنيمة تمكن الهستيري، في عرض متباه للفحولة، من مواكبة التنافس مع غيره من

الرجال، هؤلاء الرجال الآخرين الذين لديهم فالوس.

لا يزال هناك شكل آخر من أشكال هذا الموقف الهستيري المرتبط بالعجز الجنسي، وهو بناء الجسم. باني الجسم في حالة من التمثيل الدائم للفالوس، لأنه ليس لديه الفالوس نفسه، وهو يدل مجازا، بجسده، على انه هو القضيب. هنا الخلط بين الفالوس والقضيب مختلف. يتم تمثيل العضو الذكري بشكل متخيل من خلال الجسم كله، من حيث الحاجة إلى الإثبات، والتأكيد مرارا وتكرارا، على قوة العضلات. وتمارين العضلات ترمز مجازا إلى الانتصاب، والذي هو في معظم الأحيان يكون مزعج لغيابه لدى هؤلاء المفحوصين. وهكذا يتم تنظيم الخيال القضيبي بهذه الطريقة الغريبة: نظرا لأن المرأة ليس لديها الفالوس لإعطائها اللذة، فيمكنها أن تتمتع دائما بالتحديق بهذه العضلات التي ترمز للقضيب. والاستعراض المبالغ لبناء الجسم يمكن تفسيره بحقيقة أن عرض الجسم في منافسة تلو الأخرى لا يدل على أي شيء إلا منافسة انتصاب القضيب.

تعد سرعة القذف ظاهرة ذات صلة، على الرغم من أنها نابعة من عملية نفسية مختلفة نوعا ما عن الموجودة في العجز الجنسي. فإنها تشير إلى خطر وهمي في الفعل الجنسي مع المرأة، على الرغم من أن مثل هذا الفعل ممكن، فإنه ينطوي على خطر، خطر عدم التمكن من الإثبات للمرأة أن الرجل لديه حقا الفالوس وبالتالي يمكنه إجراء هذا الفعل إلى أقصى حد. هذه النقطة النهاية دائما ما تكون واحدة: المرأة لا يمكنها الشعور بالمتعة ما لم يوضح الرجل قوته القضيبية لها. فمن السهل أن نرى لماذا يسبب هذا الأداء الوهمي هذا القلق. يقوم القلق على حد سواء بتعجيل وتقصير العملية. والهدف المتوقع، الذي يكون مهدد للذكر، هو متعة الأنثى. بالنسبة للذكر الهستيري، السيد المطلق الذي يهيمن على الفالوس هو الوحيد الذي يستطيع تقديم المتعة للأنثى. في الواقع، دائما ما ينظر إلى متعة المرأة باعتبارها هزيمة في وجه السلطة القضيبية المظفرة. ومع عدم وجود السمة التي من شأنها أن تمكنه من تحقيق هذا الانتصار، يمكن للهستيري أن يشعر فقط أنه هو نفسه خاضع للذي يملك هذه السلطة. ويصبح الهستيري غير مدرك أنه محصور في البعد الخيالي من الاستسلام لهذه القوة القضيبية. وبالإضافة إلى ذلك، فهو يتوحد بدون وعي مع شريكته الأنثى، ومتعة النشوة الجنسية لسرعة القذف لديه هو ما يتصوره النشوة الجنسية للمرأة أن تكون، لأنها تستسلم للقوة القضيبية. وكلما أكد لنفسه أن متعة المرأة لا يمكن أن تقاوم القوة القضيبية، كلما ازداد وضع عدم امتلاكه للقضيب، كلما زاد شعوره بالنشوة السابق لأوانه.

نجد أن بناء الخيال كبير لدى مثل هؤلاء الرجال: " الرجال الـذين لـديهم فحولـة حقيقيـة". هـؤلاء الرجال الذين يجلبون للمرأة النشوة الجنسية لحظة اختراقهم لفـرج المـرأة، مثـل سـوبرمان الـذي يمكنـه تحقيق النشوة الجنسية لجميع النساء، الذين يحرزون نصرا مـع جميـع النسـاء الفـاترات جنسـيا، الـذين يجعلون المرأة تشعر بهزات جنسية متعددة وتتوسل للرحمة، تتوسل للرجل ليتوقف لأنها تشعر بـالإغماء مع فرط المتعة الجنسية...

4

الجزء الرابع

البناء الوسواسي

الجزء الرابع

البناء الوسواسي

15

إشكاليات عصاب الوسواس

كما هو الحال مع الانحرافات والهستيريا، أريد أن ابدأ مناقشة البناء الوسواسي مع النظر في الطريقة التي يحقق بها المفحوص رغبته فيما يتعلق بالوظيفة القضيبية. والبناء الوسواسي ليس منظمة نفسية لا توجد إلا عند الرجال. على الرغم من أنه نادر جدا عند النساء، فإنه يحدث بينهن كذلك، بنفس الغطاء الواقي من مظاهر الأعراض المميزة. ولكن لكي أكون موجزا، سوف أقوم بدراسة عصاب الوسواس لدى الرجال فقط.

غالبا ما يعرض تقليد التحليل النفسي البناء الوسواسي كمنظمة نفسية تعارض بشكل متميز مع المنظمة الهستيرية في عدد من الطرق. على الرغم من أن هذا المنظور مناسب، لكنه غامض، لأن مثل هذا التباين ليس نسبي فحسب، بل أيضا غير كافي تماما. لأنه يقوم على مجرد بعض الملاحظات للظواهر وليس على السمات البنائية.

النقطة الرئيسية في هذه الملاحظات هو التأكيد على عنصر معين قد يجعل التناقض أكثر قبولا: على عكس الهستيري، يشعر الوسواسي بأن أمه تحبه كثيرا. على الرغم من أن هذا مما لا شك فيه يبدو أنه هو الحال، فإنه لا يوفر بأي وسيلة أسباب للتباين السطحي بين الوسواس والهستيريا، كما يتضح من حقيقة أن هذا عنصر ظرفي نلاحظه كثيرا في منظمات المنحرف أيضا. من وجهة نظر التشخيص لا يمكننا الاعتماد على عامل الرصد والملاحظة.

ومع ذلك، فلدينا هنا عنصرا قيما من منطق الوسواسي. للتأكيد على أن الوسواسي شعر أنه كان محبوبا بشكل مفرط من أمه لتحديد شيء معين حول الوظيفة القضيبية. ويظهر الوسواسي في الواقع في كثير من الأحيان كمفحوص تم استثماره قضيبا بكثافة كموضوع رغبة الأم المتميز. هذا هو السبب، كما رأينا، يقال إن الوسواسي يشعر بالحنين لحالة كونه القضيب. تدعم هذا الحنين في المقام

الأول ذاكرة من نوع معين من علاقة الوسواسي مع أمه، أو بدقة أكثر، وهذا النوع من العلاقة التـي كانـت بينهم. نجد دائما، في تاريخ مرضى الوسواس، الطفل الـذي كـان المفضـل لـدى الأم، بـأي معـدل، في لحظـة معينة، يمكن أن يشعر أنه كان في وضع متميز بالنسبة لها.

بالنظر إلى مخاطر الرغبة في المنطق القضيبي، وهـذا " الامتيـاز" يـؤدي بـالضرورة بالطفـل لتطـوير فكرة قوية سابقة لأوانها لنفسه ككائن سوف تجد فيه الأم ما لا تستطيع الحصـول عليـه مـن الأب. نحـن هنا نجد احد نقاط التحول في الجدلية الأوديبية، الانتقال مـن كونـه القضـيب إلى كونـه يمتلـك القضـيب، حيث تظهر الأم للطفل معتمدة على الأب طالما أن الأب يحدد قانون رغبتها. هذه، بطبيعة الحال، تجربـة نفسية يشعر بها ويفسرها الطفل. إذا كان الأب من المفترض أن يضع القانون للأم، فهـذا يحـدث فقـط إذا كانت الأم نفسها فرضا ترغب فيما ليس لديها وما يمتلكه الأب.

ومحل السؤال هنا هو الاستثمار الرمزي للأب الذي ينتهي إليـه إسـناد الفـالوس. وهـذا المـرور مـن كونه القضيب إلى امتلاكه القضيب يتكون دائما من خـلال إزاحـة السـمة القضـيبية، ومثـل هـذه الإزاحـة لا يمكن أن تتحقق إلا للحد الذي يتم فيه توضيح شيئا مهما للطفل في الخطاب الأمومي، وهو أن موضوع رغبتها يعتمد بشكل واضح على شخص الأب. هذا الاعتماد يمكنه توجيه الطفل نحو بُعد امتلاك القضيب. إذا أوصل خطاب الأم بعض الغموض فيما يتعلق بتوطين موضوع رغبتها، وقتها يمكن للطفل وضـع نفسـه في النظام الذي يكمل هو فيه تحقيق تلك الرغبة. وهذه نقطة حاسمة في تشكيل البناء الوسواسي.

المسألة ليست، بالمعنى الدقيق للكلمة، متوقفة على موضوع رغبة الأم. إذا كان الأمـر كـذلك، فإننـا سوف نتعامل مع محددات منظمة الانحرافات، أو حتى الذهان. والمسألة هنا هي بالأحرى لتكميل ما هو مفقود لإشباع رغبة الأم، والذي يفترض أن هـذا الإشـباع يـراه الطفـل بوضـوح كـنقص. ويكمـن الغمـوض المذكور أعلاه بالضبط في اعتماد رغبة الأم على الأب. وما يفهمه الطفل مـن الأم، بعيـدا مـن وعيـه، يمكـن تلخيصه في عنصرين لا يتداخلان كليا. من ناحية، يدرك الطفل جيدا أن الأم تعتمد على الأب عندما يتعلق الأمر برغبتها، ولكن، من ناحية أخرى، لا يبدو أنها تحصل من الأب على كل شيء تتوقعه منه. عندما يدرك الطفل هذه الفجوة في إشباع الأم، فيرى طريقة واضحة لتوفير هذه التكملة.

يواجـه الطفـل بعـدها قـانون الأب، ولكنـه أسـير رسـالة اسـتياء الأم. حـول هـذه

النقطة الأخيرة، تجدر الإشارة إلى أنه، في عيون الطفل، لا تبدو الأم غير راضية بشكل جذري. هناك على الأكثر فراغ جزئي في درجة إشباعها، ستحاول الأم ملئه من خلال السعي للتكملة الممكنة في الطفل. وبهذا المعنى، وفقط بهذا المعنى، نجد أن الوسواسي هو موضوع للاستثمار الخاص الذي يؤدي به إلى الاعتقاد بأنه هو الطفل المفضل والمميز. ولكن أريد أن أكرر أن هذا الامتياز ليس إلا تعويض عن نقص الإشباع لدى الأم. على الرغم من أن الطفل ينقاد منطقيا لقانون الأب بواسطة خطاب الأم التي تدرج رغبتها هناك، وهذه التكملة تفضي مع ذلك إلى استمرار وجود التوحد القضيبي. وبالتالي فإن الوسواسي يشعر دائما بسحب نحو العودة النكوصية إلى مثل هذا التوحد في نفس الوقت الذي يطيع فيه القانون الأبوي وما ينطوي عليه.

على الرغم من أنه يتمنى هذه العودة إلى كونه القضيب بشدة من أجل سد النقص المشار إليه في خطاب الأم، الذي لم يتم إنجازه بشكل كامل. من خلال أعراض الحنين فقط يمكن أن نرى بعض السمات البنائية المميزة لاقتصاد رغبة الوسواسي. وبالمثل، لأن الاعتراف بالأب الرمزي يقوم على بعض أوجه الغموض، فإنه يؤدي أيضا إلى بعض المظاهر الملفتة للنظر. كما سنرى، يتضح السحب للحنين المستمر، من بين طرق أخرى، من خلال تسليط الضوء على أن الوسواسي يضع قوانين رغبته باستمرار.

16

ملامح البناء الوسواسي

يمكننا الآن أن ننظر بمزيد من التفصيل في الخصائص البنائية للعصاب الوسواسي، وبالتالي فهي الطريقة التي يمكن تمييزها بها عن مسائل الأعراض. على وجه الخصوص، يمكننا عزل السمات البنائية التي تحدد مسار الرغبة، والنظر في جبرية الضرورة والواجب التي تحيط بمنظمة المتعة للوسواسي، جنبا إلى جنب مع ضعف الطلب والتناقض والصفات الأخرى المرتبطة بدفاعات الأعراض مثل التفكير الوسواسي؛ والعزلة والتراجع؛ والنمطية؛ وتشكيل رد الفعل (رد الفعل العكسي)؛ وثالوث الشعور بالذنب، والإهانة، والندم، وبقية الصورة الإكلينيكية التي تبعت فرويد، وتسمى عادة الشخصية الشرجية.

دعونا نبدأ من النقطة التي يتشكل عندها عصاب الوسواسي- علامة رغبة الأم غير المشبعة، التي من خلالها ينضم الطفل لها في العلاقة المزدوجة المميزة التي نوقشت أعلاه. يدرك الطفل في وقت مبكر علامات عدم الإشباع. وركيزة الاستثمارات الشبقية التي ترتكز عليها عادة ما يسمى بالعلاقة الديناميكية تفسح المجال بسهولة لإبلاغ هذه الرسالة لأن العلاقة تتطور أولا في مجال إشباع الحاجات والرعاية الجسدية للطفل، وبالتالي فإنها تنطوي على الوصول إلى جسم الطفل وتؤدي إلى المتعة الجنسية والشبقية.

حيث أن تلك المتعة هي جزء لا يتجزأ من العلاقة بين الأم والطفل، ويمكن لاقتصاد الأم اللبيدي أن يكون بمثابة حافز، لتصبح رغبتها غير المشبعة والناقصة عاملا حاسما بالنسبة للطفل. هنا قد نذكر حساب "فرويد" للمسببات الجنسية للعصاب الوسواسي. وأحد الجوانب الأولية لهذا المنهج للعصاب كانت نظرية الإغواء، التي عرضت أصلا لتلعب دورا رئيسيا في رأي التحليل النفسي العام للعصاب. ولكن سرعان ما بدأ "فرويد" في تقليل تأثير الإغواء كثيرا، في نقض واضح لموقفه الأصلي [1] ولكن هذا لم يكن تخلي حقيقي لوجهة نظره السابقة. على الأكثر، ما تخلى "فرويد" عنه كان الاعتقاد في أهمية منهجية الإغواء كسبب للعصاب، وبعبارة أخرى، أصبح الإغواء يلعب دور أقل [2].

1- راجع الرسالة الخطية إلى فليس في 21 سبتمبر 1897 ("فرويد" 1954).

2- للحصول على رأي مفصل لنظرية الإغواء ومكانتها في الفكر عند فرويد، انظر لابلانش وبونتاليس 1973، ص 404-408.

وبالتالي إذا لم نتمكن من مواصلة التفكير في الإغواء كسبب تأسيسي للعصاب الوسواسي، إلا أنه يظل عنصر مهيأ له. ينبغي لنا أن نضع في اعتبارنا، تاريخيا، وصف "فرويد" لخصائص الوسواس والهستيريا في نفس الوقت، وتصنيف علم الأمراض للوسواسي بين دفاع العصاب وتسليط الضوء على حقيقة أنه في هذا النوع من العصاب تكون العمليات الدفاعية هي الغالبة بين مظاهر الأعراض. وفيما يتعلق بالعصاب الوسواسي، قدم "فرويد" موضوع الإغواء بطريقة نمطية تماما بالنسبة له. وتصبح الوساوس نوع من اللوم المقنع الذي يقدمه المفحوص لنفسه فيما يتعلق بالنشاط الجنسي الطفولي الذي أعطاه المتعة. ولكن ما يجعل الأعراض وسواسية تحديدا هي الطريقة التي أدرج بها هذا النشاط الجنسي في مرحلة الطفولة فيما يتعلق برغبة الأم. وفقا لفرويد (1896)، ما حدث هو اعتداء جنسي في أعقاب مرحلة من الإغواء. ونتيجة لذلك، عادت دوافع المحرك اللبيدي في شكل مقنع، خصوصا، في هذه الحالة، كتمثيلات وسواسية ومشاعر. وهذه العناصر ليست أبدا أي شيء أكثر من الأعراض الأولية الدفاعية ضد ما يتفاعل معه الأنا من خلال تعبئة عمليات دفاعية ثانوية محددة مسيطرة، من بينها العزلة والتراجع، التي سنناقشها لاحقا.

إذا كان الإغواء ليس عاملا مسببا ورئيسيا، بالتالي، فإنه لا يزال يلعب دورا معينا في العلاقة بين الأم والطفل. ما استشعره "فرويد" حول إغواء الأم لا يبدو أن له تأثير حاسم، عندما نحدد تأثيره على تكوين دلالتها على الطفل، في وقت مبكر، أن رغبتها ليست مشبعة بشكل كامل. كما سنرى، فإن الدال لهذا القصور سوف يسبب للطفل تجربة نفسية خاصة تبدو وكأنها إغواء.

من الواضح في تكوين العلاقات، أن الأم هي التي تحفز وتحافظ على متعة الطفل الشبقية أثناء تلبية حاجاته الجسدية. لا يستطيع الطفل تغيير كونه الموضوع السلبي للإغواء. فهل بعد ذلك يجب أن يبقى أسيرا لهذه المتعة بسبب عدم كفاية الإشباع لرغبة الأم الذي يظهر له، وتكثيف هذا الإغواء السلبي والمتعة الناتجة تبدو مثل العدوان الجنسي. ولا يملك الطفل خيارا سوى تجربة المتعة كمشارك في متعة أمه المتميزة.

نجد هذا الفائض من الحب عند جميع المفحوصين الوسواسيين، وأصله هذا الإغواء، الذي من خلاله توحي الأم إلى الطفل تكميل ما هو مفقود لإشباعها. ويبقى الطفل بطريقة أو بأخرى معلقا بهذا النقص لمتعة الأم، وهذا يؤدي إلى حالة السلبية الجنسية التي توضح تماما الإنتاج اليومي للأوهام والخيالات لمرضى

الوسواس الذكور. ونجد في معظم هؤلاء الرجال، كما تبين، آثار الحنين لهذا الإغواء السلبي والعدواني، الذي يظهر في الخيال الشائع لأنه تم إغوائه من قبل امرأة دون أي مبادرة منه، أو حتى التعرض للاغتصاب من قبل امرأة. وتتشكل الصورة الكاريكاتورية لهذا الخيال في شكل "الممرضة " التي تثار جنسيا من خلال تحفيز "المريض" في سياق العناية به.

هذه السلبية فيما يتعلق بالمتعة الجنسية هي أحد أهم السمات المميزة للبناء الوسواسي الذي من خلاله يثير المفحوص الحنين إلى توحده القضيبي. في الواقع، مع هذه القضيبية السلبية فإن الطفل مقدر له أن يكون وسواسي ويتعرض للتحول الحاسم من كونه الفالوس إلى امتلاك الفالوس. ولهذا السبب فإن الوصول إلى عالم الرغبة والقانون يمثل إشكالية بالنسبة له، كما قد ينكشف من طبيعة علاقته مع أبيه، وبعد أبيه، مع أي شخصية ذات سلطة تنشط صورة الأب.

ويواجه الطفل بالضرورة المرور من إشكالية كونه القضيب إلى امتلاكه لأنه تم إحباطه في توحده القضيبي مع الأب المتطفل. يمكننا أن نفهم بسهولة لماذا يشكل هذا التحول عقبة صعبة للغاية لمستقبل الوسواسي. في المقام الذي يفترض أنه سيتغلب عادة على الإحباط، فهو الأسير للإشباع في العلاقة التكميلية التي يحافظ عليها مع أمه. سيتذكر الوسواسي في وقت لاحق مرارا وتكرارا عظمة العقبة والتجربة المبكرة والمتميزة من المتعة مع أمه، وتُحفظ في اقتصاد رغبته.

كون الطفل أسير لدى الأم، لا يسمح له ذلك للتوسط برغبته لنفسه. ويبقى، في الواقع، سجين لرغبة أمه التي لم تتحقق. بتعبير أدق، فإن رغبة الطفل لها من شأنها، في المقابل، أن توقد رغبته التي لم تتحقق عندما تأتيه الفرصة لاحقا لتعويض افتقارها. ونتيجة لذلك، فعملية الرغبة برمتها هي دورة قصيرة للطفل.

تتطور ديناميات الرغبة عادة في إيقاعات ثلاث: تنفصل الرغبة عن الحاجة ومن ثم يدخل في الطلب. في هذه الحالة الحالية، بمجرد أن تنفصل الرغبة عن الحاجة تأخذها على الفور الأم التي لم تتحقق رغبتها وترى فيها مصدرا محتملا للتعويض. يمكن أن تتشكل الصورة المميزة لرغبة الوسواسي من العجلة التي تتولى فيها الأم المهام. والنتيجة هي أن رغبة الطفل تحمل دائما علامة الحاجة الملحة والحتمية، لأنها عندما استثارت الأم لأول مرة لم تعطها الوقت لتظل معلقة حتى يصبح الطلب مفصلي.

هذا يؤدي إلى تشكيل اثنين من الصفات البنائية الأساسية. من ناحية، يحمل عصاب الوسواس دائما علامة الحاجة الملحة. من ناحية أخرى، يتسم الوسواسي

بالضعف في التعبير عن مطلبه. وتكون سلبيته المازوخية مألوفة إلى حد كبير نتيجة شعوره باستحالة الطلب. ولذلك فهو يحاول أن يجعل الأخر يخمن ما يرغب فيه هو نفسه ولكن لا يمكنه أن يطلبه أبدا. هذا الضعف عموما هو جزء من العبودية التي يضع الوسواسي فيها نفسه. يؤدي العجز عن صياغة الطلب، للمفارقة، إلى واجب قبول وتحمل كل شيء. ويشعر انه مقيد لقبول كل ما يترتب على عدم قدرته على المطالبة، ويفعل ذلك بشكل رئيسي من خلال احتلال مكان موضوع متعة الآخر. هذا الموقف السلبي هو دعوة لسوء المعاملة السادية على يد الآخر.

وتمكن شكوى الوسواسي المستمرة بشأن سوء المعاملة من التوصل إلى تفاهم مع أعراض متعته المميتة. تظهر علامات هذه المتعة بوضوح في أشكال رد الفعل، والطبيعة الأساسية لها هي إطالة التفكير الشاق في الشدائد. والسبب الأساسي لذلك هو ميل الوسواسي لتحويل نفسه إلى موضوع متعة الآخر، ويعيد تفعيل الوضع الطفولي الذي كان محبوسا فيه من خلال الدور القضيبي بصفته طفل أمه المتميز. يؤدي سيناريو الطفولة هذا إلى أعراض نمطية من الذنب النابع من علاقة المحارم الخاصة بالأم في سياق الإخصاء. وبسبب هذا التثبيت الشبقي على الأم، دائما ما يكون الوسواسي خائف تماما من الإخصاء؛ وما لدينا هنا، بطبيعة الحال، هو الإخصاء الرمزي، وكما سنرى، يتم التعبير عن هذا الخوف بطريقة لافتة للنظر فيما يتعلق بإشكاليات الفقدان وقانون الأب.

17

الوسواسي والفقدان وقانون الأب

الوسواسي غير قادر تماما على تحمل الفقدان. وهـذا واضـح بشـكل كبـير في جميـع جوانـب الحيـاة اليومية، تماما كما أنه يميل لتشكيل نفسه ليكون كـل شيء مـن أجـل الأخـر، لـذلك يجـب عليـه السـيطرة بديكتاتوريه على كل شيء بحيث لا يمكن للأخر بأي حـال الهـروب منـه، حتـى لا يفقـد شـيئا مـن الأخـر. فقدان بعض عناصر الموضوع لا يمكن أن تساعد على تذكيره بالإخصاء، أو بعيب في صورته النرجسية. وعلى العكس، التغلب على الإخصاء هو محاولة لكسب مكانة قضيبية مع الأم، وبشكل أعم مع أي امرأة أخرى. ولكن لأن قانون الأب حاضر دائما في أفق رغبة الوسواسي، لا يمكن أن يخفف من ذنبه. هـذا التنـاقض بـين الحنين القضيبي والفقدان الذي يترتب على الإخصاء، يضـع الهسـتيري في وضـع بنـائي محـدد فـيما يتعلـق بالأب.

حيث أن صـورة الأب موجـودة في كـل مكـان، فإنـه يثـير حـتما التنـافس بشـكل كبـير لـدى مـرضى الوسواس. ويسـعون باسـتمرار ليحلـوا محـل الأب (أو أي شخصـية قـد تمثلـه)، مـما يجعـل مـن الضرورة القصوى "قتله" من أجل أن يحل محله مع أمه. وتظهر هذه الأمنيات القديمـة للقتـل مـرة أخـرى بشـكل دائم ولكن متفاوت، ودائما بنفس النمط: أخذ مكان الآخر الذي يتم استثماره دون وعي كممثـل محتمـل للأب الرمزي.

هذا القلق على أن يحل محل الآخر يقود الوسواسي لجميع أنواع النضال من أجل المكانة والهيبة، والمعارك المتكلفة والمؤلمة. تعمل الاشـتباكات مـن هـذا القبيـل عـلى طمأنتـه عـلى نعمـة إنقـاذه مـن الإخصاء؛ على الرغم من أن السيد لا يطاق بالنسبة لـه طالمـا انـه مـن المفـترض يمتلـك مـا يطمـع فيـه الوسواس، ويجب أن ينظر إليه على أنه السيد ويجب أن يظل كذلك. كما رأينا في الفصل السادس، فإنه في هذا المجال يمكن ملاحظة بعض السلوكيات المتحدية. ومع ذلك، على الرغم من أن الوسواسي يحتاج إلى لقاء السيد، فهذا ليس الوضع نفسه كما هو الحال مع الهستيري، الذي يسعى إليه. ويهدف تحـدي الهستيري للسيد دائما إلى خلعه عن محل سيادته، ولكن بالنسـبة للوسـواسي يجـب أن يظـل السـيد في مكانه مهما يحدث. هذا هو الهدف من كل التنافس، محاولة لأخذ مكـان السـيد، والنضـال مـن أجـل التأكيـد لنفسـه أن هـذا المكـان المطمـع بعيـدا عـن المنـال، وبعبـارة أخـرى أن الأب لا يمكـن أن

يُحل محله. السيد الذي لا يمكن الإطاحة به وبالتالي يستمر مجازا، بمنع وتحريم إثارة الغريزة الجنسية للمحارم المتمثلة في العلاقة بالأم التي يكون الوسواسي أسير لها.

ومع ذلك، تبقى حالة الأب/السيد للاختبار في نشاط مستمر، وتؤدي إلى شعور داخلي بالحرب. على احد الجوانب هناك هو قانون الأب، الذي يجب التضحية بكل شيء في سبيله بما في ذلك النفس. على الجانب الآخر، يجب تفادي هذا القانون نفسه بانتظام والتحكم فيه من أجل النفس. والنتيجة هي النضال المتواصل الذي تتم إزاحته إلى موضوعات متعددة للاستثمار. وهنا نجد السمات المحددة للشخصية الوسواسية التي لخصها "فرويد" في جملة أن الشخصية الشرجية توضح، على سبيل المثال، المثابرة والعناد، اثنين من المركبات المتميزة للاستثمارات الوسواسية.

فمن نافلة القول أن هذه الصفات تستمد طاقتها من محاولة الوسواسي لتحقيق السيطرة على المتعة، وهو، مكان الأب. مرضى الوسواس هم الفاتحين الأقوياء في هذا الصدد، ويحشدون أكثر الوسائل جنونا ووقتا للفوز بهذه السيادة المتخيلة. ولكن دون جدوى: حينما يتحقق الهدف الذي يسعى الوسواس إليه، يقوم بوضع هدف أخر. وعلاوة على ذلك، فهو في كثير من الأحيان مرتجلا تماما في الابتعاد عما حققه، ويعطي هدفه ركلة قوية حالما يتسيد عليه.

في كل من هذه " العروض" يفشل الوسواسي بشكل روتيني للاعتراف بأنه يخضع للإخصاء، الذي بالنسبة له، ينطوي على العودة إلى الحدود التي تقلل من وهم الكمال، من تحقيق خبرة عالمية. هذا هو السبب في أن فتوحات الوسواسي تمثل إغراء قليل جدا بالنسبة له. ما يهم أكثر هو الشيء الجديد الذي سيغزوه، فوز أخر في سلسة الصعود التي لا نهاية لها نحو السيطرة المطلقة على المتعة. مرضى الوسواس هم أبطال التسلق: فكلما كان الطريق شاق ومعقد، كلما تركوا كل شيء ليذهبوا في هذا الطريق.

الخيال الأساسي والمستمر الذي يتمسك به الوسواسي المتعة بدون نقص، والذي لا بد له من تحقيقه مهما كان الثمن. هذا التشبث بدوره يوضح خيال الفم الذي يقبّل نفسه ("فرويد" 1905 أ). كما أشار فرويد، الوسواسي هو مرتزق غير نادم في صراع لا نهاية له للسيطرة السيادية على الموضوع. وتحقيقا لهذه الغاية فيوجد تحت تصرفه مجموعة كاملة من المكاسب الثانوية من العصاب.

تم العثور على مظهر بارز آخر من الوسواس في مجال العدوان. كما رأينا، فإن الوسواسي يشعر باستمرار بأنه ممزق هنا على حساب ازدواجيته فيما يتعلق

بقانون الأب. في حاجته للسيطرة على متعة الموضوع، فيقف حتما ضد العدوان، ولكن ثقل القانون والحاجة إلى الاعتماد عليه من أجل الهروب من ذنب دوافعه اللبيدية اللاواعية، وهذا يوجهه إلى الصراع. في الواقع، فإنه من النادر جدا على الوسواسي تجاوزه في الواقع. وفي كثير من الأحيان يغازل العدوان في الخيال، حيث يمكنه أن ينغمس فيه بحرية. والمنطقة الوحيدة التي يتخذ فيها العدوان الشكل الفعلي والأسبقية على الخيال هي العلاقات الجنسية والرومانسية، حيث أنها تحدث في شكل التنفيس.

بالنسبة للجزء الأكبر، ومع ذلك، فإن الوسواس يشرع العدوان تحت ستار من نقيضه. ويصل لدرجة عالية من الصرامة الأخلاقية، ويبين بتفاخر الالتزام غير المشروط للقوانين والقواعد. ويقفز للدفاع عن الفضيلة وسلامة تنفيذ العُرف. يمكن أحيانا أن يصل تزمته في الدفاع عن الأمانة في جميع الأمور إلى نقطة "من الأفضل أن تموت عن أن تأخذ شبر واحد من أرض لا تخصك". هذا الموقف القانوني، والذي يتجنب فيها الوسواسي حواف العظمة والاستشهاد، بالطبع يتناسب عكسيا مع رغبته اللاواعية على تجاوزه.

إذا اعتبرنا أن القديسين أعظم الخبراء في مسائل المتعة، فإن مرضى الوسواس هي الأخلاقيين الأرذل والعميان المتعصبين عندما يتعلق الأمر بنفس المسألة. ولا يعادل العناد في حماية النظام والفضيلة إلا من خلال غياب فطنتهم الكلية في معرفة ما يقومون بحمايته. هنا حيث نرى نشر دفاعات الوسواس الأكثر تميزا. المهمة الأساسية المتمثلة في العزلة، على سبيل المثال، هي فصل الفكر، أو الموقف، أو السلوك عن نتيجته المنطقية. العنصر النفسي المعزول بهذه الطريقة من سياقه هو في نفس الوقت محروم من تأثيره. والهدف من هذه العملية هو تقسيم تأثيرات التمثيل التي ترتبط ببعض المحتويات المكبوتة. والطقوس النمطية والتوقفات في الخطاب هي العلامات الأكثر شيوعا للعزلة، سلاحا دفاعيا منهجي وجذري يؤدي إلى الحفاظ على ضبط النفس في جميع الأحوال، حتى وخصوصاً- في حالات الكوارث. الاتزان الظاهر للوسواسي ليس إلا هذه السيطرة الدائمة التشغيل على أساس العزلة.

وأحد البراهين الأكثر لفتا للمثابرة لهذه العملية يمكن ملاحظته في سياق العلاج النفسي: وهو التجاهل الظاهري للقاعدة الأساسية. ويقاوم الوسواس بكل سرور عملية التداعي الحر التي يمكنها الالتفاف حول عزلته الدفاعية. يُطلب من المفحوص في التداعي الحر، التخلي عن أية محاولة لبسط سيطرته على كلامه

وبالتالي على ظهور عفوية أي من التأثيرات المصاحبة. ولا يرى الوسواسي بديل عن المقاومة هنا، مفضلا أن يقرأ مادته مع الاستخدام المتكرر للتبرير.

هذا الدفاع هو بوضوح الأكثر دلالة في احد اتجاهات الوسواسي المفضلة. فهو محقق مذهل، ومراقب معجز لترتيب الأشياء والعالم، بما في ذلك نفسه طالما انه ينظر إلى نفسه بموضوعية وتجريدية كشيء وبصرف النظر عن البيئة المحيطة. وتعتمد الدقة والضمير التي يوظف بها مراقبته الحريصة على عزل الوجدان. وعلاوة على ذلك، فإن حس الفكاهة لدى الوسواسي، عندما يكون موجودا على الإطلاق، ينبع من الحل الوسط الذي، على الرغم من كل شيء، يعلم أنه يشارك بنشاط، حلا وسطا بين المشاعر الداخلية الدفينة والحاجة إلى التعبير عنها بطريقة أو بأخرى. وحس الفكاهة، والذي يتجاور عادة السخرية، يكون بالتالي وسيلة لتفريغ المشاعر في حين لا يزال يراقب نفسه. وبالتالي فإن في محادثات الوسواسي عن نفسه من هذا الموقف المحايد، يسخر من هذا الآخر الذي هو نفسه.

كما أنه يستفيد من استخدام دفاع أخر ضد المشاعر، وهو التراجع. هذا الميكانيزم يسمح له أن يستثني فكر أو فعل ويتصرف كما لو أنه لم يحدث على الإطلاق. ولدينا هنا مثال للقلق الدائم للتقليل العزيز من مرضى الوسواس. بصرف النظر عن حقيقة أن استخدام هذا الدفاع يكشف عن عمى هائل، فإنه يحدد أيضا أنواع من الإهانات التي يكون مرضى الوسواس عرضة لها. والتراجع هو عملية قهرية، احد العمليات الفعالة جدا حيث أنها تستبدل السلوك المعاكس تماما عما قام به المفحوص في الأصل. ويتيح للوسواسي جميع أنواع المكاسب الثانوية من حيث السيطرة والسيادة.

كما ينوه "فرويد" في كثير من الأحيان، يشهد التراجع على احد الصراعات الدائمة التي يناضل الوسواسي ضدها، المعارضة القديمة بين الحب والكراهية لموضوع الاستثمار. بالنسبة للجزء الأكبر فالكراهية تحاول التراجع عن عنصر من عناصر الحب. ما يحدث هنا هو عملية ذات شقين للاستثمار وسحب الاستثمارات، وهذا نمطي لاقتصاد رغبة الوسواسي، فهو يهرب من رغبته ويتراجع عنها قدر الإمكان في كل مرة. في الفصل التالي سنرى كيف أن هذه الجدلية هي من الأدلة فيما يتعلق بموضوعات الحب لدى الوسواسي.

18

الوسواسي وموضوعات حبه

عندما يتعلق الأمر باستثمار موضوعات الحب، فغالبا ما يبذل الوسواسي قصارى جهده، الذي للمفارقة، هو كل شيء ولا شيء على حد سواء، " كل " بمعنى أنه يمكن أن يضحي بكل شيء، "لا شيء" بحيث أنه لا يمكن أن يتقبل الخسارة. هذان ليسا تصرفان غير متوافقان، بل على العكس، فهما المعالم التي تستقر فيها إستراتيجية الرغبة لدى الوسواسي.

تدور هذه الإستراتيجية حول مسألة متعة الآخر، وشعور الوسواسي بأنه يجب أن يكون صاحب السيطرة الكاملة عليه، وتحييد كل إشاراته الخارجية. لذلك لا شيء يجب أن يتحرك، لا شيء يجب أن يجرب المتعة، ويجب أن تموت الرغبة. حيث أن الوسواسي لا يعطي شيئا في هذه الظروف، ولا يفقد شيئا. ولكن بمجرد أن يلاحظ أقل علامة خارجية لمتعة الآخر، فيكون على استعداد للتضحية بكل شيء وتقديم كل شيء لكي تعود الأمور إلى حالتها الأولية.

إذا كانت إشكالية الخسارة مركزية جدا في منطق الوسواسي، فهذا لأنها تشير مباشرة إلى النقص. ولتجنب مواجهة مسألة النقص، بطريقة أو بأخرى يجب التغلب على الرغبة، حيث أن الرغبة منذ تشكيلها على وجه التحديد تصبح باستمرار قضية بسبب النقص على هذا النحو. والنتيجة هي أن الرغبة، بمجرد تكميمها، لا تفسح المجال لصياغة حتى أصغر طلب.

من هذا المنظور نستطيع أن نفهم لماذا، بالنظر إلى مثل هذا النظام من التحييد، يتم استثمار الموضوع المرغوب بطريقة فردية. فإنه يتم تعيينه بكل تأكيد، وتخصيصه إلى وضع بعيد بقدر ابتعاد الشخص الميت. يقوم الوسواسي باستمرار بتثبيت موضوع حبه في المكان الذي يجده رائع جدا، وهو المكان الذي، من أجل أن يكون محبوبا ومحبا، يكون فيه الموضوع ميت. فقط في هذه الظروف تكون وظيفة ميكنة الرغبة لدى الوسواسي في أفضل حالاتها. إذا كان الآخر "ميت "، فهو لا يرغب، ويمكن للوسواسي أن يستريح لأن الرغبة هي دائما الرغبة في رغبة الأخر. والحتمية الدائمة التي تدفعه في علاقات حبه تعتمد على أن الآخر لا يطالب بأي شيء، لأن إذا كانت لدى الأخر مطالب، فذلك لأنه يرغب.

وبالتالي فإن الوسواسي يحشد طاقة لا حدود لها من أجل ألا يفتقر الأخر إلى أي شيء، وبالتالي لا يجوز إثارته من مكانه. يجب أن يبقى الأخر منظم بدقة،

ومن خلال هذا النظام الصارم يستطيع الوسواسي السيطرة والسيادة على موت رغبة الأخر. ويؤكد خطاب الذكر الوسواسي كثيرا على هذا القتل: "إنها لا تفتقر إلى شيء"؛ "لديها كل شيء تريده في المنزل"، "ليس عليها الذهاب إلى العمل وهلم جرا"، وبقدر ما يبدو أن الوسواسي يعتني بكل شيء، فشريكته الأنثوية يجب أن تكون راضية بالكامل وليس لديها أي مطالب. وبالتالي يفترض أن يكون الموضوع في مأمن من كل رغبة.

مثل هؤلاء المفحوصين في الحقيقة لديهم ميل مفرط نحو السجن الرومانسي. فهم يبذلون أنفسهم بشكل كبير لإنشاء سجن من الدرجة الأولى للأخر. يجب أن يتم تحنيط الأخر بأي ثمن، ولا يتراجع الوسواسي عن مثل هذا الترف لأن لا شيء يمكن أن يكون جيد، طالما يتم تكريم المحبوب في دار موتها. ويجب أن يتقبل الأخر موتها، ويجب أن تكون غير حكيمة للتعبير عن عدم رضاها عن أي شيء تم القيام به للوصول إلى تلك الحالة. والوسواسي حساس جدا للاعتراف بالمأوى الذي يوفره لشريكته الرومانسية. والذروة القصوى للجحود من شريكته ألا تكون سعيدة لكونها ميتة. في هذه الحالة، كما في غيرها، ينشغل الوسواسي للغاية بالعدالة. وماذا يمكن أن يكون أكثر ظلما للمرأة أن تكون جاحدة للاهتمام القاتل الذي يهدف لإتمام رغباتها واحتياجاتها بالكامل؟

وبصفة عامة، فإن إستراتيجية الوسواسي تتكون في الاستيلاء على موضوع حي من أجل تحويله إلى موضوع ميت وليرى أنه لا يزال كذلك. بالنسبة للجزء الأكبر، فهذا هو الشرط المسبق لإقامته علاقات المحبة معها. لتحقيق هذا الهدف، فيمكنه أيضا تعظيم موضوعه بجعلها قبيحة، بمعنى، من خلال تحويلها إلى كائن مرغوب بدرجة أقل وأقل والتي، بطريقة ما، تتضمن وفاتها. وعلاوة على ذلك، فهذا الخلع لها عندما يتعلق الأمر بالرغبة لديه ميزة إضافية لتأمين الملكية الوهمية للكائن في مواجهة الاحتمال المستمر أنه قد يكون هناك منافس.

ونلاحظ في هذه النقطة الاحتشام والتوقير المفرط من بعض مرضى الوسواس تجاه شركائهم. ودائما ما يتم تبرير هذا بقوة عن طريق سلسلة كاملة من المبادئ التعليمية التي لها علاقة بالذوق السليم والأخلاق الحميدة في المجتمع. بهذه الطريقة يحكم على بعض النساء ألا تكشف عن أي جزء من أجسامهن بعيدا عن قواعد اللياقة. بالنسبة لبعض مرضى الوسواس، مثل هذه القواعد المثالية تشمل تقييد المرأة في ملابس تكاد تغطيها بالكامل. وإذا ألقى المنافس نظرة قصيرة على هذه الملابس، فهذا يثبت أن هذه المرأة فاسدة ولا سبيل لتقويمها.

ولا يسعى كل مرضى الوسواس بالضرورة إلى جعل موضوع حبهم غير مرغوب فيه. بعض منهم يدركون تمام الإدراك إثارة الغريزة الجنسية لجسم الآخر. هذه الإثارة الجنسية مقبولة فقط إذا تم تقليل الأخر إلى مستوى الموضوع، الموضوع الذي يمكن عرضه والذي يمكن أن ينعكس تألقه فقط بطريقة متخيلة على المالك. ولكن هنا، وأكثر مما في أي حالة أخرى، يجب أن يسقط الموضوع تماما، حتى يموت جذريا. في هذه الحالة فقط يمكن أن يتواجد بطريقة جنسية شبقية. بطريقة شبقية ما يكون الموضوع له نفس وظيفة السيارة الرياضية، التي يجب أن تكون رائعة لكي يتم الإعجاب بمالكها.

ويتظاهر بعض مرضى الوسواس الآخرين أن لديهم نفس نوع العلاقة بما يعادل السيارة الفاخرة المؤنثة، ولكن في مجال المنافسة الفكرية. هناك شريحة مجازية من جسم السيارة لمحركها. ينطوي هذا السيناريو على إثارة الغريزة الجنسية من دماغ المثقف، الذي ليس لديه الحق في الوجود ما لم ينبذ إلى الأبد أي ميل مبهما تجاه الشهوانية الجسدية.

في جميع هذه الحالات، يكون الموضوع ميتا. لكن عاجلا أم آجلا سوف يلتقي الوسواسي حتما مع الموضوع الذي يرفض مواصلة لعب هذا الدور، وتميل هذه الموضوعات الميتة إلى العودة إلى الحياة بعد كل محاولات قتلهم. هذا الإحياء، مهما كان طفيفا، يسبب نوازل كبرى لدى الوسواسي، الذي ذاق مرارة الهزيمة في مرحلة الطفولة، حيث لا يوجد شيء أكثر طمأنة ومحبة من جثة أنثى، وليس هناك شيء أكثر إثارة للقلق ومكروه من امرأة على قيد الحياة، بمعنى الأنثى التي يمكنها التلذذ بالمتعة. ويمكن للوسواسي أن يتحمل أي شيء، باستثناء شيء واحد، عندما يجرب الأخر المتعة بدونه، بدون وجوده في تلك المتعة. ولا يفترض أن يكون الأخر قادرا على الشعور بهذه المتعة دون موافقته وإذنه. ما لا يطاق على الإطلاق هو أن تجرؤ المرأة على التحدي، تحد جميع الأعراف المعمول بها في مثل هذه الحالة المريحة من الموت ثم يتحول العالم فجأة رأسا على عقب !

الجثة يجب أن لا تشعر بالمتعة. الجثة التي تشعر بالمتعة خائنة لأنها إذا كان تستمتع فيجب أن يكون لديها رغبة. كيف يمكن أن يكون هذا؟ إنه كذلك لأن، من الضروري، رغبة كل شخص تخضع دائما لقانون رغبة الأخر، وهذا هو بالضبط ما يسعى الوسواسي أن يكون غير واعي به.

في حياة الوسواسي يتم التعبير عن حقيقة متعة الآخر دائما في تحريض معين من خلاله يحاول استعادة السيطرة التشغيلية. وهو على استعداد للتضحية بكل شيء

من أجل العودة إلى نظام موت الرغبة. لكي يكون الآخر مرة أخرى موضوعه- جثة بغير متعة- وهو يدعي سخاء لا حدود له، ويقدم احتواء كامل، ويتعهد بالقيام بكل الجهود والمهام. ويشارك في معظم المشاريع غير المتوقعة من أجل استعادة الموضوع، الذي، في الهروب منه، يذكره بالفقدان.

يمكن أن يثبت الوسواسي باستراتيجيات الاسترداد هذه أنه أكثر هستيرية من المريض الهستيري نفسه. ويمكنه تقديم صورة كاريكاتورية للتوحد مع الموضوع الذي يتصور أنه رغبة الآخر. غني عن القول أن هذا الخنوع عادة ما يكون له تأثير عكسي؛ فلا يفوز بالموضوع في أي حال ويصبح أشد نفور. وأخذه لهذا المنحى الذليل يثبت فقط أن الوسواسي لا يريد أن يفقد أي شيء. وكلما حاول الوسواسي أن يكون كل شيء للآخر، كلما أكد أنه لا شيء. ما يهم بالنسبة للأخر هو أن يتم عمل مكان للنقص، لأنه بدون النقص لا يمكن الحفاظ على الرغبة. وبالتالي يصبح الوسواسي غير مؤهل لدرجة أنه لا يسمح بأي مجال للنقص ولما يرجع إليه في ديناميات الرغبة. ويذهب كل ما قدمه من أداء بارع، وقسمه على الولاء، والمواثيق الأخرى للنية الحسنة من دون جدوى. ولا يتم خدع الشريك المؤنث بكل هذا، إلا عندما تكون محاولات الوسواسي لاسترجاعها هي الفرصة لجني المكاسب الثانوية لعصابها الشخصي. وهذا شيء نلاحظه في كثير من الأحيان في حالات بعض الشركاء الهستيريين الإناث. وهكذا غالبا ما يستحضر عصاب آخر من حيث تكامل الأعراض.


المراجـــــع

المراجع

- جاكوبسون، ر. (1971). كتابات مختارة. لاهاي: موتون.
- در، جويل (1985): مقدمة محاضرة لاكان. المجلد الأول بناء اللاوعي واللغة. باريس: دونيل؛ الترجمة الإنجليزية: مقدمة لقراءة لاكان، طبعة جوديث فيهير جورويتش، وسوزان فيرفيلد. نيويورك: مطبعة الأخرى، 1998.
- سوسير، ف. (1916). دورة في اللسانيات العامة، طبعة س. بالي وأ. ستشهاي، ترجمة. دبليو باسكن. غلاسكو: كولنز فونتانا
- شنايدرمان، س. طبعة غير منقحة. (1980). العودة إلى فرويد: التحليل النفسي الإكلينيكي في مدرسة لاكان. نيو هافن كونيكتيكت: مطبعة جامعة ييل.
- فرويد، س.، وبروير، ي. (1895). دراسات في الهستيريا. الإصدار القياسي 1:2-305.
- فرويد، س، (1900). تفسير الأحلام. الإصدار القياسي 4-5.
- فرويد، س، (1905 أ). ثلاث مقالات حول نظرية الجنس. الإصدار القياسي (7): 125-243.
- فرويد، س، (1905 ب). جزء من تحليل لحالة هستيريا. الإصدار القياسي 7:3-122.
- فرويد، س، (1908 أ). النظريات الجنسية للأطفال. الإصدار القياسي 92207-226.
- فرويد، س، (1908 ب). الشخصية والشبق الشرجي. الإصدار القياسي 9:169-175.
- فرويد، س، (1910). التحليل النفسي "الجامح". الإصدار القياسي 11: 221-243.
- فرويد، س، (1911). الملاحظات النفسية والتحليلية للسيرة الذاتية لحالة جنون العظمة (زوراني البارانوي). الإصدار القياسي 12:3-79.
- فرويد، س، (1912). توصيات إلى الأطباء المزاولين لمهنة التحليل النفسي. الإصدار القياسي 12:110-120.

- فرويد، س، (1913 أ). في بداية العلاج (توصيات أخرى على تقنية التحليل النفسي). الإصدار القياسي 12:122-144.

- فرويد، س، (1913 ب). تصرف عصاب الوسواس: مساهمة لمشكلة الاختيار لدي العصابي. الإصدار القياسي 12:313-326.

- فرويد، س، (1915). الغرائز وتقلباتها. الإصدار القياسي 14: 111-140.

- فرويد، س، (1917 أ). تحولات الغريزة، مثلما في الشبق الشرجي. الإصدار القياسي 17:125-133.

- فرويد، س، (1917 ب). صعوبات على طريق التحليل النفسي. الإصدار القياسي 17:136-144.

- فرويد، س، (1920). ما وراء مبدأ اللذة. الإصدار القياسي 18:3-64.

- فرويد، س، (1921). علم النفس الجماعي وتحليل الأنا. الإصدار القياسي 18:67-143.

- فرويد، س، (1923). تنظيم التناسلية الطفلية. الإصدار القياسي 19:141-148.

- فرويد، س، (1924 أ). العصاب والذهان. الإصدار القياسي 19:149-153.

- فرويد، س، (1924 ب). فقدان الواقع في العصاب والذهان. الإصدار القياسي 19:183-189.

- فرويد، س، (1927). الفتشية. الإصدار القياسي 21:147-157.

- فرويد، س، (1938). تقسيم الأنا في عملية الدفاع. الإصدار القياسي 23:271-277.

- فرويد، س، (1940). الخطوط العريضة للتحليل النفسي. الإصدار القياسي 231141-207.

- فرويد، س، (1954). أصول التحليل النفسي. رسائل إلى ويليام فليس، مسودات وملاحظات: 1887-1902، طبعة م. بونابرت، أ.

- فرويد، س، (1986) ملاحظات أخرى على دفاع الذهان العصبي. الإصدار القياسي 3:159-185.

- فرويد، وإ. كريس، الترجمة الانجليزية. موسباشر. ستراتشي. نيويورك: الكتب الأساسية.

- فيهير جورويتش (1987): البناء والانحرافات. باريس: دونيل.

- فيهير جورويتش (1988). التحليل النفسي العلمي. المجلد الأول: الاغتراب والتحليل النفسي. المجلد الثاني: التكوينات المتناقضة. باريس: دونيل.

- فيهير جورويتش (1989). وظيفة الأب في التحليل النفسي. باريس: نقطة منفصلة.

- فيهير جورويتش (1991). مظاهر الانحرافات لحالة رهاب. أبيرتورا 5:95-100.

- كرافت - ايبنج، ر. فون (1899). الاعتلال النفسي الجنسي، ترجمة ف. ي. ريبمان. لندن: ريبمان.

- كلافريول، جيه (1981): الرغبة والانحراف. باريس: سويل.

- لابلانش، وبونتاليس، جيه بي (1973) لغة التحليل النفسي، ترجمة. د. نيكلسون سميث. نيويورك؛ نورتون.

- لافروج. سيكوباثولوجية الفشل. (1939) باريس: بايوت.

- لاكان، (1953). وظيفة ومجال النطق واللغة في التحليل النفسي. "لاكان" 1977، ص 30-113.

- لاكان، (1956). حالة من التحليل النفسي وتكوين المحلل النفسي في 1956، ص 459-491. باريس: سويل 1966.

- لاكان، (1957). قوة الحروف في اللاوعي أو العقل منذ فرويد. عند "لاكان" 1977، ص 146-178.

- لاكان، (1957-1958). تشكيلات اللاوعي. ندوة غير منشورة.

- لاكان، (1977) كتابات مختارات. أ. شيريدان. نيويورك: نورتون.

- مانوني، م. (1965) المقابلة الأولى مع المحلل النفسي. باريس: دونيل/ جونثير.

- ميلر، أوكسفورد: كلارندون، 1985.

- هيغل، جي دبليو اف. (1807) ظواهر الروح، ترانس، ايه. في.

الجزء الثاني

قائمة المصطلحات اللاكانية

Glossary

إعداد

د/ محمد أحمد محمود خطاب

أ/ مـروة فتحي محمد ســلامة

الجزء الثاني

قائمة المصطلحات اللاكانية

الأب التخيلي :

هي الصورة التي يكونها الطفل عن أبيه بمعزل عن شخصيته الواقعية. فهي صورة ذهنيـة يحوطهـا التقديس والإعجاب، مركبة من التصورات التي يقيمها الذات في خياله عن الأب. وهذه الصورة لا صلة لها غالباً بالأب الواقعي. وقد يكون الأب التخيلي في نظر الطفـل أبـاً مثاليـاً. وقـد يكـون العكـس: الأب الـذي أفسد على الطفل حياته. في الحالة الأولى يكون الأب التخيلي –في زعـم لاكـان- هـو النمـوذج الأولي الـذي تتولد عنه التصورات المختلفة عن الإله God في الأديان، باعتباره الحافظ الحارس الأقوى. وفي الحالة الثانية هو أبو القبيلة الأولى الذي فرض على أبنائه تجنب نكاح الأم وفرض عليهم الحرمان. وهو الأب الذي تلقى البنت عليه اللوم لحرمانها من الفالوس الرمزي أو من مرادفه، وهـو الطفـل. وينظـر في كلتـا الحـالتين إلى الأب التخيلي على أن قوته مطلقة. وعلى أساس ذلك تترتب مسـالك الطفـل في علاقاتـه الاجتماعيـة. ومـما لا شك فيه أن تصرفات الأب الواقعي ومكانته الاجتماعية قد تساهم في هذا الاتجـاه أو في التخفيـف مـن وطأة تأثيره. ومن أهم إفرازاته العيادية هي الأب المثالي.

الأب الرمزي:

يرى "لاكان" أن السؤال: "ما الأب؟" موضوع محوي في كل أعمال "فرويد". ويجيب على هذا السؤال بتأكيد أهمية التميز بين الأب الرمزي، والأب التخيلي، والأب الواقعي.

فالأب الرمزي Symbolic Father وظيفة وليس كائناً بعينه، أي ليس هو الأب الواقعي. ومن ثم فالأب الرمزي يرادفه مصطلح آخر هو "الوظيفة الأبوية".

حيث ينظر كل من "فرويد" و"لاكان" إلى هذا القانون الأولي الذي حل على الأبناء بعد جريمة قتل الآباء، فحرموا في مماته كل ما كانوا يتمنون الحصول عليه في حياته، وعلى رأس هذه هو التحريم الأساسي للأم.

فالأب الرمزي إذاً هو القانون أو الأب المقتول "الميت" لا يمكن لأحد أن يحل مكانه إلا في حالات الأنظمة الديكتاتورية، حيث يصبح الحاكم هو القانون والقانون "هو" ويشرع القوانين على هواه، ولذا فإن الأب الرمزي يشير إلى الفراغ أي إلى النقصان، أي عمل يملأ الفراغ يحيي الشعور بالذنب المرتبط بقتل الأب.

إذاً فالوظيفة الأبوية –أو الأب الرمزي- تنحصر مهمتها في فرض القانون وكبح الرغبة في المركب الأوديبي والتدخل في العلاقة الثنائية بين الأم والطفل لإقامة "مسافة رمزية" ضرورية بينهما. ولهذا فإن الوظيفة الحقيقية للأب أن يوحد بين الرغبة والقانون، لا أن يقف في مواجهة الرغبة. وهذه الوظيفة يمكن أن يضطلع بها شخص فعلي "واقعي" أي له وجود في دنيا الواقع. على أنه لا يوجد على الإطلاق من يحتل وضع الأب الرمزي على نحو تام. على أن هذه الوظيفة لا تحتاج إلى شخص ما للقيام بها أو تجسيدها. وإنما قد يظهر الأب الرمزي في صورة مقنعة، فقد يقوم بها خطاب الأم نفسها.

الأب المثالي:

الأب المثالي من الناحية البنيوية: هو من صنع الحقل المخيالي رغم احتوائه عنصراً رمزياً بما يخص التحريم.

وتقاس أهميته وتأثيره: بالمسافة التي تبعد الأب التخيلي عن الأب الواقعي.

ومن حيث موقعه ومكانته:

1- هو أب ميت: ونجد هذه الصفة في طيات المتخيل على اعتبار أنه صنم نعبده لوجوده ولعدم قدرته على التحرك.

وميت أيضاً: نتيجة حسم الصراع والمنازعة التي سبقت ظهورها.

2- هو أعمى: تجاه حقيقة الرغبة، لا يريد أن يعرف شيئاً عنها.

3- مجرد من الرغبات الجنسية: مما يحمي الشخصية من تأثير تخييلات المشهد الجنسي الأولى الذي يلغيه.

4- تتجسد به سلطة الأنا الأعلى: حيث يصبح الشخص تحت رحمة الممنوعات المفروضة عليه من الخارج. لأن الأب المثالي يتجاهل الرغبة "لا يعرف".

الأب الواقعي:

يشير "مصطفى صفوان" في الأساس بعيداً عن التحكم الوحيد لقانون الجماع الشائع، يتبين أن تكاثر البشر يخضع بالدرجة الأولى إلى قوانين القرابة. على رغم اختلاف المجتمعات البشرية، إلا أنها تبقى مشاركة بصفة واحدة وشاملة وهي ما يختص بتحريم الأم. قبل أن تصبح رباطاً مفصلاً أو حتى موضوعاً للتذكير. يبقى هذا التحريم للأم مرتهناً باسم الأب. وتأخذ هذه الوظيفة أهميتها بقدر ما تعطي الأم وزناً للأب. في خطابها الموجه إلى الطفل. تظهر هذه الحالة الفريدة بوضوح عندما يتبين بأن القانون يستمر مرتبطاً باسم الأب كدال بغض النظر عن وجوده جسدياً. هذا لا يمنع بأن الرجل الذي يحمل هذا الاسم يدعم نفوذه بالقدر الذي يسمع به كلامه للأم.

عندئذ يجد الطفل نفسه ملزماً بدين، من خلال علاقته بالأب الواقعي، يحمل في فحواه الخصاء الرمزي. فبنظر "لاكان" تكمن وظيفة الأب الواقعي في كونه عميل الخصاء.

أب :

ركز "لاكان" بعد "فرويد" على دور الأب في تأسيس بنية الذات، واهتمامه بصيغة اسم الأب كمجاز محوري يشير إلى انتقال السلطة من الأم إلى الأب، واعتبره دال (1) يتوحد به الطفل ويصبح الحجر الأساسي لبنيته.

ومن هنا يؤكد "لاكان" على دور الأب، باعتباره عنصراً ثالثاً، في إنقاذ الطفل من الذهان وتهيئته للدخول في الوجود الاجتماعي، والأب بهذا ليس مجرد غريم للطفل ينافسه على حب الأم، ولكن يمثل النظام الاجتماعي. ولا يستطيع الذات أن يعبر إلى النظام الاجتماعي إلا إذا توحد بالأب خلال المركب الأوديبي.

إذاً فاسم الأب يعني كذلك لاء الأب. فهو إذاً قانون قمعي لكنه كذلك القانون الذي يضمن السلامة النفسية والعقلية. فباسم الأب يخرج المعنى من السيولة الدائمة إلى الثبات، وإن يكن ثباتاً مؤقتاً. وباسم الأب كذلك يتكيف الطفل مع المجتمع وينمو على المستوى النفسي نمواً صحيحاً، ذلك بفضل الشخصية الأبوية التي تنهى.

الآخر الصغير (a):

الآخر الصغير هو آخر ليس له في الحقيقة هذه الصفة: آخر، ولكنه صورة الذات وإسقاطها في المرآة، فهو المقابل والنظير وهو الصورة المرآوية في وقت واحد، أو بمعنى آخر هو:

إن الآخر الصغير هو القرين الذي نتعامل معه كل يوم ويمثل الفرد من رابطة عائلية أو اجتماعية، يدخل في بنية الذات منذ الطفولة الأولى على أساس أنه منافس، وذلك حسب "لاكان" انطلاقاً من مرحلة المرآة التي تظهر له لأول مرة أن هذا الذي يحتل مكانه ويزيحه هو آخر، ومن هنا تأتي المقولة المعروفة: بأن الأنا هي الآخر، وهو في البداية المؤسس الأول للصراع الذاتي، لأنه يدخل إلى العلاقة الاجتماعية من باب المنافسة.

ولكن إصلاح الأمور يأتي عن طريق اللغة الآخر الكبير، الذي يدخل كوسيط لكي يعطل المنافسة المميتة.

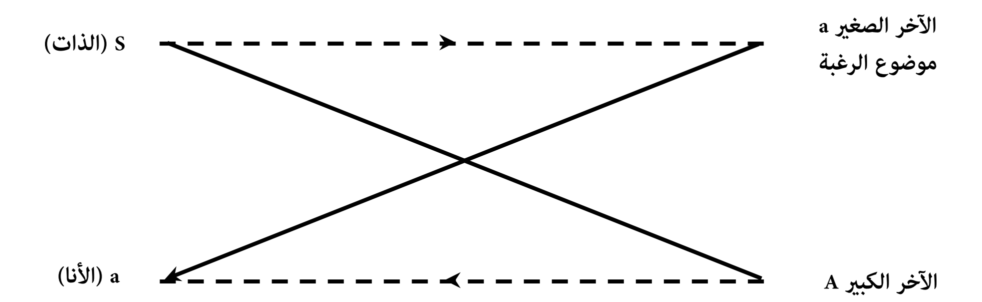
هذا الآخر الصغير يدخل في تكوين الحقل المتخيل "التخيلي" للذات، عن طريق التوحد التي تحصل من خلاله مقارنته بالآخر القرين أو من خلال إدماجه والحلول مكانه.

إنها عملية نفسية مستمرة لأن هذا الآخر الصغير يعكس دائماً صورة للأنا تتحكم برد الفعل Reaction عنده إن كانت حب أو كره أو صدمة. لذا فإن الآخر الصغير (a) يدخل دائماً في تكوين الأنا.

إذاً فالآخر الكبير بمعنى الأم أو Barred Other، فالطفل يعي بأن الآخر أي الأم ناقصة (عاطلة عن القضيب) أي أن هناك دال أي نقص على الدوام في سلسلة الدوال.

ويشير "لاكان" بالآخر في أحيان أخرى إلى Other Sex الجنس الآخر والذي عادة ما يشير به إلى المرأة، هذا ويذكر "لاكان" أن الإنسان يعيش وهماً بأنه هو الذي صنع النظام الرمزي. والحقيقة هي أنه مجرد مساهم في هذا النظام، ولذا فإن المستوى الرمزي هو المستوى الذي يخلق وجوداً في الواقع دون أن يخلق الواقع ذاته، وهو مجال النظام والقانون أو خطاب اللغة الأساسي أو الأب الرمزي، دال الآخر الأكبر الذي يمثل حرفاً من حروف اللغة أكثر منه مفهوماً.

وفي إطار الصياغات الجديدة للاشعور، وضع "لاكان: المخطط "الأسكيما" التالية:



ويشير هذا المخطط إلى العلاقة الرمزية بين (الآخر الكبير والذات)، والتـي يعرضـها لحـد مـا الضـلع المتخيل الذي يربط بين (الأنا والصورة المتخيلة)، ولأنه ينبغي اختراق الحـائط المتخيـل للغـة فـإن خطـاب الآخر الكبير يصل للذات على نحو متقطع ومقلوب.

وهكذا فإن المخطـط تظهـر التعـارض بـين المتخيـل والرمـزي (الـذي يمنحـه لاكـان دور السـيادة في نظريته)، فالكلام Speech يحمل قصدية التوجه نحو الآخر ولكنه يتجه إلى ذاتـه في الآن نفسـه، أمـا ذلـك الجزء من الرسالة التي توجه إلى الذات فهي الجزء اللاشعوري من الرسالة.

فحينما يتحدث المريض إلى المحلـل الـنفسي فإنـه يوجـه الرسـالة إلى نفسـه دون أن يعلـم، ومهمـة المحلل النفسي هنا تصبح: تمكين الشخص الذي يتم تحليله نفسياً من سماع رسالته التي يوجهها لاشـعورياً إلى ذاته، وذلك بتفسير كلماته، ومن ثم يسمح لرسالة المحلل نفسياً من الرجوع إليه، ومن ثم فإن الراسـل يتلقى رسالته هو من المرسل إليه على نحو مقلوب.

والآخر الكبير في مكان المخطط (الاسكيما) هو مكان اللغـة، ويشـير "لاكـان" إلى أن اللاشـعور مبنـي كاللغة، ذلك أن الميكانيزمات اللاشعورية يمكن أن تعبر عـن نفسـها بواسـطة اللغـة أو التعبـيرات اللغويـة وبالمثل في الأعراض العصابية.

الآخر الكبير (A) :

يميز "لاكان" بين الآخر الكبير The Big Other، والآخر الصغير The Little Other عن طريق المخاطبة، ويختلف موقع الذات حسب المرسل إليه. إذا كان بمثابة الآخر الكبير (A) أو الآخر الصغير (a).

يتكون الآخر الكبير في البداية عن طريق الأم، حيث توجه إليها كل الطلبات التي تؤمن له حاجاته الحياتية أو بمعنى آخر: أن الأم هي أول من يظهر للطفل على أنه الآخر الكبير؛ لأنها من يتلقى صرخاته ويستجيب لها. ومن هنا فإن الذات يتجه في اللحظة التي تعقب لحظة تعرفه على نفسه في المرآة إلى ذلك الإنسان البالغ الذي هو الآخر الكبير، الذي هو حينئذ الأم، كأنما يريد أن يعول عليه في اعتماد هذه الصورة والتصديق عليها: الإقرار بها والاعتراف.

وفي مرحلة لاحقة يأخذ الأب هذا المكان على اعتبار أن الطفل يدرك أنه نظراً لصغره غير قادر من أن يلبي كامل نقصها. موضوع رغبتها يتعدى وجوده لكي يطال الأب على اعتبار أنه يحمل القضيب الذي يتمم نقصها. هذه النقلة تؤدي إلى عملية أن يدرك الطفل من خلالها أنه نقص موجود وأن الأب كمؤسس أول للقانون، يعطي للرغبة حق انطلاقتها الأولى، إذاً فأول من يحتل مكانة الآخر الكبير هي الأم ويصبح الطفل تحت سيطرة أمه، وحينما ينطق الأب بالرغبة في قانون خصاء الأم يتجرد الطفل من رغبة الأم.

انطلاقاً من هذه العلاقة تتكون الذات من شبكة دوالي لغوية، لكي يصبح الآخر الكبير المرسل إليه "حكماً" لكل طلب ولكل رغبة، هو المحطة التي تعطي للكلام معناه، وتفك رموزه، ولذا فهو يعد كنز الدولي، وهو موقع موجود باستمرار في كل مرة يتحاور طرفان.

يقول "لاكان": إن الآخر الكبير عادة ما يكون خارجي في البداية إلا أنه سريعاً ما يدخل في حوار الذات مع نفسها، لكي يصبح ذاتياً داخلياً، أو في مرحلة لاحقة مخزن الرغبات المكبوتة.

لذا فإن الآخر الكبير عادة ما يشير إلى المغايرة الجذرية التي تتجاوز المغايرة التخيلية؛ لأنها لا يمكن أن تتلاشى عن طريق التوحد. و"لاكان" يسوي بين هذه المغايرة الجذرية وبين اللغة والقانون، ومن هنا فإن الآخر الكبير موجود في النظام الرمزي.

اسم الأب:

يرى "لاكان" أن الأب البيولوجي الحقيقي يتميز عن البنى الرمزية التي تنظم العلاقة بين الرجل والمرأة، فللأبوة جانب رمزي فيها، ويسمى "لاكان" هذا العامل للأبوة باسم الأب، وهو ليس شخصاً حقيقياً وإنما هو وظيفة رمزية، ويجب أن لا يختلط ذلك- كما يحدث كثيراً- مع الاسم الحقيقي للأب، فهو مجرد اسم لتعيين الجانب الرمزي للأبوة، كضد لطبيعته الحقيقية والذي يردده العالم الحديث إلى حيوان منوي، فالمرأة يمكن أن تصبح حاملاً اليوم دون أن تمارس العملية الجنسية مع الرجل، فقد جعل العلم التلقيح الصناعي ممكناً، وهي حقيقة توضح تفرقة بين الفاعل الرمزي والفاعل الحقيقي.

فالأب هو اسم لأن الأبوة تتضمن باستمرار شيئاً يجاوز الواقع البيولوجي للرجل الذي يعطي حيواناته المنوية، شيئاً رمزياً خالصاً وهو ما نجده في كثير من الثقافات والتي تقول إن حمل المرأة يرتبط بمرورها بمكان ما مقدس، فهناك على الدوام عدم ارتباط بين الجانب الحقيقي للأبوة وجانبها الرمزي.

ويسمى "لاكان" عملية أوديب "بالمجاز الأبوي" فهي مجاز أو استعارة طالما أنها تتضمن استبدال حد بحد آخر، أو كلمة مكان، أي اسم الأب بدلاً من رغبة الأم، ونتيجة هذه العملية هي ما يسميه "لاكان" بالدلالة: أن القضيب قد ضاع أو تم سلبه. ونحن نتذكر أن بنية الاستعارة عند "لاكان" تتضمن الاستبدال، والاستبدال يخلق الدلالة باستمرار، وهي في هذه الحالة دلالة قضيبية.

وعادة ما يحاول الطفل أن يكون الموضوع الذي يعتقد أن الأم تفتقده، والقضيب هو مجر اسم لذلك الموضوع الذي تفتقده الأم، والعملية الأبوية هي تدمير هذه اللعبة مع الأم، لتدل على أن القضيب الذي يرغب الطفل أن يجسده قد ضاع، وأنه ليس في متناول الطفل، وأنه مفقود.

وفي هذا يقول "لاكان" عندما أشير إلى الدلالة القضيبية في المجاز الأبوي، فإنني أشير إلى دلالة أن القضيب قد فقد بالنسبة للجنسين، وهذا هو الخصاء، بمعنى التخلي عن دعم محاولة أن يكون قضيباً للأم، والعصابيون هم أناس –لسوء الطالع- لم يلزموا أنفسهم بهذا التخلي.

إشـــارة:

فالإشارة Signe بالنسبة لـ"لاكان" ما يمثل الشيء بالنسبة إلى الذات، فعندما نقول: لا يوجد دخان من دون نار، فإن الدخان هنا ما هو إلا إشارة عن وجود النار بالنسبة للناظر أي الشخص. وبالنسبة "لسوسير Saussure" فالإشارة تتكون من مفهوم يجمع ما بين الدال والمدلول.

شجرة = دال / مدلول

فالدال أي الشجرة، أي فكرة الشجرة هي فكرة واقعية تشير إلى مادية وجودها. أما كلمة شجرة فهي المدلول كونه واقعاً نفسياً لتصور هذه الشجرة، وبمجرد أن ينطلق الصوت اللفظي: المكون من: ش.ج.ر.ة. فالكل يشكل وحدة تسمى إشارة.

أعراض وكلمات :

ويوضحها "لاكان" من خلال مريضة كانت تضرب رأسها باستمرار عندما تستيقظ كل صباح بسبب حركة عجيبة نحو جدار غرفة نومها، واختفت الأعراض عندما ربطت بينها وبين عبارة سمعتها المريضة في طفولتها حيث اعتادت والدتها أن تقولها مشيرة إلى زوجها -الذي هو والد المريضة-: "إنه يستيقظ في الجانب الخطأ من الفراش".

ومن هنا يبين لنا "لاكان" كيف أن الأعراض تتألف من كلمات، ودراسة اللغة وحدها تكشف عن وجود آليات لغوية كثيرة مختلفة، وتعطينا دراسة الأعراض نفس النتيجة، مثال: عادة ما تتضمن الاستعارة استبدال عنصر بعنصر آخر، مثل "الأسد" بـ"الرجل الشجاع" وتلك هي بنية الأعراض نفسها استبدال لفظ ظل مكبوتاً بلفظ آخر.

أنـــا مثالي :

الأنا المثالي بالنسبة لـ"لاكان" هي حالة مثالية يريد الإنسان ان يتوصل إليها، تشعره بالاكتفـاء التـام ويحظى بها على محبة الآخرين، بالشكل الذي يتمنى أن ينظر إليه، هذا التصور للحالة المثاليـة يـدخل في إطار العمل الخيالي المبني على النرجسية ويتبين في العيادة إذا ما تتطور لا يتحقـق إلا عـلى حسـاب إلغـاء الآخرين.

الأنا والذات :

أدخل "لاكان" تفرقة بين الأنا وما يسميه بالذات، فالأنا متخيلة، بينما الذات يربطها "لاكان" بـالرمز، وهو شرخ أساسي أو كيان منقسم، شرخ بواسطة قوانين اللغة التي تتبعها، شرخ إلى الحـد الـذي لا تعـرف ماذا تريد.

فيشير "فرويد" إلى أن للشخص الذي لديه الرغبة يحاول جاهداً أن يجحد أو ينكر بل ويراقب هذه الرغبات، ويتصرف كما لو كان شخصين منفصلين، ولقد نمى "فرويد" هذه الفكرة عندما تساءل مـثلاً: لمـن يحقق الحلم الرغبة؟

ولهذا يرى "لاكان" أن الخطوة المبدئية في التحليل هي الكشف لا عما يقوله المريض - بل من أيـن يتكلم - الكشف أين يقع اغترابه المتخيل. فعندما يقول المريض: "أنا" فلابد للمحلل أن يرتاب! فلابد "للأنا" أن تنفصل عن الذات، فقد يبدو أن "أنا" الكلام تشير إلى الشخص الذي يجلس أمامك لكنه ليس هو نفسه الذات، محل التقمصات المتخيلة. ولهذا عندما يقول المريض "أنا" فينبغي أن لا ينخدع المحلل. ولـذا فمـن الضروري أن نرى من أي مكان يتكلم، ربما كان مكان الأخ أو الصديق أو الوالد الذي يتم التعرف عليـه في مستوى معين من اللاشعور.

فالأنا لدى "لاكان" - على العكس من المعايير المعروفة - هي الإسقاط المتخيل، فهـي لا تقـترب مـن الأنا الواقعية التي هي عند "لاكان" بعيدة المنال، ولا يمكن التعبير عنها في حدود اللغة.

أنــا :

وهي تشير إلى الهوية التي لا يمكن أن تأخذ معناها إلا عن طريق نفي الآخر، على اعتبار أنه غير الأنا، واعتبرها "فرويد" الأنا المحاور الأساسي مع الآخر، ومع الواقع الخارجي. وفي مرحلة لاحقة (مقدمة في النرجسية) اعتبرها سلطة مضللة عندما تؤججها المشاعر الملتهبة.

أما "لاكان" فقد حسم الموضوع بين الموقفين: حيث اعتبر الأنا في بنيتها الأساسية المتخيلة انطلاقاً من مرحلة المرآة، وهي مضللة إذا سلبت الصورة المرئية للإنسان عن ذاته. وهنا ليس ببعيد عن الموقف الفرويدي الثاني، ولكنه أكثر حسماً.

انعدام :

مفهوم استعان به "لاكان" لكي يميز العمليات النفسية المؤسسة للذهان، والكلمة تأتي من عدم: تشير إلى غياب أي مؤشر أو مرجع يشير إلى وجود مسبق للشيء المعروف أن كل المجتمعات الإنسانية تتأسس على مجموعة من المعتقدات السابقة والتي تشكل البنية الأساسية للتراتب الرمزي. في صدارة هذا الموروث الثقافي يحتل الجهاز العائلي وتنظيم العلاقات الاجتماعية، المكانة الأولى. وهذا الجهاز يتمحور حول اسم الأب على اعتبار أنه ينظم قوانين الزواج وتسلسل النسب انطلاقاً من المحرم الأول (أي الأم). فانعدام اسم الأب المميز للذهان يفقد الذات مرجعيتها في تحديد هويتها وفي ترتيب الجهاز الرمزي الذي يفقدها القدرة على التعامل مع الواقع، ويشير "لاكان" إلى أن هذا الأخير إذا لم يحصل على الترميز من الجهاز الداخلي يرتد من الخارج في شكل هذاءات ويفقد ارتباطه بالواقع النفسي الداخلي- فيظهر غريباً عن الذات، إما بشكل ملاصقة أو اضطهاد أو رؤية الواقع الخارجي على شكل هذاءات.

هذا الانعدام لاسم الأب يأتي نتيجة لعاملين:

- إما بإلغاء إرادي من الأم كي تتملك بمولودها وتخضعه لقانونها الخاص "نزواتها" ولا شيء يؤثر عليها.
- وإما لأن الأب قد غاب كلياً عن إسماع صوته وقوله حتى لو كان موجوداً جسدياً، فيفقد اسم الأب حينئذ فعاليته، وإما لتشبهه بشكل كاريكاتوري تتجسد به القدرة والسلطة كما لو كان هو مصدر القانون وصاحبه.

في كل هذه الحالات تنعدم فعالية اسم الأب، وتفقد الذات محور نظامها الرمزي، ويخلق فجوة في الحقل الرمزي تهدد الذات بالفناء إذا ما اقتربت منها فيتدخل الهذيان لملئها، وبالنسبة لـ"فرويد" فالهذيان كناية عن محاولة علاجية لردم هذه الهوة.

إنكار- نفي:

وهي تعني تبني الفرد فكرة معاكسة لما يرغب فيه، أي هي كناية عن وسيلة تعتمدها "الأنا" كي تحافظ على كبت الفكرة المعكوسة لها، ويعطي"فرويد" مثالاً على ذلك: عندما يسرد مريض حلماً يقول: بأنه ظهرت امرأة له تريد إغواءه "إغراءه"- ثم يسترسل مؤكداً لفرويد: لا تقل لي إنها أمي- يجيب "فرويد" بالتأكيد هي أمك. اعتمد على هذا التأويل على أساس أن النفي اللاحق جاء ليؤكد الفكرة المكبوتة "تعلقه الشبقي بالأم". ولذا فإن هذه العملية الفكرية دائماً ما تدخل في إطار نسق الكبت. ويتأسس عليها الحكم بالنفي على اعتبار أنها آتية من الخارج ولا علاقة له بها.

وهذا الحكم يقوم على أساس عمليتين فكريتين:

- إما أن ينفي الموضوع كلياً: وتلفظه الأنا لكي يصبح خارجاً.
- وإما أن يطال النفي صفات الموضوع المميزة له ويدمجه بالأنا لكي يتوحد بها.

تتحقق وظيفة الإنكار بفضل العامل الرمزي الذي يتناول الموضوع ويعطيه الرمز المناسب، وهو الشيء الذي يُمكن الأنا من الاعتراف بما هو مكبوت في اللاشعور، عن طريق إخراجه المعاكس.

الحاجة والطلب والرغبة :

يلح هنا "لاكان" على التفرقة بين ثلاث مفاهيم: الحاجة Need، والطلب Demand، والرغبة Desire.

فالحاجة: هي غريزة بيولوجية صرف تنهض بناء على حاجات البنية العضوية وتختفي كلية ما إن يتم إشباعها.

ولما كان الكائن الإنساني يولد في حالة من العجز لا يقدر معها على إشباع حاجته وحده بغير مساعدة الآخر، فإنه يلجأ إلى التعبير عنها صوتياً، حتى يُقبل الآخر عليه بالمساعدة. أي أن الحاجة لا مناص من التعبير عنها في صورة طلب Demand، وقد يكون ذلك بالصراخ الذي لا يجد الطفل حيلة سواه.

غير أن حضور الآخر سرعان ما يكتسب أهمية في حد ذاته تتجاوز حدود الإشباع. فيكون هذا الحضور دليلاً على حب الآخر ورمزاً إليه. ومن ثم يكون للطلب وظيفة مزدوجة: التعبير عن الحاجة البيولوجية، والتعبير في الوقت نفسه عن طلب الحب.

لكن الآخر وإن استطاع أن يقدم للذات الأشياء التي يطلبها، لا يستطيع تقديم الحب الذي يسعى إليه لكونه –أي الحب رغبة في ذاتها- رغبة لا يتحقق لها الإشباع، ومن هنا يظل الطلب الذي يلهج الذات به من أجل الحب طلباً لا ينقطع.

والذي يتحصل من ذلك هو الرغبة Desire فالرغبة ليست الشهية التي يراد إشباعها، ولا هي طلب الحب، ولكنها شيء مختلف عنهما: الرغبة تختلف عن الحاجة التي يمكن إشباعها، أي الحاجة إلى أن تنهض من جديد. أما الرغبة فلا يمكن تلبيتها أبداً: إنها تستمر في إلحاحها ولا تزول.

ويجب أن نفرق بين الرغبة والدافع كذلك، على الرغم من اتصالهما معاً بالآخر الذي يلبيهما: الرغبة واحدة، لكن الدوافع متعددة، وبعبارة أخرى: الدوافع هي تلك الأمثلة بعينها للرغبة أي المتحققة في صور حسية ظاهرة.

ومن المهم أن نفرق أيضاً بين ما كان يسميه "لاكان" رغبة وما نسميه نحن عادة أمنية؛ فالأمنية شيء تريده عن وعي، أما الرغبة فهي أساساً ممنوعة من الوعي. ولقد أقام "فرويد" التفرقة بينهما في مرحلة مبكرة من مؤلفاته عن الأحلام؛ فقد يمثل الحلم أمنية واضحة، فأنت تكاد تتجمد وتتضور جوعاً في القطب الشمالي، وتنام وتحلم بسرير بأربعة أعمدة ووعاء من الكافيار.

ويبدو أن الحلم يحقق أمنية: أن تجد الطعام والمأوى، غير أن هذه الأمنية ما

هي إلا إثبات لعدم الوجود فحسب، فما يهم حقاً هو: لماذا يتخذ التحقق المفترض -في حلمك - شكل سرير بأربعة أعمدة، ووعاء من الكافيار؟ ولماذا لا يكون سريراً عادياً؟ ولماذا لا يكون وعاء من الحساء الساخن؟! وها هنا تختلف الرغبة عن الأمنية.

فالرغبة ترادف ببساطة عمليات تشويه تحيل أمنية الملجأ والطعام إلى صورة خاصة. ومن هنا طور "لاكان" نظريته عن الرغبة كشيء بالغ الغرابة، عجيب جداً: ولا علاقة لها بالأمنيات، وإنما هي تتألف من آليات لغوية تلويها وتشوه عناصرها وتحولها إلى عناصر أخرى. وقد تعطينا زلات اللسان أمثلة أخرى، فقد نقول شيئاً بدلاً من شيء آخر، ولا نعرف لماذا يحدث ذلك؟!، والرغبة حاضرة لأن أحد هذه العناصر قد تم تشويهه وتحول إلى عنصر آخر. ولذا فإن جزء من عملية التحليل هو محاولة التعذيب بإثارة الرغبة بطلبها الذي لا ينقطع. والعصابي هو شخص يتميز بالمطلب، ويُخفي رغبته تحت فرض حضور المطلب. ومن هنا فإنه في استطاعتنا أن نستنتج وجود الرغبة من العمل السريري (الإكلينيكي/ العيادي) بأن ننسبه إلى هذه العمليات كما تكررت وفي لحظات الانقطاع، والتشويه والغموض في تداعيات المريض.

ويؤدي العلاج بالتحليل النفسي إلى التعرف على الحقيقة التي ترتبط بالرغبة، فالفرد لا يتعرف على رغبته إلا عندما ينطق بها في كلامه ومتى نطق بها في حضور الآخر فإن المريض يمكنه التعرف على رغبته حينذاك فحسب، وحينما ينطق المريض برغبته من خلال اللغة فإنه يدفع بها إلى الوجود.

ويقول "لاكان" في هذا الصدد: أنه على الفرد التعرف على رغبته وتسميتها، هنا تكمن فعالية التحليل النفسي، فالمسألة ليست مسألة التعرف على شيء يمكن أن يعطي. ففي تسميته يخلقه الفرد ويمنحه وجوداً جديداً في العالم.

وأخيراً فإن أهم نقطة في هذا الصدد هي أن "لاكان" يرى الرغبة كنتاج اجتماعي لا بيولوجي مثلما فعل "فرويد". فالرغبة عند "فرويد" ذات طبيعة جنسية. أما "لاكان" فيعرف الرغبة على أنها: جوهر الإنسان والقوة الدافعة له بل هي جوهر الوجود الإنساني وكذلك فهي جوهر دراسة التحليل النفسي.

رغم ان هناك قدراً من الحقيقة في أن الرغبة موجودة إلى حد ما في كل كلام فإن الكلام لا يمكنه أن يعبر عن كل الحقيقة: إذ كلما حاول الكلام التعبير عن الرغبة يظل هناك على الدوام الفائض Surplus يتخطي حدود الكلام والتي تنتج أيضاً -أي الرغبة- عن النطق بالحاجة في شكل طلب.

فالرغبة إذاً بالنسبة إلى "لاكان" ليست أمراً شخصياً وإنما تتشيد في وسط ديالكتيكي في علاقة مع إدراك لرغبات الآخرين.

ومن المهم أيضاً أن نشير هنا إلى قول "لاكان": بأن الرغبة برمتها رغبة الآخر. وهذا القول يحتمل ثلاثة معان على الأقل:

1- أن رغباتنا هي نفس رغبات الآخر، لأن رغبته هي التي حالت بيننا وبين حاجاتنا الأولية.

2- أننا نرغب ما يراد لنا، فمن ثم يفترض فينا، ويتوقع منا أننا نرغبه.

3- أن ما نرغبه إنما هو قناع يخفي وراءه في الحقيقة الآخر.

والآخرية في التحليل النفسي تتضمن إما حالة خارجية للآخر نتطلع إلى أن تكون لنا (أي شيء مما هو موضوع للرغبة)، أو جملة من الضغوط التي تشكل النفس.

وأول ما يحتل مكانة الآخر الكبير هي الأم ويصبح الطفل تحت سيطرة أمه، وحينما ينطق الأب بالرغبة في قانون خصاء الأم يتجرد الطفل من رغبة الأم.

وهكذا فإن لمفهوم الرغبة أهمية لا يضارعها أهمية أخرى عند "لاكان" فهي التي تدفع بسلسلة الدوال إلى الأمام فهي الدينامو الذي يحرك كل شيء بلا هوادة.

خصاء:

عقدة الخصاء Castration عند "فرويد" هي النقطة التي يخرج عندها الولد من عقدة أوديب، فهي نقطة النهاية في هذه العقدة، أما البنت فعقدة الخصاء عندها هي النقطة التي تدخل فيها هي عقدة أوديب. فهي ترى أمها مسئولة عن حرمانها من العضو الذكري. وبغضها إياها يجعلها تعيد توجيه رغباتها الليبيدية نحو الأب بدلاً منها، وقد انتهى "فرويد" في هذا إلى أن مركب الخصاء ظاهرة عامة في جميع أفراد البشر.

وهي ترجع في جذورها إلى "رفض الأنوثة" وهي عقدة تواجهها كل ذات ذكراً أو أنثى، وهي الحد النهائي الذي لا يستطيع العلاج النفسي أن يمضي أبعد منه.

أما "لاكان" فهو يتكلم عن الخصاء أكثر مما يتكلم عن عقد الخصاء. ويتابع "فرويد" في أنه فانتازيا تراود الطفل بقطع أعضاء الذكورة فيه. وهذه الفنتازيا متصلة عنده بسلسلة كاملة من فانتازيا قطع أوصال الجسد التي يتخيلها الطفل بسبب الصورة التي لا تفارق خياله. صورة جسده المتهاوي أو المتمزق في مرحلة المرآة، ولا تندمج فانتازيا الجسد المتمزق في فانتازيا الخصاء إلا في مرحلة متأخرة كثيراً.

ولذا فإن الخصاء عند "لاكان" ما هي إلا أحد ثلاثة أضرب من الفقد Lack: وهي الخصاء، والإحباط Frustration، والحرمان Privation. ولهذا فإن "لاكان" نقل هذه العملية على المستوى الرمزي وحددها عن طريق الموقع الذي يحتله الطفل بالنسبة لنقصان الفالوس عند الأم، ولذا يشير "لاكان" إلى أن هذا النقص في الوجود بالخصاء الرمزي، ويتبين لـ"لاكان" بأنه لا فرق بين الطفل الذكر أو الأنثى أمام هذا الموقع الرمزي، فكلاهما يواجهان نفس المشكلة، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن هذا الأمر يتعدى القضيب بمفهومه التشريحي، لكي يتحول إلى الفالوس في مفهومه الرمزي.

وهذا ما يسميه بالخصاء الرمزي، أي أن الطفل لا يستطيع أن يتوحد بالفالوس لكي يتمم نقصان الأم، ويكون معها وحدة متكاملة – (لا يحصل ذلك إلا في الذهان) - إنما يدرك أن التوحد يبقي ناقصاً، لأن رغبة الأم تتعداه لكي تؤكد أن ما يشبعها ويعوض عن نقصها، هو امتلاك الأب للقضيب (أو أي رجل آخر).

إذاً فعملية الخصاء عند "لاكان" تطال موقع الطفل الوجودي بالنسبة لعلاقته بالأم، وتفرض عليه التخلي عن التوحد بالفالوس، لكي يصبح هذا المكان بحكم

الخسارة، أي نقصان لوجود موضوع "أ" ضائع، وهو ما يؤسس رغبته في مفهوم آخر سواء بالنسبة للفتاة أو الذكر: الإقرار بنقصان الأم بفضل تدخل الأب كعامل أساسي.

ومن هنا يربط "لاكان" بين خضوع الطفل لتجريم إتيان المحارم بدخوله النظام الرمزي. وإن قدرة الطفل على الترميز إنما تعتمد على قبوله للنقص، أي نقص تكامله وانصهاره في الأم على المستوى المتخيل ويشير هذا النقص إلى تخيل الطفل أولاً أنه الفالوس To Be The Phallus (أو أن يكون الفالوس الذي ترغبه الأم)، ثم قبوله لعدم امتلاكه الفالوس وهو ما أسماه "لاكان" وكما أشرنا سابقاً بالخصاء الرمزي.

هذا الخصاء والذي من شأنه أن يمنح الطفل رغبة لا تنطفئ أبداً في السعي للحصول على الفالوس.

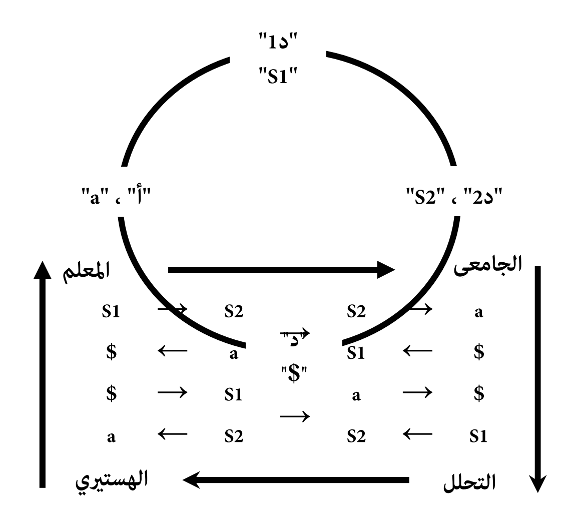
ولهذا يجب التنويه هنا في هذه العملية إلى التمييز بين الفتاة والفتى: الفتاة: تنطلق من حرمانها لكي تحتل مكانة في العلاقة مع الرجل أي أن الفتاة تتوحد بجسدها بالفالوس وليس بذاتها. وبالنسبة للذكر: فينطلق من امتلاكه للفالوس دون أن يحتل مكانه.

خطاب:

حاول "لاكان" تحديد العلاقة الاجتماعية انطلاقاً من الموقع الذي تحتله الذات لكي تخاطب الآخر، على هذا الأساس استقر الأمر بأربعة أنواع من الخطب وهم كما يلي:

- خطاب المعلم "د1" أو "S1".
- خطاب الجامعة "الخطاب العلمي "د2" أو "S2".
- خطاب الهستيريا "د" أو "$" بمعنى انقسامها على ذاتها ما بين وعي ولا وعي.
- خطاب الرغبة "أ" أو "a" المتمثل في موضوعها.

وانطلاقاً من احتلال أي خطاب مكان الصدارة تتحدد أمكنة الخطب الثلاثة في منطق شبه دائري، أي في كل مرة ننطلق من صدارة خطاب إلى تصدر خطاب آخر، نكون قد أنجزنا ربع دائرة.



الفائدة من هذا التنسيق هو أن المتكلم لا يستطيع أن يحدد الأنا والنتائج لكلامه إلا من خلال موقع الخطاب الذي يحتله. على سبيل المثال: عندما يتكلم الأستاذ الجامعي يحتل مكان المعلم- مكان الفيلسوف الحكيم سابقاً- يتوجه إلى الطلاب لكي يغنيهم بالمعرفة العلمية الأكاديمية.

والهستيريا تتوجه إلى المحلل أو المريض أو الطبيب، لأنه بموقع السيد "المعلم" الذي يعرف ما لا تعرفه عن موضوع رغبتها، ولأن هذا السيد هو مفترض عارف.

وأخيراً التحليلي الذي يضع موضوع الرغبة "أ" في أولياته ويتوجه إلى الهستيريا ليتساءل معها.

وهكذا فهذه الخطب الأربعة متواجدة دائماً في العمل التحليلي لا تنفصل عن بعضها على اعتبار أنها محركة ومنسقة لشبكة الدوالي ضمن منطق يخضع لقانون اللغة.

الدال والمدلول:

كانت التفرقة بين الدلالة والمدلول حاسمة في برنامج "لاكان" في العودة إلى "فرويد"، وتبعاً لتعريف شهير فإن الكلمة الدالة هي صورة صوتية، والمدلول عبارة عن مفهوم أو تصور. وللدلالة ضرب من الأسبقية، ونحن نستخدم المدلولات حتى نقترب من الدلالة. أو ببساطة أكثر لنقول ماذا تعني؟ والانتقال من الكلمة إلى المعنى يبدو كافياً، فقد نسأل عن موضوع ما، ويفهم المستمع معنى ما نقول ويستجيب، فاللغة بهذا الشكل تدور حول التواصل بين بعضنا بعضاً، فنحن نستخدم الكلمات لننقل المعاني والمقاصد.

غير أن "لاكان" يرى الأمور على نحو مختلف، فبدلاً من أن يفترض الشفافية بين الدال والمدلول، اقتراب سهل من الكلمة إلى المعنى، يدعى "لاكان" أن هناك حاجزاً حقيقياً ومقاومة، فهو يرى أن الكلمة لا تكشف عن معناها بهذه البساطة، لكنها تؤدي بالأحرى إلى كلمات أخرى في سلسلة لغوية، تماماً مثلما يؤدي معنى معين إلى معانٍ أخرى. ولذا عادة ما تولد الكلمات المعاني التي تجاوز فهم أولئك الذين يستخدمونها؛ فهناك فرق بين ما تعني أن تقول وبين ما تقوله كلماتك، وهذا هو السبب في أن الحياة اليومية تتضمن سلسلة من سوء الفهم والاعتذارات.

حتى الإيماءة يمكن أن تكون دالة، فالإيماءة تعني شيئاً ما، فهي تخلق معنى، لكننا لا نستطيع أن نكون على يقين ما الذي تعنيه بطريقة واعية إلا قليلاً، وإن كانت تؤثر في حياتنا تماماً، فهي تنظم عالمنا النسيج الذي ترمز إليه.

ذات (انقسامها): الانقسام الذاتي:

نظراً إلى احتكام الإنسان إلى اللغة، وهذا ما يميزه عن الحيوان، يتبين أن ما يتفوه به يتعدى حدود المعرفة التي انطلق منها، يقول دائماً أكثر مما كان يبغي، الكلام يحمل في طياته انقساماً ذاتياً يعود مصدره إلى اللاشعور، وبصورة خاصة إلى رغباته المكبوتة التي تكونت منذ مرحلة عقدة الخصاء.

فعندما يخاطبك شخص ما، تقول له أستنتج من كلامك أنك تعني غير ما قلت، فهذا الاستنتاج في السمع هو ما يميز العمل التحليلي على اعتبار أن كل خطاب كلامي يحمل في طياته انقساماً ما بين ذات في البيان الظاهر، وذات في المبين كقطعة النقود: واحدة في الأصل: ولكن تحمل انقساماً بين (صورة، وكتابة).

ويسير "لاكان" هنا على خطى "فرويد" عندما حدد هذا الأخير أن الأنا منقسمة في أداء وظيفتها إلى قسم شعوري "واع" على علاقة بالمخاطب، وقسم لاشعوري "لا واعٍ" على علاقة بالمكبوت، وهذا ما تؤكده الأفعال المغلوطة، وهفوات وزلات اللسان.

وعبَّر "لاكان" عن هذا الانقسام في الرمز التالي $ والخط القاطع هنا يشير إلى الانقسام الحاصل في الذات الممكنة.

سلسلة الدوال:

علينا في هذا الصدد الرجوع إلى سيمنار "الرسالة المسروقة أو "الرسالة المختلسة" The Purloined للروائي الإنجليزي "إدجار آلان بو" Poe في إشارة إلى سلسلة الدوال التي تنتقل الواحدة إلى الأخرى ليتغير معناها تبعاً للسياق. ويرى "لاكان" أن الدوال ترتبط ببعضها البعض في سلسلة متصلة إلى ما لا نهاية.

وقصة "الرسالة المسروقة" تدور حول اكتشاف المخبر السري أو المفتش "ديوبين" لرسالة كان قد سرقها الوزير من الملكة. وتقع القصة في مشهدين، تسرق الرسالة فيهما بالطريقة نفسها. في المشهد الأول: يقتحم الوزير (د) المكان الذي دخل فيه الملك على غير توقع على الملكة في غرفتها الخاصة. ويلمح الوزير قلق الملكة التي أرادت ألا تلفت انتباه الملك إلى الرسالة التي كانت بين يديها، فألقتها على المائدة، وتظاهرت بقلة أهميتها. لم تحرص الملكة على إخفاء الرسالة. وبذلك إنخدع الملك وهذا ما أرادته، لكن الوزير (د) فطن للأمر، والتقط الرسالة. لم تقدر الملكة على فعل شيء خشية أن تلفت انتباه الملك. أما في المشهد الثاني: فيقع للوزير مثل ما وقع للملكة تماماً: يذهب البوليس للبحث عن الرسالة، فيكرر الوزير بالضبط طريقة الملكة في إخفاء الرسالة: يتركها في إهمال متعمد بين رسائله، فينخدع البوليس. لكن يدخل إذ ذاك المفتش "ديوبين" الذي يلمح الرسالة على الرفوف القائمة فوق المدفأة، ويقوم بالدور القديم نفسه الذي قام به الوزير من قبل: يُبَيِّت النية على سرقة الرسالة، ويعود ليستبدلها برسالة تشبهها بعد أن يغافل الوزير.

تلك هي قصة "الرسالة المسروقة" التي يعدها "لاكان" تصويراً أليجوريا Allegorical لنظرية التحليل النفسي، من جهة أن النظام الرمزي هو الذي ينشئ الذات. يقول: إن محتوى الرسالة لم يكشف عنه أبداً. وتطور القصة لا يأتي من جهة شخصياتها، ولا من جهة محتوى الرسالة. ولكن من وضعية الرسالة في علاقتها بمثلث الأشخاص (الملكة- الوزير- المفتش) في كل مشهد.

هذه الوضعية تتحدد عند "لاكان" بثلاثة أنواع من اللمحات: اللمحة الأولى لا ترى شيئاً، وهي نظرة الملك ورئيس البوليس. والثانية ترى أن اللمحة الأولى لا ترى شيئاً وتظن سرها مصوناً، وهي نظرة الملكة ونظرة الوزير. في المشهد الثاني، واللمحة الثالثة ترى أن الأولين تتركان الرسالة "المخبأة" في المتناول. وهي لمحة الوزير في المشهد الأول ولمحة المفتش "ديوبين" الرسالة حينئذ تشبه الدال الذي تتداوله الذوات تداول الضمائر في نظرية عالم اللغة الفرنسي "إميل بنفنست".

فما هي نظرية "بنفنست" ؟ الضمائر أنا، وهو، وهي .. إلخ. ليست إلا

أوضاعاً تتخذها الذات الواحدة: حينما أقول: أنا، مخاطباً "عليا" بـ"أنت"، ينقلب الوضع بعد حين، وذلك حينما يتكلم "علي" في مقام الرد على ما أقول. هنا تصبح "أنت" أنا، وتصبح "أنا" أنت، وهكذا. ونحن لا نستطيع أن نتفاهم أو نتواصل فيما بيننا إلا إذا قبلنا بهذه المبادلة للأوضاع. من أجل ذلك فإن النفس التي تقول "أنا" في عبارة مثل العبارة الآتية: "أنا سأشتري هذا المنزل غداً"، ليست هي تلك الـ"أنا" الموجودة في العبارة. الأنا في العبارة شيء والذي يشتري المنزل شيء آخر. هذا أمر نؤكد على ضرورة الالتفات إليه. "أنا" في العبارة يطلق عليها الذات موضوع القول Subject of Enunciation والذي التي تنطق بالعبارة يطلق عليها الذات فاعلة القول Subject of Enunciating. الرسالة في قصة "إدجار آلان بو" تعمل عمل الدال بخلق أوضاع الذات بالنسبة لشخصيات القصة. وتفسير "لاكان" للقصة يظهر أسبقية البنية. فالشخصيات Characters في القصة تتغير شخصياتها Their Personalities وهي تغير أدوارها، وسلوكها يتشكل بالدور الذي تلعبه في كل مشهد. ولا يقتصر ذلك على أفعالها، بل يشمل أفكارها ومشاعرها وأسلوبها. فالوزير (د) يظهر حصافة وبراعة حين يقوم في المشهد الأول بدور اللص. لكنه في المشهد الثاني يأخذ في أداء دور الملكة حين تصير الرسالة بيده ويستحوذ عليها، فيتقمص خصائصها، ويقوم بالدور بحذافيره. والشيء نفسه يقع للمفتش "ديوبين" إذ ينتقل من دور اللص في المشهد الثاني، إلى لعب دور الملكة في نهاية القصة. يقول "لاكان": إننا نتوحد ببنية العلاقة في مجموعها The Whole Structure of Relationship وإذا جاز أن نقول إن المؤلف أو القارئ يتوحد أي منهما بأي شخصية من شخصيات القصة. فإن ذلك لا يكون على النحو البسيط الذي ذهبت إليه "ماري بونابرت" حين قامت بتحليل القصة وطرحت أوجها من التشابه منبثة على نحو عشوائي بين "بو" مؤلف قصة الرسالة المسروقة، والمفتش "ديوبين" أو بنيه وبين الوزير (د).

إذاً فإن الفالوس الذي ارتبط في نظرية "لاكان" بالفقد والغياب لظهوره مع ظهور النظام الرمزي الذي ارتبط هو كذلك بالفقد، ومن ثم بالرغبة، يقوم هنا بوظيفته كقيمة تبادلية Exchange Value. هذه الفكرة -أي فكرة التداول يصورها "لاكان" بالاستعانة بقصة الرسالة المسروقة. وعلى الرغم من أن "لاكان" لم يطابق الرسالة قط بالفالوس على نحو واضح، فإنه يغري القارئ بالقيام بهذا الاستنتاج: لأن الرسالة شأنها شأن الفالوس تقوم بوظيفتها كدال فارغ يعتمد معناه على وضعه أكثر مما يعتمد على محتواه الذي لم ينكشف قط.

العقدة البورومية:

استعان "لاكان" بالرياضيات الموضعية (Topology) (*) لكي يعطي تصوراً للعمليات الدائرة في الحقل النفسي، واستعان بالعديد من النظريات الرياضية لكي يستخرج منها صيغاً تؤمن تعليم التحليل النفسي دون تحريف، على اعتبار أن الصياغة الكلامية يطالها الوهن من كثرة التكرار وتعرضها دائماً للتأويل المنحرف بسبب العامل الذاتي.

وتتشكل العقد البورومية من ثلاث حلقات مرتبطة بعضها البعض على نحو خاص بحيث إذا ما قطعت أو سقطت أي حلقة انهارت الأخرى وتنفصل (أو تتحرر) الحلقات الثلاثة ويمكن اعتبارها سلسلة بدلاً من عقدة لأنها تتضمن تداخلاً بين خيوط مختلفة في حين أن العقد تتضمن خيط واحد.

ومن المعروف أن عائلة "بورومية" الإيطالية جعلت منها شعاراً لتؤكد تحالفها مع عائلتين أخرتين، وكانت تطرزها على القمصان المشتركة.

واستعان "لاكان" بهذه العقدة لكي يبرهن نوعية الترابط ما بين الواقعي والمتخيل والرمزي، انطلاقاً من أن دخول الإنسان عالم اللغة أعطى تحقيقاً لوجوده، وهذا ما عبر عنه بقوله: "أن الوجود مرهون بالكلام Parlêtren".

هذا الوجود وهو واقعي لا يمكن استخراجه من الكون إلى حيز الاعتراف إلا عن طريق نوعية تشابكه مع المتخيل والرمزي. وهذه النوعية تعطي تصورها النهائي في العقد البورومية Borromean Kuot، فإما تكون أو لا تكون.

ولذا فإن هذه العقدة أو السلسلة يمكنها أن تمتد إلى ما لا نهاية بإضافة دوائر جديدة وتحتفظ في ذات الوقت بسماتها البرومينية.

إذاً فهدف هذا التحول -أي إلى الرياضيات- والاستعانة بالأدوات الرياضية هو تسهيل مهمة التحليل النفسي، لا كما يتصور البعض بنقل التحليل النفسي إلى الحقل الرياضي، أو حتى الفلسفي وهذا هو ما ضلل العديد من المنظرين، وغيَّب عنهم العمل العيادي.

** Topology: **الهندسة اللاكمية أو اللامقدارية: فرع من الرياضيات يعني بدراسة موقع الشيء بالنسبة إلى الأشياء الأخرى (لا بالمسافة أو بالحجم).**

الفالوس :

يمثل الفالوس Phallus أفضل دال يولد الرغبة، ويأخذ عند "لاكان" ثلاث مواقع وفقاً للأنظمة الثلاثة للدال. ولذا فإن الفالوس إما أن يكون تخيلياً، أو رمزياً، أو واقعياً.

فإن كان واقعياً: فاللفظ الذي يطلق عليه حينئذ عضو الذكورة التناسلي Penis، أي العضو الذي له وجود على المستوى البيولوجي وهو موضوع رغبة الأم. ولذا فإن لهذا العضو- أي الفالوس الواقعي- دوراً هاماً في مركب أوديب بالنسبة للصبي، حيث يتحول من كونه عضواً للذة قبل الموقف الأوديبي، إلى عضو مثير للقلق مع دخول الأب أو القانون كوسيط فاصل في العلاقة بين الطفل وأمه، وعن طريق هذا العضو أيضاً يتأكد شعور الطفل بوضعيته الجنسية، لأن السؤال الذي يثور لدى الطفل في المركب الأوديبي هو أين الموضوع (العضو الذكري الواقعي) في هذا المركب، ويكون الجواب المطلوب لحل عقدة أوديب هو أن موضعه عند الأب الواقعي.

والفالوس التخيلي: Imaginary Phallus: فيشير إلى الصورة المتخيلة للعضو الذكري، والذي يدركه الطفل على أنه موضوع رغبة الأم ويسعى للتوحد به، وتتضمن العقدة الأوديبية وعقدة الخصاء أن يتخلى الطفل عن أن يكون هو القضيب المتخيل، لذا فإن الفالوس التخيلي الذي يتبادله كل من الأم والطفل عادة ما يسهم في إقامة أول علاقة ديالكتيكية في حياة الطفل تمهد الطريق إلى الرمزي، من جهة أن الرمز ذو صفة تبادلية، حيث يصبح الفالوس أو هذا الدال التخيلي، هو "دال رغبة الآخر" وهو كذلك "دال النشوة" Jouissance.

أما الفالوس الرمزي: فهو الدال الرئيسي لرغبة الآخر ودال اللذة، وليس له نظير ولا ند، وتتحدد الهوية الجنسية للذكر أو الأنثى عبر هذا القضيب "الفالوس" الرمزي الذي يعد عوضاً عن نقصان دال الآخر الأكبر.

فالفالوس عندئذ رمز "علامة" ليس له ما يقابله عند الأنثى. إنها مسألة اختلال السيمترية، فكلا الجنسين يقيمان فكرتهما عن الجنس الذي ينتميان إليه من خلال الفالوس الرمزي، والفالوس الرمزي لا يمكن نفيه. فهو على خلاف الفالوس التخيلي. وذلك لأن الغياب على المستوى الرمزي كالحضور، كلاهما حقيقة إيجابية فحتى المرأة التي ينقصها الفالوس الرمزي يمكن -على نحو ما- أن يقال إنها تملكه؛ لأن عدم امتلاك الرمزي صوره من امتلاكه، والعكس كذلك صحيح: لا يمتلك الذكر الفالوس الرمزي إلا إذا قبل الخصاء مسبقاً.

وعلى الرغم من أن الفالوس شيء يختلف عن عضو الذكورة البيولوجي، وأنه لا الرجال يملكونه، ولا النساء (كلاهما يفتقدانه ويرغبانه لأنه هو الذي يتيح للمعنى ثباتاً ومرجعية Authority وقوة)، لذا فإن تعليق "لاكان" -كما ذهب منتقدوه- يرتبط أكثر بالذكر من الجنسين، فالرجال يستطيعون أن يتوحدوا بالفالوس على نحو لا يتأتي للنساء.

إن منطقة الفقد (فقد الفالوس) الأنثوية منطقة الهامشية بالنسبة للفالوس (من يملك الفالوس يكون في وضع المركزية ومن لا يملكه يكون في منطقة الهامشية)، منطقة مفتوحة أمام الرجل والمرأة على حد سواء. حظ الرجل فيها كحظ المرأة، وهذا اللاثبات في وضع الذات بالنسبة للفالوس يسمح بالنشوة التي هي وراء تخوم الفالوس - وراء تخوم الرجل - وراء تخوم اللغة والاستبدال، إن اللاشعور الذي تأتي منه النشوة الجنسية عند "لاكان" منطقة أنثوية، إنها منطقة الآخر- منطقة المرأة، وهذه هي النقطة التي كانت منطلقاً لكثير مما كتب في الاتجاه النسوي.

ولعل إعطاء الأولوية للفالوس كدال نهائي للاشعور يعود إلى الدلالات المتعددة لمفهوم الفالوس كما تعرضها "إليزابيث جروز" (Grose, E. 1996) إحدى رائدات الحركة النسائية في التحليل النفسي اللاكاني كما يلي:

- يمثل الفالوس دلالة حاسمة في توزيع القوة والسلطة وموضعه الكلام، وهو علامة Mark، أو إشارة أمارة Badge للمكانة الاجتماعية، وهو إشارة أيضاً إلى عصا القيادة وسيف العدل والقتال، وصاري الإعلام، وما إلى ذلك.
- إنه الدال على النقص الذي سببه الخصاء، وهو أيضاً دلالة على الحضور والامتلاك، والمصطلح الذي يأخذ حضوره أي معنى أو قيمة، ولهذا فهو دلالة عما يعتقد الرجال ملكيته وما تعتقد المرأة أنه ينقصها.
- وهو دال الدوال، ممثل الدلالة واللغة، بمعنى أن الفالوس هو الموضوع الذي يشغل أو يملأ مكان ضمير المفرد "أنا" في الخطاب، ذلك المكان الناقص، وتستطيع الذات أن تستخدم اللغة بصورة مباشرة غير مرتبطة بالواقع، تلك العلاقة التي ينبغي أن تكون مهجورة.
- والفالوس كدال ليس له أي محتوى أو مدلول، إنه يمتلئ فقط في السياق العياني، وفي علاقته بالدوال الأخرى، ولذا فهو قادر ومؤهل لتغطية موضوعات كثيرة يمثل الجسد العضوي للطفل، وجسد الأم وعضو التناسل الذكري.

- كما أن الفالوس يعتبر هو الوريث لدور الموضوع المحرك للرغبة، وهو دال رغبة الآخر، والذي يتم تنظيمه بالعودة إلى اللغة أو الآخر الأكبر.
- وهو مؤسس علاقات التبادل الرمزي التي تعتبر أساس الحضارة، وهو الموضوع المحوري الذي تدور حوله الطقوس التي تميز شبكة البناء الرمزي أو الاجتماعي.
- وهو الممثل لاسم الأب حيث تتموضع الذات في الثقافة.
- وهو الرغبة النهائية للاشعور، واستدخال لموقع الآخر، ومستودع الرغبات المكبوتة، ولهذا فهو علامة التمايز الجنسي والهوية الجنسية الذي لا مفر منه، وهو دال الكلام الأساسي للغة، وهو النظام الذي يحكم علاقات التبادل الاجتماعي.

وفي هذا يشير "لاكان" على أنه ما إذا كان الفالوس على هذا النحو بمثابة دال الدوال وموضوع رغبة الأم، فإن الالتصاق بالأم يؤدي إلى أن يظل الطفل (ابن أمه) أو قضيبها المفقود أو موضوع رغبتها، وتقوي هذه العلاقة المحارمية ويتم ارتهان أو إسقاط أو إغفال الدور الأبوي حيث يستبعد اسم الأب من الحساب الرمزي، وتصبح هذه العلاقة مصدراً للانحرافات الجنسية والذهان، حيث أن اسم الأب ببساطة، يغيب عن العالم العقلي عند المريض المصاب بالذهان، ولقد بين "لاكان" أن هناك حبسه لاسم الأب في الذهان، فهو لا يكبت بل يطمس نهائياً. ويظل الطفل متوحداً بالقضيب دون أن يتمكن من الحصول عليه رمزياً، فتتقيد حريته، ويصبح رهناً للتوحدات المنحرفة مثل الفيتيشية Fetishism (وهي تعني: عشق الرمز أو نقل الاهتمام الجنسي من الأشخاص إلى الأشياء المحسوسة، وهي مأخوذة من Fetish بمعنى صنم أو معبود)، والنظارية Scopophilia (وهي تعني: تحقيق اللذة من خلال النظر لمفاتن الرفيق الجنسي) وغيرها. وقد تقوده هذه التوحدات إلى إنكار جنسه والتلبس برداء الجنس الآخر Transvestism حيث يتوحد بقضيب يتخفى وراء الملابس النسائية.

قانون :

استعمال سلطة القانون في التحليل النفسي لا تتطابق مع المفهوم الشائع كما هو الحال عند القانونيين والمشرعين حول التأويلات انطلاقاً من القوانين المكتوبة. إنما تتخطى هذه القوانين المعروفة المكتوبة لتطال القانون غير المكتوب والمتعارف عليه والذي كان مصدراً لكل القوانين المنظمة للشئون الاجتماعية: وهو القانون المحرم الأساسي لعلاقة الأم بالابن. وهو قانون بشري يطال كل المجتمعات رغم تنوعها، ويدخل الإنسان في حقل اللغة هذا القانون غير معلن، تبقى معرفته في اللاشعور لأنه يرأس التنظيم البنيوي للذات، والتوازن الليبيدي انطلاقاً من المحرم الأول. وهو المؤسس الأول لكل القوانين التي تشرع العلاقات الاجتماعية، لذلك يتبين في العمل العيادي، أن أي انتهاك له أو لمشتقاته، الأب والأخوات..إلخ، يعتبر إثماً يهدد الخلية الأولى للعلاقة الاجتماعية، ويترتب عليه العديد من الاضطرابات المسلكية والليبيدية.

يرتبط الإنسان منذ ولادته بعقد دين تجاه المجتمع على غير علم منه لأن دخوله وارتهانه بحقل اللغة يقتضي ذلك، فكل إنسان مديون للغة التي كونته.

القضيب المفقود:

يريد العصابي - بمصطلحات لاكان - أن يكون قضيباً لـلأم؛ فالطفـل يبحـث عـن موضـوع مـا، لكنـه موضوع مفقود، مثلما أن تدخل الأب في عقده أوديب يمنع الطفل من تمثل نفسـه بموضـوع مطلـب الأم. إن تدخل الأب يبعد الطفل عن أمه، ويعطي للطفل إمكانية أن يترك عالم الأم، ويضع القضـيب في موضـع الشيء المفقود الذي يخرج عن نطاق البحث إلى الأبد، فهو يقول "لا" لكل من الطفل والأم.

لذا فالموضوع القضيبي كشيء مفقود يمثله أفضل تمثيل غلاله أو شيء يغطي أو يخفـى، ومـا الشيء الآخر الذي يمثله النقص أفضل مما تمثله صورة الشاشة التي تشير إلى شيء يجاوز ذاته، إلا أن "لاكان" عدل في أعماله فيما بعد من هذا التصور.

الكلام واللغة:

لقد طور "لاكان" من تصوره للعلاقات بين المتخيل والرمزي في بحثه الذي أجراه عام 1953 بعنوان: "وظيفة ومجال الكلام واللغة في التحليل النفسي"، وقد أفاد هذا البحث في إزالة غموض شائع بين الكلام واللغة. حيث تعتبر اللغة بنية مجردة، نظام صوري من الاختلافات، إلا أن الكلام يفترض وجود المتكلم، ومن هنا نستطيع أن نبين ما إذا كانت اللغة بنية، فالكلام فعل يبرز المعنى على نحو ما يقال، ويخفي الهوية على المتحدثين.

فقولك: "أنت أستاذي" يضفي دلالة عل موقف المتكلم: إما كعبد، أو يحتمل أكثر، كشخص يفعل كل شيء بعيداً عن قبول موقف العبد؛ فالكلام بهذا الشكل يحدد موقف الشخصي كمتكلم: إنه يعطيه مكاناً، وكلما تكلم المريض فسوف تنبثق هذه الدلالات بطريقة لا شعورية، فالكلمات التي يستخدمها الشخص قد تعني أكثر مما يعنيه عند استخدامه لهذه الكلمات، وقد تحمل هذه الكلمات معاني تتجاوز فهم سيطرته الواعية. وكلما استمر التحليل يمكن إعادة إرسال الرسالة إلى المريض، وفيها تتلقى ذات المريض رسالة في صورة مقلوبة، ويمكن في النهاية التعرف على رغبتها.

ومن هنا يعتقد "لاكان" أن للكلام ذات تكافح للتعرف على رغبتها، وطالما أن الكلام له في العادة نتيجة عكسية، وهي إعاقة التعرف، فإنه يصعب أن يكون ذلك نتيجة واضحة.

وإذا كان التعرف يُرى على أنه مركزي لنظرية كيف يعمل الكلام، إنه يفترض وجود الآخر، مكان يمكن أن تُسمع منه، ويمكن التعرف عليك منه، والآخر بهذا الشكل هو مكان اللغة، خارجي عن المتكلم، ومع ذلك ما دام هو أو هي متكلماً، فهو داخلي في الوقت ذاته.

اللاشعور واللغة:

لو أن الأنا كانت متخيلة، فإن اللاشعور عند "لاكان" هو بنيوي مثل اللغـة، بمعنـى أن الأنـا مؤسـس من سلسلة حلقات من العناصر ذات الدلالة، وهو مثل برنامج متخصص في الترجمـة، يحـول الكلـمات إلى أعراض، أو تحيلها إلى أفكار وضغوط تعذيبية، ويمكن أن تكون الأعـراض، حرفيـاً، كلـمات وقعـت في شراك الجسد. تذكر أن كل ما يعرفه الأطفال حقاً عن أعضائهم الداخليـة هـو مـا يقولـه لهـم آبـائهم، ومـن ثـم فالجانب الداخلي من أجسامهم مصنوع من كلمات. ويـألف الأطبـاء المـرضى الـذي يشـكون آلامـاً عنـدما يكون السبب البيولوجي غائباً على نحو واضح، ولا يعني ذلك أن الألم زائف، إنه بالضـبط هـو نفـس الألم، بل ربما أعظم، كما لو كان قد سببته أشياء فيزيقية حقيقية.

ولتخفيف الألم فإن الأفكار المكبوتة تحتاج إلى أن ترتبط بالسلسلة الدالة؛ فهـي تحتـاج إلى أن يطـرأ عليها ترجمة جديدة.

اللغة والخصاء:

لقد بين "جاك ألن ميللر" كيف قادت هذه الاعتبارات "لاكان" إلى صيغ جديدة من الخصاء، والـذي يعني: تفريغ المتعة من الجسد. وبهذا فإن الخصاء ما هو إلا التسجيل الرمزي بما هو كذلك: أي اللغـة. إن انتقال الكائن الحي عبر اللغة ومن خلالها هو الخصاء مُدخلاً فكرة الضياع والغيـاب في العـالم. ورمـز هـذا الانتقال هو – كما هو باستمرا - القضية، الطريقة التي يمثل بها اللاشعور فكرة الضياع.

ومن هنا يتساءل "لاكان" حول ما إذا كانت المتعة حقيقية، وخارج تسجيل الصورة، وخارج الرمزي، فكيف يعمل التحليل النفسي عليها، وخاصة ما إذا سلمنا بأن أداتها الرئيسية هي المتعة؟ ويرى "لاكان" أن الجواب يكمن في القضية التي تقول إن ما يعمل عـلى "التغيـير" في المتعـة هـو اللغـة، وهـو بـذلك يضـع وبطريقة تلقائية في المسألة، ألوان العلاج التي ترى أن الكائن الحي يمكن أن يتغير عـلى نحـو أسـاسي عـن طريق الممارسات غير الرمزية.

اللغة والضياع:

منذ الطفولة المبكرة نستخدم الكلام لكي نعبر عن احتياجاتنا، لكن منذ اللحظة التي نستخدم فيها اللغة لكي نعبر عن شيء ما، فإننا نجد أنفسنا في تسجيل آخر، فلو احتاج الطفل الماء من أمه، فإن السؤال عنه يغير الأشياء، ويصبح موضوع الحاجة منسحقاً بواسطة بُعد اللغة: وما يهم الآن ليس هو الموضوع، أي الماء، بل علامة الحب، فالكلام بهذا الشكل يدخل صورة جزئية من الضياع في العالم، فعندما تتكلم فإن ذلك يعني فناء الموضوع، ما دام المرء يتحدث إلى شخص آخر.

المتخيل والواقعي والرمزي:

بداية نحب أن نشير إلى أن الخصاء عند "لاكان" هو أحد ثلاثة أضراب من الفقد Lack: وهي الخصاء، والإحباط Frustration، والحرمان Privation. وقد عرفها جميعاً في إطار ثالوثة المكون من المتخيل والرمزي والواقعي.

فالخصاء فقد رمزي لشيء تخيلي، بخلاف الإحباط الذي هو فقط تخيلي لشيء فعلي "واقعي"، والحرمان الذي هو فقد فعلي لشيء رمزي. الحرمان لا يعتمد على العضو الذكري الفعلي أي الموجود في الواقع، ولكن على الفالوس التخيلي، وبهذا يخرج بحث "لاكان" من دائرة البعد البيولوجي أو التشريحي.

إذاً فالتخيلي والرمزي والواقعي ما هم إلا ثلاثة مجالات فصلها "جاك لاكان" منذ بداية تنظيره لعلاقة الإنسان مع نفسه، مع الآخر، مع العالم. وربطها فيما بعد بتصور العقدة البورومية، ارتباطاً وثيقاً لا يفصل أحدها عن الأخرى دون أن يتم تحريرها جميعاً، وبشكل تشابك المجالات الثلاثة: النسيج الأساسي للبنية اللغوية.

عندما نقول مثلاً: أسد: فتشكل الكلمة اللفظ الرمزي، وهذا يستدعي تصور حيوان مفترس يمتاز بقوته، وهذا التصور يستمد صورته من التخيلي. وأخيراً الحيوان الأسد الذي أصبح حاضراً كواقع من سلالة الحيوانات المفترسة. أي أن الكلام استدعاه وأحضره معنا دون أن يكون هنالك ضرورة لحضوره جسدياً، وحتى لو لم نر في حياتنا أسداً [واقعي- رمزي- تخيلي] إذا تشابكوا فيما بينهم لكي يعطوا معنى للكلام نتعامل من خلاله مع الآخر.

إذاً دخول الإنسان عالم اللغة هو بمثابة دخول عالم الرمز لأن العالم كله الذي يبدأ الإنسان اكتشافه منذ ولادته مبنى على أسس لغوية متقاطعة بالمجاز والكناية والبلاغة والقواعد اللغوية التي تقسم الزمن إلى ماضي وحاضر ومستقبل، وتفصل في الفضاء ما هو للآخر وما هو للأنا. عالم الرمز في تركيبته اللغوية، يؤسس الإنسان ويفصله عن طبيعته الحيوانية.

أما التخيلي فهو: يتمحور حول علاقة الذات بالآخر. علاقة في الأساس صراعية -[كما في مرحلة المرآة]- يخترقها العداء منذ البداية. وتشكل هذه العلاقة التخيلية المؤسس الأول لهذا العداء مع الآخر، والتي لا تصبح سليمة إلا بفضل تدخل عامل اللغة. لكن هذا الصراع يأخذ حدة عندما يدرك الإنسان أنه لا يستطيع أن يتكون إلا عن طريق صورة الآخر. فهو ضرورة لوجوده بنفس الوقت الذي يتمنى إزالته. نجد هنا مصدر الشعور الإنساني وتحريم القتل، ولولا هذا التوحد

بالآخر لما حصل كما نرى نمو المشاعر الإنسانية.

بينما الواقعي: ما هو إلا مفهوم من استنباط "جاك لاكان" لكي يميزه عن الواقع. نستطيع أن نشبهه بالحدث المفاجئ الذي لم يكن له تصور مسبق، لذلك نعته "لاكان" باللاعقلاني، لأنه خارج المنهاج المنطقي المتبع.

الثورة الفرنسية حدث واقعي لاعقلاني بالنسبة للنظام الملكي، لذلك ميزه "لاكان" عن الواقع لأنه قد يكون سبباً لواقع جديد. ولكن بالإضافة يمكن أن يكون الواقعي عقلانياً يشير إلى الكواكب التي تدور في فلكها ولكن تعود دائماً إلى نفس المكان فترشدنا في تنقلنا في حقل الواقع.

في مقولة أخرى يشير "لاكان" أن شيئاً من تكوين الذات يبقى خارجاً عنها، ولا نستطيع إدماجه إلا عن طريق اللغة. يستعمل "لاكان" الواقعي في التكرار الذي يميز ديناميكية النزوة "الاندفاعية" ويجسده في "موضوع أ".

ويعتبر "لاكان" أن الواقعي أيضاً بأنه هو كل ما يفلت من الدال ويظل ثابتاً بلا حركة، ومن ثم فهو خارج عن الرمز وعن اللغة وعن العقل الإنساني. مثل "الصدمة" التي تنتمي إلى الواقعي ولذا فهي تمتنع عن الرمز ويستحيل الوصول إليها.

ويكون للغة اليد العليا على الواقع، فالكلمات تخلق عالم الأشياء بفضل منحها واقعها الملموس جوهراً يتسم بالوجود في كل مكان في مقابل ما كان موجوداً على الدوام. ويقترب فهمنا للواقع أكثر إذا عرفناه بأنه: ما لا ينطق به، أو هو المستحيل.

ويتضح عمل "الواقعي" في حالات الذهان، فإذا ما رجعنا إلى تعليق "فرويد" على حالة "الرئيس شريبر" نجده في إشارة إلى الهلوسة يقول: "أن الإدراك الذي تم بالداخل قد أسقط على الخارج، فمن الأفضل القول بأنه ما قد رفض أو امحى بالدخل قد ظهر في الخارج". هذا ويعلق "لاكان" على هذا النص تعليقاً يحمل وجهين، فقد كثف التعليق ثم صاغه في إطار من مفاهيمه: إن ما لم يبزغ على المستوى الرمزي انطلق على المستوى الواقعي. أو بعبارة أخرى إن ما قد فلت من الترميز يحمل قدرة الانطلاق إن آجلاً أو عاجلاً في الذهان.

ومع ذلك يرى "لاكان" أن الواقعي داخلي وخارجي في الآن ذاته، وينتمي إلى السواء والذهان في الآن ذاته أيضاً وفي كل هذه الأحوال يقاوم وساطة اللغة، ورغم أن "لاكان" قد أضفى سيادة للمستوى الرمزي على كل المستويات الأخرى، إلا أنه

يرى أن الواقع أكثر قدرة ويمتلك قوة تفوق كل شيء في العالم، ويتسم أيضاً بأنـه ضـحل وعـرضي (حـادث بطريق الصدفة).

وتمثل المستويات الثلاثة: الرمزي والواقعي والمتخيل عالم الإنسان إذا تآزرت أو انفصلت فإنها تـفضي إلى قص حكاية قصة العقل في حالة نشاطه.

مثال الأنـــا:

عادة ما تهتم الأنا بمثال أعلى، يضعه الإنسان نصب عينيه، لا يتوخى إلا الاقتراب منه، والوصول إليه أو تحقيقه. وهذا المثال الرمزي قـد يأخـذ أشـكالاً مختلفـة: دينيـة، فكريـة، مهنيـة، أخلاقيـة...إلـخ، أي أن موضوعها عادة ما يكون أيديولوجي، إذ ابتعد عنه المثال يشعر بضغط شديد وبدونية محبطة، وإذا اقترب منه كثيراً تفقد الحياة قيمتها. هذا التجاذب يستمر مدى الحياة دون أن يبلغ حـده الأقصى، إلا إذا بلغـت التضحية في سبيله الحياة نفسها. وضياعه يؤدي إلى حالات اكتئابية، وعندئذ قد يتحول إلى أنا أعلى يلاحق ويضطهد.

مجاز – كناية:

قوة الكلام تعتمد على قدرتها على التعبير عبر محورين أساسيين:

المجاز والكناية، مما يشكل البلاغة.

المجاز هو: استبدال كلمة بكلمة أخرى مما يؤدي إلى ولادة معنى جديد مثل: ثعلب الصحراء والتي تشير إلى شخص القائد الألماني رومل، أو عاصفة الصحراء، أفعى الصحراء، عقرب الصحراء.... كلها تشير إلى معارك التحالف ضد العراق.

والكناية هي: استعمال جزء بكلمة تعني الكل أو التعبير عن المحتوى بالمحتوى، مثل: ثلاثون شراعاً: تعني ثلاثون مركباً، أو جملة: أشرب كأساً: تعني المحتوى بالكأس.

استعمل "لاكان" هذين المحورين لكي يؤكد الترابط ما بين استعمال اللغة المتداولة والبنية اللغوية في اللاشعور: اعتباراً منه أن اللاشعور مبني كلغة، حيث اعتمد "لاكان" في ذلك على ما ورد عند "فرويد" في تأويل الأحلام: أنها لا تفهم إلا إذا اعتبرنا أن مجمل الحلم يقوم على التكثيف من ناحية (أي المجاز في اللغة المتداولة- والنقلة- أي الكناية). من هذا المنطلق بني "لاكان" نظريته للدال في اللاشعور وتجمع الدال في سلسلة ضمن شبكة تشكل النسيج لبنية الذات اللاشعورية.

وأول مجاز: حدده "لاكان" بـ"المجاز الأبوي". يأتي بعد أن يحل الأب مكان الأم، النتيجة ذات الأثر التأسيسي تأتي عن طريق الأوديب، عندما يحل الأب مكان الأم كمرجع أساسي في علاقته مع نفسه أو مع المجتمع. هذه العملية لا يمكن أن تنجح إلا إذا احتل الأب المكان الأول الذي يملك الفالوس.

أما الكناية فقد حصرها "لاكان" في التعبير عن الرغبة في أن موضوعها يطل علينا من نقصان لموضوع أساسي، كان الطفل في نشأته الأولى قد توحد به، لذلك تأتي الرغبة كدعوة لاستعادة هذا الموضوع، ولكن سريعاً ما يتبين أن هذا التحقق لا يحصل إلا جزئياً، لأن أي بديل عن الموضوع الأساسي الضائع، لا يمكن أن يعادله، لذلك فالجزء يُعبر عن الكل ضمن كناية مستمرة منذ ولوج الإنسان عالم اللغة وأي موضوع يحققه في رغبته يظل دون الموضوع الضائع. هذا ما يجعل الرغبة مستمرة مدى الحياة لأنها غير مطابقة لإشباع الحاجة.

ويبرهن "لاكان" أن وظيفة المجاز تتحول إلى انقطاع عن مصدرها إذا قلنا

مثلاً: عائلة النجار، أو الحداد. يصبح المجاز أو الاستعارة مقطوعاً عن مصدره "المهنـة" لـكي يتحـول إلى دال يُعبر عن الذات بالنسبة إلى دال آخـر، أمـا الكنايـة فوظيفتهـا تـؤمن اسـتمرارية في رغبـة لا تنضـب مـدى الحياة.

مرحلة المرآة :

إن الطفل لا يرى استقلال نفسه كجسد عن أمه، ثم عـن الآخـرين فـيما بعـد، إلا في مرحلـة المـرآة Mirror Stage، فهي المرحلة التي يكون فيها قادراً للمرة الأولى في حياته على الخوف من عـدوان الأخـير - قادراً على أن يرغب الأم التي يدرك حينئذ أنها شيء آخر، وأنها شيء متميز عنه- قادراً أخيراً عـلى الـدخول مع آخر في منافسة على هذا الشيء المرغوب، وهي كذلك المرحلـة التـي يصـبح الطفـل فيهـا قـدراً للمـرة الأولى على الشعور بالتعاطف مع آخر، فيبكي لبكائه ويصرخ لصراخه ويكون إياه حين يصـاب ذلـك الآخـر بأذى.

ومرحلة المرآة كذلك تصور الطبيعة الصراعية التي تقوم عليها العلاقـة الثنائيـة: الأنـا والآخـر. فهـي المرحلة التي تتكون فيها "الأنا" عن طريق عملية التوحد (توحد المرء بصورته في المرآة).

ومفتاح هذه الظاهرة أن الرضيع في الفترة من سن ستة أشهر إلى ثمانية عشر شهراً، وهي الفترة التي عينها "لاكان" لمرحلة المرآة، يكون مفتقراً إلى التناسق الحركي لعدم قدرته على الـتحكم في أعضـائه غـير أن نظامه البصري يكون متقدماً نسبياً، فيتعرف عـلى نفسـه في المـرآة قبـل أن يكـون قـادراً عـلى الـتحكم في حركات جسمه، يرى الطفل صورته في المرآة كلاً متجمعاً منضماً بعضه إلى بعـض، وهـو عـين مـا يشـعر أن جسمه يفتقر إليه. هنالك يتولد لدى الطفل الشعور بالتعارض بين الصورة ومـا يجـده تجـاه جسـمه مـن شعور بأنه غير متناسق، هنا يشعر الطفل بان هذا التعارض يحمل إليه تهديداً: كلية الصورة تهدد الـذات بالتجزؤ أو التقطع. من هنا يأتي التوتر العدواني بين الذات والصورة في مرحلة المرآة، لا ينحـل هـذا التـوتر إلا بلجوء الذات إلى التوحد بالصورة. فهو وما يراه شيء واحد، ومن هنا تنشأ منظمة الأنا Ego.

ويصف "لاكان" لحظة التوحد هذه بأنها لحظـة التهلـل أو الفـرح الشـديد Jubilation. ولمـا كانـت هذه اللحظة تقود الطفل إلى الشعور المتوهم Imaginary بالسيطرة والقبض على زمام الأمور، فـإن فرحـه يكون مرجعه إلى انتصاره المتوهم في عملية يستبق فيهـا الأمـور التـي لم تحـدث بعـد ويتعجلهـا، أي أنـه يتعجل هذا الأمر الذي لم يكتسبه بعد، وهو التناسق العضلي.

والتوحد يتضمن كذلك الأنا المثالي، وهو الأنا الذي يتولى القيام بوظيفـة تتحـدد في تقديم وعد بأن الكلية أو التناسق سيأتيان مستقبلاً، ولـذا تـرتبط مرحلـة المـرآة ارتباطـاً وثيقـاً بفكـرة الجسـد الممـزق. ولهـذا فـإن الشـعور بالـذات المجتمعـة يظـل أبـداً

مهدداً بهذه الذكرى، ذكرى الشعور بالتقاطع والتمزق.

إن فكر "لاكان" عن مرحلة المرآة يمكن النظر إليها على أنها صياغة جديدة لفكرة "فرويد" عن نرجسية الطفل: الطفل عند "فرويد" يقع في حب نفسه، بمعنى أنه يوجه الحب إلى موضوع هو الطفل نفسه، وهذا ما نتبينه من نظرة الطفل إلى صورته في المرآة.

هذه الفكرة اللاكانية المتعلقة بمرحلة المرآة إنما ترجع إلى اختيار أجرى لأول مرة عام 1931م، قام به عالم النفس "هنري والون Henri Wallon" وكان صديقاً للاكان. وهو الاختبار الذي أطلق عليه اختبار المرآة Mirror Test، وأجرى لمعرفة الفرق بين الطفل الإنساني وأقرب نظير إليه من الحيوان، وهو صغير الشمبانزي: طفل الإنسان- في عمر ستة أشهر- ينبهر بصورته في المرآة ويطير بها فرحاً لاعتقاده أنه وإياها شيئاً واحداً. على حين أن طفل الشمبانزي الذي في مثل عمره يدرك من فوره أنها صورة خادعة وينصرف عنها. هذه عند لاكان ليست مجرد تجربة، إنها أكثر من ذلك هي لحظة في حياة الإنسان لكنها كذلك بنيه مستمرة عنده، وهي Paradigm مثال أو نموذج النظام الخيالي Imaginary Order.

يتكون ما يطلق عليه الأنا Ego بالتوحد مع النظير أو المقابل. هذه العملية يتمخض عنها الاغتراب بالضرورة، وكلمة الاغتراب Aliene من الكلمات العامة التي تستعمل في الفرنسية للدلالة على الجنون. وقد ظهر المصطلح في التفكير الفلسفي عند كل من "هيجل وماركس"، غير أن مفهوم "لاكان" يختلف عنهما إلى حد بعيد. فالاغتراب عنده ليس حادثة تعرض للذات، أو تطرأ عليها ثم يمكن تجاوزها، بل هي ملمح أساسي في تركيبه.

الذات بصفة أساسية منشق عن نفسه ومغترب عنها ولا مهرب له من هذا الانقسام. فالذهان نفسه صورة من الاغتراب أشد حدة وتطرفاً. إن الأنا هي دائماً أحد آخر "سواي"؛ لأنها مؤسسة على التوحد بصورة بصرية خارجها هي هي وليست إياها في الوقت نفسه، وقد تكون انعكاساً في مرآة. ومرحلة المرآة تبين أن الذات تتمخض من سوء الفهم، فهي تصور مغلوط، فأنا لست الصورة التي في المرآة، وليس لي هذا الثبات الذي لها، إنما أنا لحظات متعاقبة، فأنا في حقيقة الأمر ذوات متغيرة، كل منها عارض، وكل منها وقتي، وكل منها وليد اللحظة التاريخية المنسوخة بلحظة أخرى تعقبها ذوات أخرى كذلك لا تثبت على حال.

أما الصورة التي في المرآة فتورثني الشعور بالثبات وتمنحني الاطمئنان الذي

أنشده، هذا كله أساسه الخداع وسوء الفهم الذي لا يمكن الفكاك منه، وهو أساس كذلك ليكون ثمة ذات.

وبقدر ما ترتبط هذه اللحظة بما يسميه "لاكان" مرحلة المرآة فإن المرحلة نفسها في أبسط صفاتها جانب من مشكلة الهوية التي يتضمنها التحليل النفسي، ذلك لأن اللحظة التي تمثلها هذه المرحلة هي اللحظة التي يضع فيها "لاكان" استباق الفرد لما يحدث له، بل يجعل منها منطلق لكل الانفعالات والأفكار المعقدة التي تتسرب في العلاقات المستقبلية للفرد.

ولهذا فإن "لاكان" ينظر إلى الأنا بوصفها جهاز في حالة مستمرة من البناء أو التشكيل المستمر عبر مراحل متغيرة تنتقل من شكلها الخاص بنرجسيتها وعدوانيتها وتمزقها إلى أوهام الوحدة والتماسك في غرابة ومثالية العالم الخيالي لتنتقل بعد ذلك للدخول في جدل العلاقة باللغة في صورة متأرجحة بين العالم الخيالي والرمزي مع دخول الطفل في مراحل لاحقة تسيطر فيها الأنشطة الكلامية ويبدأ طور جديد من أطوار تشكيل الأنا.

مزيد من المتعة:

تختزل ماهية المحرك الأساسي لعلاقة الإنسان بالحياة، فهو يسعى دائماً إلى المزيد من اللذة، على غرار ما نظرة "كارل ماركس" حول الربح الإضافي Plus- Value، وهو العامل الدافع إلى مزيد من الإنتاج مما يعادل مزيد من الربح أي مزيد من المتعة.

اختزالها "لاكان" في البداية في وظيفة موضوع "أ": سبب الرغبة هي المؤشر الأول لبزوغ المتعة القضيبية، ويعتبرها متعة آخر، أي تدخل في إطار حقل الآخر الكبير: سريعاً ما يطالها الكبت وتتحول إلى نقصان، وتصبح في حقل، مميزة بغيابها بسبب المكان الفارغ الذي تتركه، عندئذ يتوحد الطفل بهذا الموضوع الناقص لكي يتمم الآخر.

أما إذا تمكن الكبت في تغييب نهائي لهذا الوعد بلذة إضافية، يستطيع الطفل أن يعتمد بدائل تعبر عن ذاته، أما إذا بقي هذا الوعد زائداً (+) يلوح باستمرار إلى لذة إضافية، عندئذ يتعرض الطفل في المستقبل إلى حالة العصاب. التحليل النفسي بعد نهاية العلاج قد يتمكن من تحويل هذه اللذة الإضافية: من حالة الزائد إلى حالة النقصان أي (+) ⟵ (-).

موضوع "أ":

موضوع "أ" Object a هو من اختراع "لاكان" لكي يميز الموضوع الذي يكون في آن واحد سبب الرغبة وغايتها، لا يأخذ موضوع "أ" أهميته وحيويته إلا من كونه ضائعاً.

في البداية يتمثل بقطعة من الجسد انفصلت وأصبحت نفاية، أو فاقدة الأهمية. ويشير "لاكان" إلى أن موضوع "أ" يتكون منذ الولادة، عندما ينفصل الطفل عن المشيمة، فتسقط في النفايات فيحصل من خلال ذلك الانفصال النهائي عن جسد الأم.

على هذه التجربة الأولى تتكرر تجارب أخرى تؤكد ضياع الغرض، يتعلق في الثدي ثم ينفصل عنه كما لو كان جزءاً منه، كذلك في الغائط كقطعة مهداة إلى الأم، ثم أضاف "لاكان" فيما بعد النظر أو السمع على اعتبار أنهم من الموضوعات الضائعة التي تميز النزوات.

موضوع "أ" يتواجد ما بعد العطاء، وراء الذات وليس أمامها، يحث الحصول على المزيد من اللذة، وعلى الموضوعات الضائعة. ولكن لا يحصل الإنسان إلا على البدائل التي تضله عن جوهر الموضوع "أ" مثلاً نجد أن هناك من يعمل بجد للحصول على المال كي يساعد الفقراء لأنه كان فقيراً، وعندما يحصل على الثروة يصبح المال بديلاً عن الموضوع الضائع أي حرمان الفقراء من الإعانة. أو البخل يجد في الصندوق موضوع "أ" لأنه يحتوي على بديل الغائط الذي انفصل عنه.

موضوع (أو غرض):

مفهوم أوجده "فرويد" لكي يبين علاقة الإنسان مع العالم الذي يحيط به انطلاقاً من فلسفة الكـون. وهذا ما يبين الفرق بين التحليل الـنفسي وعلـم الـنفس. فـالأول يطـال شرح وتأوييـل ديناميكيـة العلاقـة بالموضوع. أما الثاني فيكشف شكل الأنا دون أن يكشف تحركاتها باتجاه الموضوع. والملاحظ هو أن هنالك عدة أنواع من الموضوعات:

- الموضوع الطيب والموضوع السيئ لـ"ميلاني كلاين".
- الموضوع المتحول Transitional لـ"وينكوت".
- والموضوع الجزئي لـ"إبراهام".
- والموضوع "أ" لـ"جاك لاكان" في (السيمنار الرابع).

تناول "لاكان" العلاقة بالموضوع من زاوية تختلف عن "فرويد" انطلق من فكرة النقصان الذي يشير إلى غياب الموضوع. وهذا الغياب يبقى حاضراً في كل مرة يختار الشخص موضوعاً بديلاً، لكي يؤكد لـه أنـه لا يمكن أن يحل محل الضائع. أي بالنسبة لـ"لاكان" لا يمكن التعبير للموضـوع عـن وجـوده إلا مـن حالـة النقصان التي تميزه، وهي ثلاث:

وهذا النقصان يتميز بحالات وجدانية مختلفة:

إما أن يؤدي إلى الحرمان وإما إلى الإحباط وإما إلى الإخصاء..

وكل حالة نقصان لها موضوعها الخاص.

- الخصاء رمزي ولكن موضوعه تخيلي (فالوس).
- الإحباط هو تخيلي ولكن موضوعه واقعي.
- الحرمان هو واقعي: ولكن موضوعه رمزي.

هذيان العظمة :

في عام 1932 أكمل "لاكان" رسالته للدكتوراه عن "البارانويا أو هذيان العظمة" بعنوان: "ذهان العظمة وعلاقته بالشخصية"، وتحتوي رسالة "لاكان" على تحليل تفصيلي لامرأة تدعى "إيميه" على اسم بطلة إحدى قصصها غير المنشورة، حاولت أن تطعن ممثلة باريسية شهيرة تدعى "هيجوت دفلوس" وتناقلت الصحافة القضية في ذلك الوقت بشكل واسع، وحاول "لاكان" أن يجمع بالتدريج أجزاء المنطق الكامن وراء فعلها اللامعقول في ظاهرة. وقدمت رسالته مفهوماً جديداً إلى وسط طب الأمراض العقلية هو "بارانويا العقاب الذاتي"، فذهب "لاكان" إلى أن "إيميه" في ضربها للممثلة كانت في الواقع تطعن نفسها. فالممثلة "هيجوت دفلوس" تمثل امرأة لها حرية ومركز اجتماعي، وهو نفس النوع بالضبط الذي كانت "إيميه" تتطلع أن تكونه.

فـ"إيميه" في أفكارها عن الاضطهاد كانت هي تلك الشخصية التي رأت أنها مصدر التهديد لها ولابنها الصغير، وهكذا كانت الصورة المثالية هي الموضوع الذي تكره وتتطلع إليه في آن واحد. وكان "لاكان" مهتماً هنا -بصفة خاصة- بهذه العلاقة المركبة بين الصور وأفكار الهوية الموجودة في هذيان العظمة. وفي الخطوات التي تلت ذلك إلقاء القبض عليها وحبسها، وجدت العقاب الذي هو المصدر الحقيقي للفعل نفسه. وفهمت على مستوى معين أنها كانت هي نفسها موضوع العقاب.

ويكشف تحليل "لاكان" للقضية عن كثير من السمات التي ستصبح فيما بعد مركزية في عمله مثل: "النرجسية"، و"الصورة"، و"المثل الأعلى"، وأن الشخصية يمكن أن تمتد إلى ما وراء حدود الجسم وتتألف داخل مركب شبكة اجتماعية Social Net، وتمثل الممثلة جزءاً من "إيميه" نفسها مشيرة إلى الكيفية التي يمكن لهوية الموجود البشري أن تشتمل على عناصر خارج الحدود البيولوجية للجسد، وبمعنى ما فقد كانت هوية "إيميه" خارج حدود ذاتها بالمعنى الحرفي للكلمة.

واقـع:

يتميز عن الواقعي، وحسب المفهوم الفرويدي هنالك الواقع النفسي الذي مـن خلالـه نـرى الواقـع الخارجي. والاثنان يتداخلان معاً حيث تلعب الأنا دور الوسيط. أما بالنسبة لـ"لاكـان": فـإن هـذا الواقـع لا نستطيع أن نطاله إلا عبر الواقعي عن طريق تخيله أو ترميزه.

الوساوس:

يرى "لاكان" أن السؤال بالنسبة للوساوس هو: هل أنا حي أم ميت؟ وعادة ما سوف يقضي الوساوس عمره دون ان يعمل، بل في الانتظار. فعندما تكون لديه مشكلة لا يذهب إلى التليفون في حالة رنينه، بل يبقى ليفكر ويطيل التفكير بطريقة مملة، وحياته تحركها الطقوس والشعائر، والعادات، والقواعد. وعندما يكون فيها فعل، فإنه يفضل أن يفعل شخص آخر يكون في مكانه، وبالتالي يتجنب أي صراع حقيقي حي مع أي موجود آخر، وكنموذج لذلك نجده عند كثير من الرجال الذين يدفعون بالمرأة التي يحبونها نحو أفضل أصدقائهم، وبهذه الطريقة يعيش الوساوس خارج ذاته ويصبح ضرباً من الجنة الحية.

وقد ربط "فرويد" بين هذه الصورة ومشكلة لاشعورية مع الأب، فالأب بدلاً من أن يقاتل حقاً أشياء خارجية، فإنه يتخيل أن والده قد مات بالقتل، بينما يركز "لاكان" على مكان الأنا، فصاحب الوساوس لا ينتظر فقط موت سيده، بل يتوحد مع سيده على انه قد مات بالفعل، ولهذا كانت صفة الفناء شائعة في الوساوس، وهو مثله مثل الجندي الذي يلعب دور شخص ميت في أرض المعركة حتى يتجنب أية مواجهة حقيقية مع الموت، وموقف صاحب الوساوس ينطوي على مفارقة، فخداع الموت يتضمن الفناء الحي.

فهرس الموضوعات

الجزء الرابع: البناء الوسواسي

قائمة المصطلحات اللاكانية